

السنة الخامسة عشرة * العدد ١٥٥ * رجب ١٤٢١هـ * اكتوبر ٢٠٠٠م

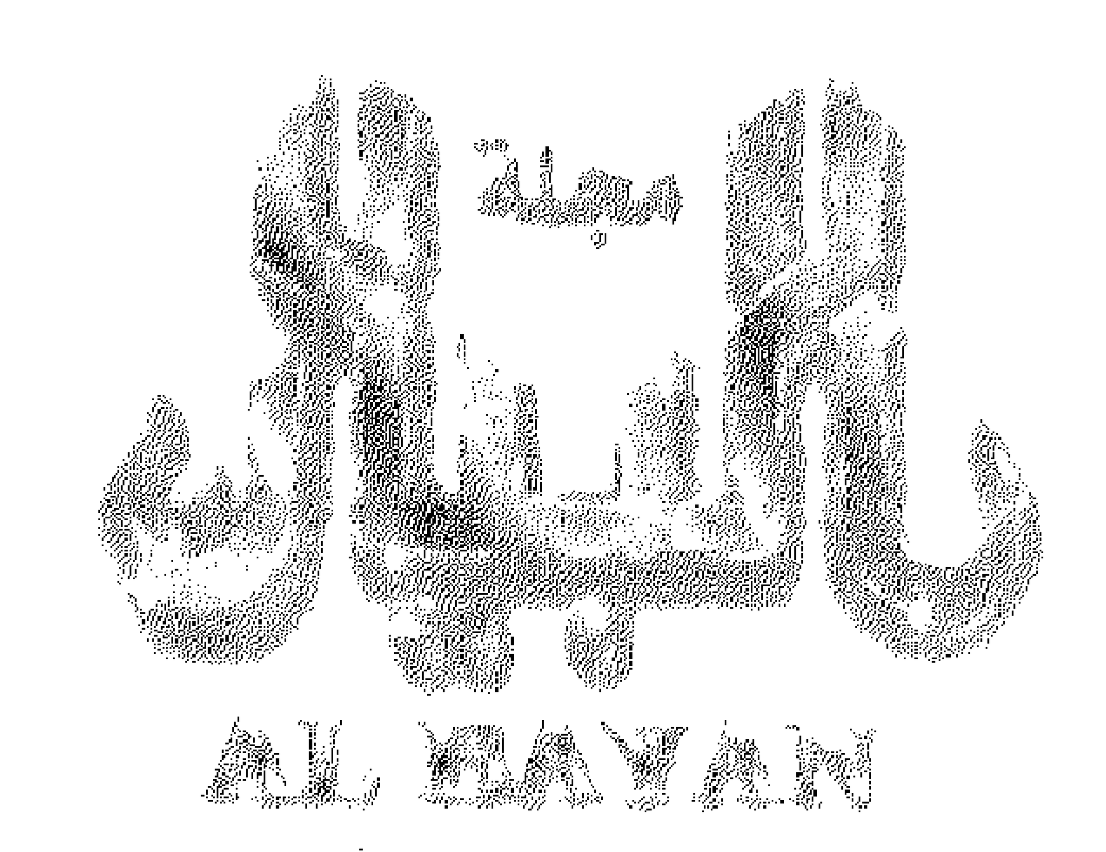
الإبداعية الجماعية

التراجعات والمراجعات: قضية للمناقشة

من أروقة المفاوضات



كشمير.. متى الخروج من النفق؟



مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة :
د. عادل بن محمد السليم

رئيس التحرير
أحمد بن عبد الرحمن الصويان

مدير التحرير
أحمد بن عبد العزيز العامر

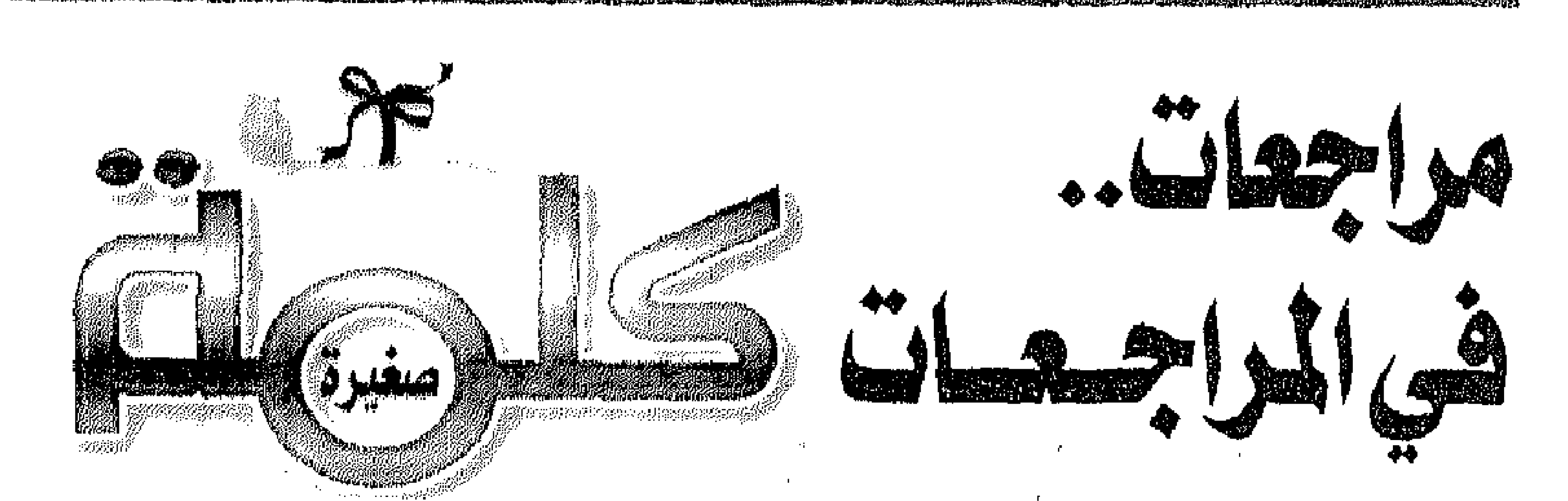
هيئة التحرير
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
عبد العزيز بن مصطفى كامل
د. يوسف بن صالح الصغير
سليمان بن عبد العزيز العيوني
فيصل بن علي البعداني

سعر العدد
الأردن ٥٠٠ فلسًا، الإمارات العربية ٨ دراهم، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه إسترليني أو ما يعادلها، البحرين ٦٠٠ فلس، اليمن ٦٠ ريالاً، مصر ٢ جنيه، السعودية ٨ ريالات، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم، قطر ٨ ريالات، السودان ١٠٠ ديناراً، سلطنة عمان ٦٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

المركز الرئيس:
AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HW, U.K.
Tel: 0171 - 736 9060
Fax: 0171 - 736 4255

مراجعات.. في المراجعات



تبدأ مجلة البيان في هذا العدد وما بعده طرح موضوع دعوي هام، يتعلق بمسائل (المراجعات) للعمل الإسلامي في مسيرته الممتدة على مدى العقود الثلاثة الماضية، باعتبارها ممثلة لمرحلة انتقال بين قرنين هجريين، و(المراجعة) - فيما يبدو - هي شعار المرحلة على كافة الأصعدة، وهي تأتي تقويماً للأداء فيما مضى، لترشيده فيما سيأتي بإذن الله.

والمراجعات قد تعتورها تراجعات، ومن ثم جاء طرح هذا الموضوع لكي يوضع على بساط البحث المتبصر، والحوار الجاد والنقاش الهادئ تقليصاً للضرر وتفادياً للخطر. والمجلة إذ تفتح صدرها لهذا الحوار المثمر في زاوية (قضية للمناقشة) تذكّر قراءها وكتابها والمتواصلين معها - والذكرى تنفع المؤمنين - بأن أدب الحوار صناعة إسلامية، لُحمتها النصيحة، وسَداها الإخلاص؛ فنسيجها يستمد متانته من قوة الوشيجة الإيمانية والأخوة الإسلامية التي تعد المحافظة عليها من فرائض الدين. وإذا كان النقد لا يخص أحداً دون أحد؛ لأنه نقد للذات الإسلامية بوجه عام؛ فإنه لا يقصر أيضاً دون أحد، لأننا جميعاً - أهل الدعوة - شركاء في المغنم والمغرم، ومسؤولون عن حال الأمة الدينية، رفعة أو ضَعَة.

غير أننا نؤكد أن هناك فرقاً بين نقد الذات وجلد الذات، ولهذا.. فلا مجال في الحوار الجاد بين إخوة العقيدة لجرح الأشخاص أو الهيئات أو الجماعات، ولا لطعن في طوايا الضمائر والنيات.. لا نقص ولا هدم، ولا ظلم ولا هضم؛ فالنصيحة دين، والدين النصيحة..

وفق الله الجميع للقول السديد والفعل الرشيد.

مكاتب المنتدى الإسلامي ومجلة البيان

م	الدولة	المدينة	ص. ب.	الهاتف	الفاكس
١	بريطانيا	لندن	——	٧٣١٨١٤٥	٧٣٦٤٢٥٥
٢	السعودية	الرياض	٢٦٩٧٠	٤٦٤١٢٢٢	٤٦٤١٤٤٦
٣	البحرين	المحرّق	٥٠١٦٣	٣٣٥٣٠٠	٣٣٦٣٠٠
٤	قطر	الدوحة	١٦٤٦٤	٤٤٤١٠٤٤	٤٣٢٧١٦٧
٥	كينيا	نيروبي	٧٧٨٠٢	٣٥٠٥٢٦	٥٠٠٠١٥
٦	غانا	أكرا	٢٠	٢٣٥٧٦٦	٢٣٥٧٦٧
٧	بنغلاديش	دكا	١٢٠٧	٩٨٠٢٠١٥	٩٨٠٣٠٠٥
٨	السودان	بور تسودان	٦٩٥	٢٢٥٣٣	٢٢٥٣٣
٩	مالي	باماكو	E٢٠٣	٢٢٣٢٠٣٩٠٩	٢٢٣٢٠٣٩٠٩
١٠	جيبوتي/الصومال	جيبوتي	٣٢٨٠	٣٤١١١٣	٣٤١١١٣
١١	تشاد	أنجمينا	١٧٨٩	٥١٨٥٩١	٥١٨٥٩٠
١٢	توجو	لومي	١٠٧٤	٢٦١٦١١	٢٦١٦١١
١٣	نيجيريا	كانو	٢٦٣٥	٦٣٧١٩٠	٦٣٧١٨٠
١٤	بينين	كوتونو	٠٣-٤١٩٣	٣٠٣٩١٩	٣٠٣٩١٩

المراسلات والإعلانات

الدول العربية:

السعودية : مكتب مجلة البيان - ص.ب ٢٦٩٧٠ - الرياض : ١١٤٩٦ - هاتف ٤٦٤١٢٢٢ - فاكس ٤٦٤١٤٤٦.

قطر: الدوحة، ص.ب: ١٦٤٦٤، هاتف: ٤٤٤١٠٤٤، فاكس: ٤٣٢٧١٦٧.

البحرين: المحرّق مكتب دار البيان، ص.ب ٥٠١٦٣ - هاتف ٣٣٥٣٠٠ - فاكس ٣٣٦٣٠٠.

البريد الإلكتروني: bayan@naseej.com.sa

أوروبا وأمريكا :

AL BAYAN MAGAZINE 7 Bridges Place, Parsons Green London SW6 4HW, U.K. Tel : 071 - 736 9060 Fax : 071 - 736 4255

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهاً استرلينياً
أوروبا	٢٠ جنيهاً استرلينياً
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهاً استرلينياً
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهاً استرلينياً
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهاً استرلينياً

الحسابات

■ **السعودية**: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة شارع الأربعين حساب مجلة البيان رقم ٢١٠٠/٧.

- مصرف فيصل الإسلامي حساب رقم: ٠٠٢-٤٥١٤-٤٢-١٠٩.

- الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي حساب رقم ٦٣٤٩٢٤.

■ **الإمارات**: بنك دبي الإسلامي (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤.

■ **قطر**: مصرف قطر الإسلامي حساب رقم:٨٧٨٨٥٥ زكاة ٨٧٨٣٨٣ صدقات حساب مجلة البيان : بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ٢٤٢٠٧٠٠٧١.

AL MUNTADA AL ISLAMI EDUCATIONAL TRUST
National WestMinister Bank PLC Fulham Branch
45 Fulham Broadway London SW6 1AG
Sorting Code No. 60-22-16
A/C NO: 44348452

الموزعون

■ **السعودية**: مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦، الرياض ١١٥٥٧، هاتف: ٤٦٤٦٦٨٨ - فاكس: ٤٦٤٢٩١٩.

- الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.

■ **المغرب**: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ - هاتف: ٤٠٠٢٢٣ - فاكس: ٢٤٦٢٤٩.

■ **اليمن**: مكتبة دار القدس، صنعاء: ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧.

■ **السودان**: شركة النحوي للتجارة والتوزيع، الخرطوم: ص.ب ١٠٣٧١ - هاتف: ٧٧٤٣٣٦-٧٧١٥٤٧.

■ **مصر**: القاهرة - ش الجلاء - الأهرام للتوزيع، هاتف وفاكس: ٥٧٤٧٠٢٣.

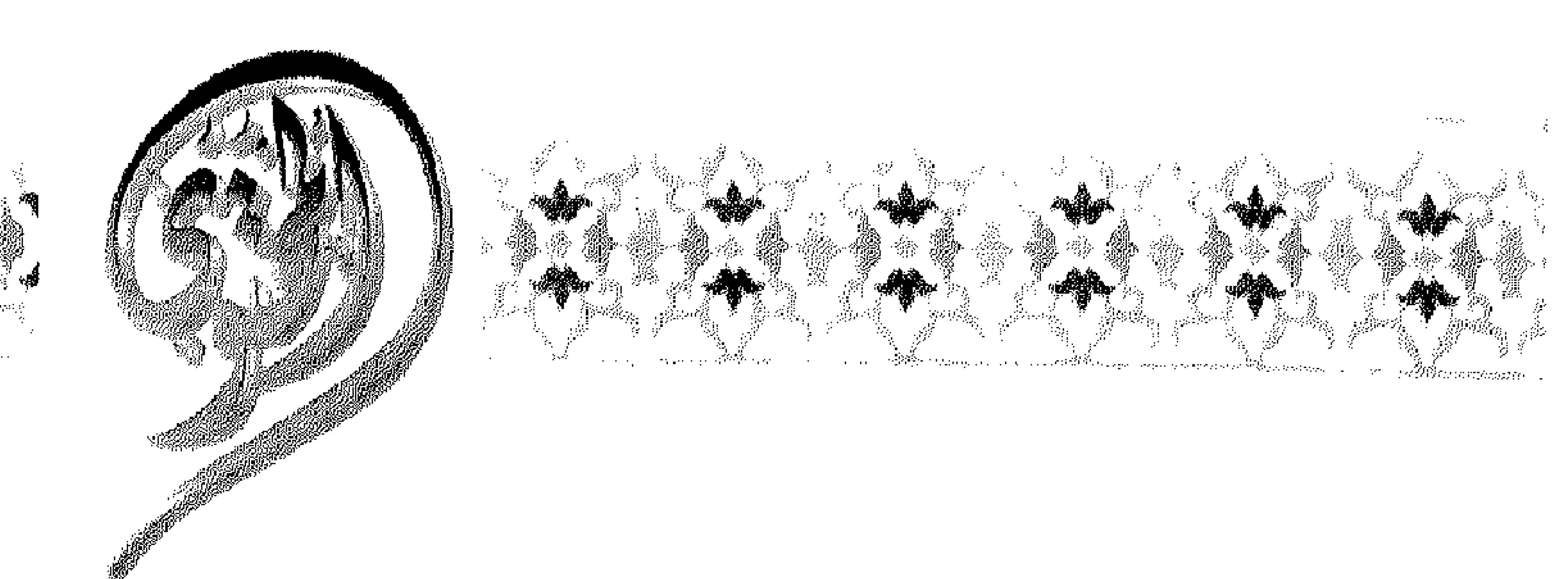
■ **الأردن**: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف: ٦٣٠١٩١، ٦٣٥١٥٣، فاكس: ٦٣٥١٥٢.

■ **الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان**: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩، هاتف ٦٢٣٩٢٠، فاكس ٦٦٣٧٦٨.

■ **قطر**: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٦٦٢٤٤٤، فاكس: ٦٦٢٤٥٠.

■ **الكويت**: شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات: ص.ب: ٤٢٠٥٧ الشورفح ٧٠٦٥١ - هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٦٦٨.

■ **البحرين**: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩-٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.







من أروقة المفاوضات

على الرغم من الإعلان الرسمي عن إخفاق مباحثات (كامب ديفيد الثانية)، إلا أن استمرار المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني واليهودي برعاية أمريكية، ثم الإعلان عن رغبة المفاوض اليهودي - خصوصاً - بجعل المفاوضات سرية إلى أن يتم الاتفاق على حل يرضي الطرفين يثير تساؤلات عديدة، وينبئ عن أنَّ وراء الأكمة ما وراءها..!!

وكما أنَّ المفاوض الفلسطيني في أمريكا عام (١٩٩٣م) فوجئ أثناء المفاوضات بالإعلان عن اتفاقية (أوسلو) التي تضمنت سلسلة من التنازلات المخزية، وتجاوزات لكثير من الثوابت التي ظلت السلطة الفلسطينية تتشدق بها ردحاً من الزمن؛ فلا يستغرب على الإطلاق أن يفاجأ العالم باتفاق جديد بين الفلسطينيين واليهود يكشف عن حلقات جديدة من التزييف والتلاعب بالعقول..!

ولعلنا نشير هنا إلى بعض الحقائق المهمة من أروقة المفاوضات التي تؤكد المؤامرة الكبرى على فلسطين، والسعي المحموم لترسيخ الهيمنة الصهيونية عليها:

أولاً: الرعاية الأمريكية لإسرائيل:

بعد إعلان وعد بلفور في عام (١٩١٧م) سارع الرئيس الأمريكي (وودرو ولسون) بمباركة ذلك الوعد، وبعث برسالة إلى زعيم الصهيونية الأمريكية (ستيفن وايز) يصادق فيها بشكل رسمي على وعد بلفور، على الرغم من تحفظات وزير خارجيته (روبرت لانسنج) لاعتبارات سياسية آنذاك. وفي عام (١٩٢٢) وافق مجلسا الشيوخ والكونجرس رسمياً على وعد بلفور.

وبعد إعلان قيام دولة إسرائيل في ١٤/٥/١٩٤٨م أعلن الرئيس الأمريكي (هاري ترومان) اعترافه بهذه الدولة الوليدة حتى قبل أن تطلب منه إسرائيل ذلك رسمياً، ثم بادرت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم منحة مالية لإسرائيل قدرها مئة مليون دولار (وهي تعادل موازنة مصر والعراق وبلاد الشام في ذلك الوقت). ثم أخذت الولايات المتحدة الأمريكية تمارس ضغوطاً كبيرة على الدول المختلفة لتعلن اعترافها ودعمها لدولة إسرائيل.

وقد تتابع دعم الإدارات الأمريكية لتثبيت الوجود اليهودي في فلسطين، حتى إن الرئيس (ريتشارد نيكسون) قال في كتابه الشهير (١٩٩٩ نصر بلا حرب): (إن التزامنا ببقاء إسرائيل التزام عميق؛ فنحن لسنا حلفاء رسميين، وإنما يربطنا معاً شيء أقوى من أي قصاصة ورق. إنه التزام معنوي، إنه التزام لم يخلَّ به أي رئيس في الماضي أبداً، وسيفي به كل رئيس في المستقبل بإخلاص، إن أمريكا لن تسمح أبداً لأعداء إسرائيل الذين أقسموا على النَّيْل منها بتحقيق هدفهم في تدميرها).

ويلخص الرئيس الأمريكي (جيمي كارتر) موقف الرؤساء الأمريكيين بقوله أمام الكنيست الإسرائيلي في عام (١٩٧٩م): (لقد جسد من سبقني من الرؤساء الأمريكيين الإيمان حين جعلوا من العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل أكثر العلاقات خصوصية؛ إنها علاقات فريدة؛ لأنها متأصلة في ضمير الشعب الأمريكي وفي أخلاقه وفي دينه وفي معتقداته..!).

وها هو ذا الرئيس الأمريكي الحالي (بيل كلينتون) يعلن مراراً أنه: (لن يخذل إسرائيل أبداً!)، فتراه يبذل كافة إمكاناته السياسية لدعم اليهود، وترسيخ أقدامهم، والضغط على مناوئيهم.

بل إن المرشحين للرئاسة الأمريكية القادمة يتنافسان في إعلان الولاء لإسرائيل؛ فالمرشح الجمهوري (جورج بوش الابن) وعد بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس عقب انتخابه رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، وقال في كلمة أمام اجتماع لجنة الشؤون العامة الإسرائيلية الأمريكية (إيباك): (سيحدث شيءٌ مّا عندما أُصبح رئيساً، فبمجرد أن أتولى المنصب سأبدأ عملية نقل السفير الأمريكي إلى المدينة التي اختارتها إسرائيل عاصمة لها..!).

أما المرشح الديمقراطي (آل جور) فقد فاجأ الجميع بترشيحه للسناتور (جوزف ليبرمان) لمقعد نائب الرئيس، وقال في لقاء مع عدد من قادة اليهود الأمريكيين: (إن رغباتكم وتطلعاتكم هي رغباتي وتطلعاتي!).

كل هذه الدلائل تؤكد الانحياز الأعمى والدعم غير المحدود من الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل، ومن ثَمَّ فإن الراعي الأمريكي لمفاوضات السلام لا يظهر بمظهر الراعي المتجرد الباحث عن حل عادل، وهو لا يخفي ولاءه لإسرائيل، ولا يتردد في المدافعة عن مطالبها، وتعجب أشد العجب من غفلة أو تغافل أولئك المتهافتين على السلام من أدعياء العروبة تهافت الجراد على النار المحرقة، وهم يرون هذه الحقائق ماثلة بين أيديهم عياناً بياناً لا تشوبها شائبة..! وصدق المولى الحق - جلَّ وعلا - إذ يقول: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ثانياً: الدولة اليهودية دولة دينية:

من الحقائق الثابتة التي لا جدال فيها أن الدولة اليهودية بنيت بناءاً دينياً محكماً، وكان للحاخامات دور بارز في صناعة الحياة السياسية اليهودية وإدارتها. وإذا كان يحلو لبعض العلمانيين العرب التأكيد على أن الحزبين الرئيسين في إسرائيل (العمل، والليكود) حزبان علمانيان، وأن الأحزاب الدينية المتطرفة في إسرائيل لا تمثل إلا أقلية محدودة في الشارع اليهودي؛ فإن حزبَي (العمل، والليكود) يؤكدان انتماءهما الديني، وحرصهما على تحقيق التعاليم التلمودية، ولا يترددان في إعلان هذه الهوية والاعتزاز بها.

وقد أدار المفاوض اليهودي مؤتمرات السلام مع العرب عامة والفلسطينيين خاصة منطلقاً من هذه القاعدة التلمودية، ولهذا لم يكن غريباً على الإطلاق أن يكون أحد أعضاء الفريق اليهودي المفاوض المرافق لباراك من الحاخامات..!!

وفي أثناء انعقاد مؤتمر كامب ديفيد الثاني أصدر عدد من كبار حاخامات إسرائيل فتوى تحظر على الحكومة الإسرائيلية تسليم بلدات فلسطينية قريبة من محيط مدينة القدس، وذكرت صحيفة (معاريف): أن حاخامات (أدمورات) ورؤساء مدارس دينية (يشيبوت) من أعضاء مجلس كبار

علماء التوراة - وهو المرجع الأعلى للفتاوى والتشريعات الدينية اليهودية في إسرائيل - وزعوا بياناً موقعاً بأسمائهم تضمن رأياً دينياً مستمداً من كتاب التوراة اليهودية يؤكد عدم جواز تسليم بلدات أبو ديس والعيزرية والسواحرة الشرقية إلى الفلسطينيين ووضعها تحت سيادتهم.

ثالثاً: القدس جزء من العقيدة اليهودية:

أعلن رئيس الوزراء اليهودي السابق (ديفيد بن جوريون) أنه: (لا معنى لإسرائيل من غير القدس، ولا معنى للقدس من غير الهيكل!). وصرح وزير الأديان اليهودي عقب احتلال القدس عام (١٩٦٧م) بأن: (أرض الحرم ملك يهودي بحق الاحتلال، وبحق شراء أجدادهم لها منذ ألفي سنة). ودرجت الحكومات اليهودية المتعاقبة على ترسيخ الصبغة اليهودية في المدينة المقدسة، وبناء المستوطنات اليهودية في جميع أجزائها، وأعلن الرئيس الحالي (إيهود باراك) شعاره الانتخابي المعروف: (نريد أن نصبغ القدس الشرقية بالطابع اليهودي الخالص).

ولقد حمل (إيهود باراك) هذه العقيدة معه إلى كامب ديفيد، وأعلن بوضوح قبل بدء المفاوضات أن القدس هي عاصمة إسرائيل الأبدية، وفي الوقت الذي كان فيه باراك يفاوض الفلسطينيين في كامب ديفيد كان (حاييم رامنون) الوزير المكلف بشؤون القدس، و(إبراهاما شوحاط) وزير المالية الإسرائيلي، و (سالي مريدور) رئيس الوكالة اليهودية، و(إيهود أولمرت) رئيس بلدية القدس يجرون مباحثات مكثفة - تنفيذاً لتعليمات باراك - لتعزيز الوجود اليهودي في القدس الشرقية.

ولهذا راح المفاوض اليهودي - ومن ورائه الراعي الأمريكي - يطرح حلولاً ترقيعية لعلاج مشكلة القدس، ويساوم المفاوض الفلسطيني ليحظى بمزيد من التراجعات والتنازلات..!!

ولكن: هل ظل المفاوض الفلسطيني مصراً على تشبثه بالحقوق الإسلامية، ولم يذعن للتوبيخ والتهديد والضغط الأمريكي..؟!

والذي نحسبه أنَّ المفاوض الفلسطيني باع أشياء كثيرة بثمن بخس، وتخلَّى عن مسلَّمات عديدة؛ بل غيَّر الدستور والميثاق[1]، وتجاوز ثوابت لا تخطر على بال، والقدس عنده أرض كبقية الأراضي يمكن استبدالها بأي أرض أخرى! ولكنه يعلم يقيناً أنَّ التفريط بها هو قاصمة الظهر، ومسمار النعش، خاصة أن الشعوب العربية لم تتهيأ بعدُ لمثل هذاالتحول الخطير؛ ولهذا يمكن أن تُسرَّب بعض الحلول الأمريكية واليهودية لجس نبض الشارع الفلسطيني والعربي، وقياس إمكانية القيام بتغييب الوعي العربي، وغسيل الدماغ الفلسطيني، كما حدث في مسائل أخرى معقدة!

فكما أنَّ السلام مع إسرائيل كان خيانة عظمى وخروجاً عن الصف العربي قبل عشرين عاماً، أصبح اليوم - بعد سلسلة طويلة من التخدير والتجهيل - رمزاً من رموز الواقعية واسترداد الحقوق العربية، ومعارضوه هم المتطرفون الإرهابيون. وكذلك القدس يمكن أن يكون التخلي عنها في الوقت الراهن جريمة لا تغتفر، أما بعد سنوات - في ظل السلطة الفلسطينية - فيمكن أن تكون واقعاً لا فكاك منه إذا أُحسن ترويض الناس وتغييبهم، والزمن كفيل بتغيير العقول وصناعة الآراء والقناعات التقدمية المنفتحة!! وانظر مثلاً كيف كان العرب يطالبون قديماً بفلسطين المحتلة فأصبحوا الآن لا يتحدثون إلا عن الأراضي المحتلة

---

(١) ألغى المجلس الوطني الفلسطيني في اجتماعاته في غزة من ٢٢ إلى ٢٥/٤/١٩٩٦م، ميثاق منظمة التحرير الذي ينص على ان الكفاح المسلح يشكل الطريق الوحيد لتحرير فلسطين ضمن حدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني.

في عـام ١٩٦٧م، وانظر إليـهم قـديماً يطالبـون بالقدس، فأصبحوا الآن لا يتحدثون إلا عن القدس الشرقية فقط.

رابعاً: الحرب دينية من طرف واحد فقط:

لقد نجح اليهود منذ بداية تأسيس دولتهم في عزل الإسلام عن ساحة المعركة، وهم يدركون تماماً أنه لا يمكن أن يقف في طريقهم إلا الراية الإسلامية. وقديماً قال ديفيد بن جوريون: (نحن لا نخشى خطراً في المنطقة سوى الإسلام!)، بل إن شمعون بيريز قال: (إنَّه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد!).

نعم.. لقد جرب اليهود الشعارات العربية الثورية وخبروها خبرة تامة، وأدركوا أنها هراء محض، يُراد بها تحقيق مكاسب نفعية حزبية وشخصية، ويسهل ترويضها وتدجينها، وكما قال الشاعر:

ألقـاب مملكـة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

ولهذا جنَّ جنون اليهود لمَّا قامت الانتفاضة الفلسطينية المباركة مرددة آيات القرآن العظيم، يحدوها الحنين لإحياء شعيرة الجهاد في سبيل الله تعالى، واستعادة أمجاد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى:

خرجوا على الأعداء يلقون الحجر
ويكبرون وفي حناجرهم عمر
فإذا الحجارة في الصباح قنابل
الطفل ليث في المعارك والخطر

فكانت دعوات السلام من أجل إيقاف هذا المدِّ الإسلامي ووأده في مهده. وليس غريباً على الإطلاق أن تتولى السلطة الفلسطينية هذا الدور بتفان كبير، حتى إن وزير العدل في السلطة الفلسطينية أكد أنهم لن يسمحوا بوقوع أية عمليات عسكرية ضد الدولة اليهودية. بل إن الرئيس ياسر عرفات أعلن خلال استقباله وفداً من أعضاء المؤتمر اليهودي العالمي في عام (١٩٩٦م) أنَّ عدد المعتقلين من الإسلاميين من أعضاء حركتي حماس والجهاد بلغ في سجون غزة (٩٠٠) معتقل، ممَّا جعل شمعون بيريز يعلن ارتياحه ورضاه عن الجهود التي بذلتها السلطة الفلسطينية للقضاء على الإسلاميين..!

وتأكيداً على طبيعة الهوية الفلسطينية القادمة نرى ياسر عرفات يؤكد بمناسبة وبغير مناسبة أنَّ الدولة الفلسطينية الموعودة دولة علمانية (!!)، وكأنه يريد أن يقدم مزيداً من الطمأنات للدولة اليهودية وحلفائها في الغرب والشرق؛ حتى إنَّ الشيخ عكرمة صبري إمام المسجد الأقصى لمَّا أفتى بعدم جواز التنازل عن الحق بالعودة للاجئين والقبول بالتعويض لمن لا يرغب في العودة؛ استنكرت السلطة الفلسطينية الفتوى بشدة. وقال الطيب عبد الرحيم الأمين العام للرئاسة الفلسطينية: (إن المفتي ليس زعيم فصيل سياسي أو حركة؛ ولذا لا يحق له إصدار فتوى في قضايا سياسية، وطلب من المفتي عدم التدخل في تلك القضايا..!!) وكأن السلطة الفلسطينية تعلن للملأ أنه لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة.

حرام على بلابله الدوح
حلال للطير من كل جنس!

إنَّ أمام الإسلاميين عامة والفلسطينيين خاصة بمختلف فصائلهم وأحزابهم أمانة عظيمة، ومسؤولية جسيمة؛ فالمنطقة تمر بمفرق طريق، ومنعطف خطير، وقد آن الأوان لرص الصفوف وتنسيق الجهود، والنظر إلى المستقبل بعين بصيرة مدركة؛ فالأمر قد تجاوز الرؤى المرتجلة، والجهود الفردية المبعثرة، والبرامج الهزيلة المشتتة. إنَّ الأمر جد وليس بالهزل.. فهل نعي ذلك..؟!





بل هذا حكم الإسلام في الغناء!

راشد بن عبد الله العدوان

«إذا تكلم المرء في غير فنه أتى بهذه العجائب»، هي كلمة حكيمة، وحكمة نادرة، قالها الحافظ ابن حجر العسقلاني، في (فتح الباري شرح صحيح البخاري) (٤/٣).

والحافظ ابن حجر هو إمام أهل العلم بالحديث، وخاتمة الحفاظ، بل هو المحدث الحقيقي الأبرز منذ القرن الثامن الهجري إلى الآن.

وقد قال هذه الحكمة الصادقة في شأن رجلٍ عالمٍ كبير من طبقة شيوخه وهو (محمد ابن يوسف الكرماني) شارح البخاري؛ إذ تعرض في شرحه لمسألة من دقائق فن الحديث لم يكن من أهلها، على علمه وفضله، فتعرض لما لم يتقن معرفته، والكرماني هو الكرماني، وابن حجر هو ابن حجر.

لقد وردت هذه الحكمة البليغة على خاطري، حين قرأت مقالاً نشرته مجلة (العربي) في عددها (٤٩٥) الصادر في شهر شوال لعام ١٤٢٠هـ، ووجدتها تنطبق على هذا المقال تمام الانطباق، وكأنها وضعت له، أو قيلت بادئ بدء في شأنه.

لقد تعصب كاتب المقال لرأيه الشاذ مقلداً ومتبعاً ومغتراً بما ذهب إليه الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ من إباحة الغناء وآلات الطرب على اختلاف أنواعها في رسالته الموسومة بـ «رسالة في الغناء الملهي، أمباح هو أم محظور؟» من مجموعة رسائل ابن حزم الأندلسي، بتحقيق الدكتور «إحسان رشيد عباس» مستمسكاً بشبهات واهية، وبحجج هشة، ضعَّف فيها الأحاديث الصحيحة الثابتة في تحريم المعازف والغناء الملهي. وتصور يا أخي مبلغ الأثر السيئ الذي سيكون لهذا المقال في قلوب القراء من الخاصة وطلاب العلم؛ فضلاً عن العامة وذلك لأمرين:

١ ـ شهرة ابن حزم العلمية في العالم الإسلامي، وإن كان ظاهري المذهب لا يأخذ بالقياس، خلافاً للأئمة الأربعة وغيرهم.

٢ ـ غلبة الهوى على أكثر الناس؛ فإذا رأوا مثل هذا الإمام يذهب إلى إباحة ما يتفق مع أهوائهم لم يصدهم شيء بعد ذلك من اتباع أهوائهم، بل قد يجدون فيما يسمعون من بعض المشايخ ما يسوغ لهم تقليدهم إياه، كقولهم: «من قلد عالماً لقي الله سالماً»، وإن

كان ابن حزم - رحمه الله - ينهى عن التقليد، ويحرمه أشد التحريم.

يضاف إلى ذلك قلة العلماء الناصحين الذين يذكِّرون الناس بالحكم الصحيح في هذه المسألة، والأحاديث الصحيحة الواردة فيها، وكثرة ما يكتب ويذاع مخالفاً لها، فيتوهمون أن ما قاله ابن حزم صحيح، لا سيما وهم يقرؤون لبعض العلماء المعاصرين بعض فتاوى تؤيد مذهبه، وتميل إلى إباحة الآلات الموسيقية، وإنكار تحريمها، وتضعيف الأحاديث الواردة فيها، ضاربين عرض الحائط بالحُفَّاظ المصححين لها ومذهب الأئمة القائلين بمدلولاتها. ومن هذا المنطلق، ونصحاً لله ولرسوله ولكتابه وللمسلمين، سأقف مع الكاتب الدكتور بعض الوقفات في رد شبهه وتمويهاته مستعيناً بالله تعالى.

● **الوقفة الأولى:** قال الدكتور في معرض حديثه عن حكم الغناء عند الفقهاء: «بينما العنبري عبيد الله بن الحسن العنبري - القاضي والفقيه والمحدث - لا يرى به بأساً (أي الغناء)... إلى أن قال:... في حين كان قاضي المدينة ومحدثها إبراهيم بن سعد لا يرى به بأساً» أ. هـ.

قلت: وهذا الكلام مردود من وجوه:

الوجه الأول: أما إبراهيم بن سعد فقد ثبت عنه قوله بتحليل السماع، وقد غلط من نسبه مذهباً لأهل المدينة بسبب قوله؛ فقد صح عن مالك أنه سئل عن السماع فقال: إنما يفعله عندنا الفساق. أما عبيد الله بن الحسن العنبري فقد كفانا ابن القيم - رحمه الله - مؤونة الرد على الدكتور؛ حيث قال: «عبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة مطعون فيه»[1]. يعني في دينه، وقد ذكر ابن حجر في ترجمته من التهذيب ما يدل على توبته؛ فهذه من زلات بعض العلماء التي أُنكرت عليهم، غفر الله لهم[2].

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: «قال الطبري: فقد أجمع علماء الأمصار على كراهية الغناء والمنع منه، وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد وعبيد الله العنبري، وقد قال ﷺ: من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية» ثم قال بعد ذلك بقليل: «فهذا قول علماء الشافعية وأهل التدين منهم (أي في تحريم الغناء)، وإنما رخص في ذلك من متأخريهم من قل علمه، وغلبه هواه» ا. هـ[3].

قال ابن رجب - رحمه الله -: «وقد حكى زكريا ابن يحيى الساجي اتفاق العلماء على النهي من الغناء إلا إبراهيم بن سعد المدني وعبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة، وهذا في الغناء دون سماع آلات الملاهي؛ فإنه لا يعرف عن أحد ممن سلف الرخصة فيه» ا. هـ[4].

وقال: «وهذا الخلاف في سماع الغناء المجرد، فأما سماع آلات اللهو فلم يُحْكَ في تحريمه خلاف»[5].

الوجه الثاني: أن قولهم ليس بحجة، بل الواجب رده؛ لأنه من المحدثات، لقول النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد» متفق

(١) إغاثة اللهفان، (١/٢٣٠).

(٢) قلت: وقد حذر العلماء من تتبع زلات العلماء، قال بعض السلف: «من حمل شاذ العلم حمل شراً كبيراً» رواه أبو بكر الخلال في «الأمر بالمعروف» ص ٣٣، ونحوه قال سليمان التيمي: «إن أنت أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله» رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩١).

(٣) تلبيس إبليس، ص ٢٤٥.

(٤) نزهة الأسماع في مسألة السماع، ص ٦٩.

(٥) المصدر السابق، ص ٧٤.

عليه من حديث عائشة رضي الله عنها. وفي رواية لمسلم والبخاري تعليقاً مجزوماً به: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وقد ثبت تحريم الغناء والمعازف عن الرسول ﷺ من وجوه كثيرة، ولا قول لأحد مع الرسول ﷺ.

قال مجاهد: «ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ».

الوقفة الثانية: قال الكاتب: «ورُوي عن الإمام أحمد بن حنبل في الغناء ثلاث روايات: الحل، والكراهة، والحرمة..».

وللجواب عن هذا أقول:

أما مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - في سماع الغناء فقد بينه ابنه عبد الله، قال: سألت أبي عن الغناء، فقال: يتبت النفاق في القلب[1] لا يعجبني، ثم ذكر قول مالك: إنما يفعله عندنا الفساق.

وقال الحافظ: أبو الفرج ابن الجوزي - رحمه الله -: «أما مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - فإنه كان الغناء في زمانه إنشاد قصائد الزهد، إلا أنهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنه: فروى عنه ابنه عبد الله أنه قال: «الغناء ينبت النفاق في القلب، لا يعجبني». وروى عنه إسماعيل بن إسحاق الثقفي: أنه سئل عن استماع القصائد، فقال: أكرهه، هو بدعة، ولا يجالسون... وروى عنه أبو الحارث أنه قال: التغبير بدعة، فقيل له: يرقق القلب فقال: هو بدعة».

«فهذه الروايات كلها دليل على كراهية الغناء...» إلى أن قال: «فبان من هذه الجملة أن الروايتين عن أحمد في الكراهة وعدمها تتعلق بالزهديات الملحنة، فأما الغناء المعروف اليوم فمحظور عنده، كيف لو علم ما أحدث الناس من الزيادات» انتهى كلام ابن الجوزي[2].

وقد أجمع الأئمة الأربعة وأهل العلم على المنع من الغناء وآلات اللهو، وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية اتفاقهم على ذلك، فقال: «وآلات اللهو لا يجوز اتخاذها، ولا الاستئجار عليها عند الأئمة الأربعة..

وقال: وأما الغناء المجرد فمحرم عند أبي حنيفة ومالك، وهو أحد القولين في مذهب الشافعي، وأحمد، وعنهما أنه مكروه».

● **الوقفة الثالثة:** قال كاتب المقال: «أما المرويات والمأثورات التي تحرم الغناء والمعازف فلقد ثبت بمقاييس الرواية ومعايير الجرح والتعديل للرواة أن جميعها مطعون فيه، وليس فيها حديث واحد صحيح (!!)، ومع ذلك روَّجها وأشاعها واستخدمها الذين لا دراية لهم بصناعة الحديث ومقاييس صحته..» ثم ذكر كلاماً لابن طاهر وابن حزم في الطعن في الأحاديث الناهية عن الغناء.

وكلامه مردود من عدة وجوه:

الوجه الأول: تأمل قوله: (وليس فيها حديث واحد صحيح) وما فيه من التلاعب بعقول القراء، والتمويه على الجهلة الأغبياء، كما لا يخفى على من نوَّر الله قلبه بنور العلم والإيمان.

الوجه الثاني: أن في كلام الدكتور تجاوزاً ظاهراً؛ حيث زعم أنه لم يرد فيها نص ثابت في تحريم الغناء وآلاته، وأين هو من الأحاديث الثابتة الصحيحة، ومن ذلك:

١ - ما أخرجه البخاري في صحيحه (٥٥٩٠) من حديث أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - أن

---

(١) قد ثبت هذا من قول ابن مسعود رضي الله عنه، وإسناده صحيح، انظر «تحريم آلات الطرب» للعلامة الألباني رحمه الله، ص ١٤٥.

(٢) تلبيس إبليس (١٤٩، ١٥٠).

النبي ﷺ قال: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ[1]، والحرير، والخمر، والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب عَلَمٍ، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم - يعني الفقير - لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة».

٢ - ما أخرجه ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» بإسناد حسن أن النبي ﷺ قال: «إن في أمتي خسفاً ومسخاً وقذفاً، قالوا: يا رسول الله! وهم يشهدون أن لا إله إلا الله؟ فقال: نعم، إذا ظهرت المعازف، والخمور، ولبس الحرير».

٣ - ما رواه عمرو بن الوليد بن عبدة عنه به مرفوعاً بلفظ:

«إن الله - عز وجل - حرم الخمر، والميسر، والكوبة[2]، والغبيراء، وكل مسكر حرام» أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦٥٩١) والبيهقي بإسناد صحيح، إلى غير ذلك من الأحاديث الثابتة الصحيحة المروية عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم.

الوجه الثالث: أن الأدلة ليست مقصورة على الكتاب والسنة، بل يستدل بهما وبالإجماع وبقول الصحابي إذا لم يعرف له مخالف منهم على القول الصحيح، وبالقياس الصحيح عن جمهور العلماء، وبغير ذلك مما هو مقرر في كتب الأصول، ولم يخالف في حجية الإجماع إلا أهل البدع والأهواء، ولا عبرة بخلافهم؛ حيث إن الإجماع لا يكون إلا عن دليل سالم من الطعن والمعارض.

الوجه الرابع: عوَّل الكاتب على إعلال ابن طاهر وابن حزم للأحاديث الصحيحة، مموهاً على القراء، وابن حزم الظاهري من العلماء الحفاظ، قال الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٨٤): «وكان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر، وفيه دين وخير ومقاصده جميلة، ومصنفاته مفيدة، وقد زهد في الرئاسة ولزم منزله مكباً على العلم، فلا نغلو فيه، ولا نجفو عنه، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار»، وقال أيضا: «ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح، ومعرفته به، وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل، والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير ما مسألة» ا. هـ.

ولابن حزم - رحمه الله - كلام في الجرح والتعديل، والنقد والتعليل منثور في مؤلفاته ومصنفاته.

فما هو موقف العلماء منه؟

قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/ ١٩٨ - ٢٠٢) في ترجمة ابن حزم: «كان واسع الحفظ جداً، إلا أنه لثقته بحافظته كان يهجم على القول في التعديل والتجريح وتبيين أسماء الرواة، فيقع له من ذلك أوهام شنيعة».

وقال العلامة المحدث الألباني - رحمه الله -: «وابن حزم - مع علمه وفضله وعقله - فهو ليس طويل الباع في الاطلاع على الأحاديث وطرقها ورواتها»، وقال بعد ذلك: «فينبغي ألاَّ يؤخذ كلامه على الأحاديث إلا بعد التثبت من صحته وعدم شذوذه»[3].

أما ابن طاهر - رحمه الله - فقد قال ابن حجر

---

(١) ورد في رواية أخرى بلفظ (الخز) وقد رجح الإمام عبد الحق الإشبيلي في «الأحكام» رواية: «الحِرَ» كما نقله الزيلعي في نصب الراية (٤/ ٢٢١). والعَلَم: الجبل.

(٢) قال الخطابي في «المعالم» (٥/ ٢٦٨): «والكوبة» يُفسَّر بـ (الطبل) ويقال: هو (النرد)، ويدخل في معناه كل وتر ومزهر ونحو ذلك من الملاهي والغناء» انتهى نقلاً عن «تحريم آلات الطرب» للألباني.

(٣) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ١٤١).

الهيتمي عنه: «وأما حكاية ابن طاهر عن صاحب التنبيه أنه كان يبيح سماع العود ويسمعه، وأنه مشهور عنه، وأن أحداً من علماء عصره لم ينكره عليه، وأن حلّه هو ما أجمع عليه أهل المدينة، فقد ردوا على ابن طاهر بأنه مجازف إباحي كذاب رجس العقيدة بخسها..» (إلى أن قال): «فإن ابن طاهر متكلَّم فيه عند أهل الحديث بسبب الإباحة وغيرها» ا. هـ [1].

الوقفة الرابعة: ذكر الكاتب الأحاديث التي أوردها ابن حزم ـ رحمه الله ـ في رسالته قادحاً في رواتها، ومضعفاً لأسانيدها؛ ولذلك تعقبه العلماء ـ أهل الحديث ـ في توهينه للأحاديث الصحيحة أو ذات الإسناد الحسن، وفيما يلي بعض الأحاديث التي أوردها صاحب المقال، وسأعقبها بأقوال أهل العلم، فأقول وبالله التوفيق:

١ ـ حديث معاوية: «أن رسول الله ﷺ نهى عن تسع... منهن الغناء» قال ابن حزم في رسالته في معرض نقده لهذا الحديث ص٤٣٤: «وأما حديث معاوية فإن فيه كيسان، ولا يدرى من هو، ومحمد ابن مهاجر، وهو ضعيف» ا. هـ.

قلت: قد خالف ابن حزم الأئمة الحفاظ في هذا؛ حيث نقل أهل هذا الفن بأن محمد بن مهاجر هذا ثقة، وثقه أحمد وابن معين ودحيم وأبو زرعة الدمشقي وأبو داود ويعقوب بن سفيان وابن حبان والعجلي، ولم يجرحه أحد، فقول ابن حزم: «ضعيف» غلط، لكن الحديث ضعيف لجهالة كيسان[2].

٢ ـ نقل الكاتب من كلام ابن حزم قوله: «حديث سلام بن مسكين، عن شيخ شهر بن مسعود يقول: «الغناء ينبت النفاق في القلب» في رواة هذا الحديث شيخ لم يُسَمَّ، ولا يعرفه أحد» ا. هـ.

لكن هذا الأثر عن ابن مسعود صححه بعض أهل العلم، قال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ: «قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات[3]. وقد أشار إليه ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١/٢٤٨)، وقال: «وهو صحيح عن ابن مسعود من قوله»».

قال الألباني معقباً على قول ابن القيم: «ولكنه في حكم المرفوع؛ إذ مثله لا يقال من قِبَل الرأي، كما قال الآلوسي في «روح المعاني» (١١/٦٨)» ا. هـ.

أما قول ابن حزم: «في رواة هذا الحديث شيخ لم يسمَّ، ولا يعرفه أحد» فهذا «من سوء تصرف ابن حزم في الأحاديث؛ فإن عدم معرفته بأحوال الرواة لا يستلزم سقوط الخبر؛ فقد يعرف غيره ما جهله»[4]، «ومن المقرر عند العلماء أن من عرف حجةٌ على من لم يعرف»[5].

٣ ـ ثم ذكر كاتب المقال نقلاً عن ابن حزم ـ رحمه الله ـ تضعيف حديث أبي مالك الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف».

ثم أورد إعلال ابن حزم لهذا الحديث بقوله: «لم يورده البخاري مسنداً، وإنما قال فيه: قال هشام ابن عمار، ثم هو إلى أبي عامر، أو إلى أبي مالك، ولا يُدرى أبو عامر هذا» ا. هـ. من رسالته.

---

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» لابن حجر الهيتمي (٢/٤٦١).

(٢) أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان، للشيخ عبد الله الجديع، ص ٨٠.

(٣) تحريم آلات الطرب، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، ص ١٤٥.

(٤) تنبيه اللاهي على تحريم الملاهي، للشيخ إسماعيل الأنصاري ص ٣٤.

(٥) تحريم آلات الطرب، ص ٤٧.

فأعلَّه ابن حزم بعلتين: الأولى الانقطاع بين البخاري وهشام، والأخرى جهالة الصحابي الأشعري.

والجواب عن قدح ابن حزم لهذا الحديث من وجوه عدة:

الوجه الأول: رد الإمام ابن القيم - رحمه الله - إعلال ابن حزم على هذا الحديث في بعض كتبه؛ حيث قال في «تهذيب سنن أبي داود» (٥/٧٠م):

«وقد طعن ابن حزم وغيره في هذا الحديث، وقالوا لا يصح؛ لأنه منقطع، لم يذكر البخاري من حدَّث به، وإنما قال: (وقال هشام بن عمار)! وهذا القدح باطل من وجوه:

أحدها: أن البخاري قد لقي هشام بن عمار، وسمع منه، فإذا روى عنه معنعناً، حمل على الاتصال اتفاقاً[1]، لحصول المعاصرة والسماع، فإذا قال: (قال هشام) لم يكن فرق بينه وبين قوله: (عن هشام) أصلاً.

والثاني: أن الثقات الأثبات قد رووه عن هشام موصولاً:

قال الإسماعيلي في (صحيحه): أخبرني الحسن: حدثنا هشام بن عمار... بإسناده ومتنه سواء. والحسن: هو ابن سفيان.

الثالث: أنه قد صح من غير حديث هشام:

قال الإسماعيلي في (الصحيح): حدثنا الحسن، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثنا بشر، حدثنا ابن جابر عن عطية بن قيس قال: قام ربيعة الجرشي في الناس.. فذكر حديثاً فيه طول، قال: فإذا عبد الرحمن بن غَنْمٍ، فقال: يميناً حلفت عليها، حدثني أبو عامر - أو أبو مالك - الأشعري: والله - يميناً أخرى - حدثني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليكونن في أمتي قوم يستحلون الخمر - وفي حديث هشام: الخمر والحرير، وفي حديث دُحَيْم: الخَزَّ والحرير والخمر والمعازف..» فذكر الحديث.

ورواه عثمان بن أبي شيبة: حدثنا زيد بن الحباب قال: أخبرني معاوية بن صالح: حدثني حاتم بن حُريث عن مالك بن أبي مريم قال: تذاكرنا الطلاق، فدخل علينا عبد الرحمن بن غَنْم، فقال: حدثني أبو مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ فذكر الحديث بلفظه.

الرابع: أن البخاري لو لم يلق هشاماً، ولم يسمع منه، فإدخاله هذا الحديث في «صحيحه» وجزمُهُ به، يدل على أنه ثابت عنده عن هشام فلم يذكر الواسطة بينه وبينه: إما لشهرتهم، وإما لكثرتهم، فهو معروف مشهور عن هشام، تغني شهرته به عن ذكر الواسطة.

الخامس: أن البخاري له عادة صحيحة في تعليقه، وهي حرصه على إضافته الحديث إلى من علقه عنه إذا كان صحيحاً عنده، فيقول: (وقال فلان) (وقال رسول الله ﷺ) وإن كان فيه علة، قال: (ويذكر عن فلان) أو (ويذكر عن رسول الله ﷺ).

ومن استقرأ كتابه علم ذلك، وهنا قد جزم بإضافة الحديث إلى هشام، فهو صحيح عنده.

السادس: أنه قد ذكره محتجاً به، مدخلاً له في كتابه (الصحيح) أصلاً لا استشهاداً؛ فالحديث صحيح بلا ريب» انتهى.

وقال أيضاً في «إغاثة اللهفان» (١/٢٥٨) بعد إيراده الحديث: «هذا حديث صحيح، أخرجه

---

(١) وزاد في «إغاثة اللهفان» (١/٢٦٠): «فالبخاري أبعد خلق الله من التدليس».

البخاري في (صحيحه) محتجاً به، وعلقه تعليقاً مجزوماً به..».

ثم قال: «ولم يصنع من قدح في صحة هذا الحديث شيئاً، كابن حزم، نصرة لمذهبه الباطل في إباحة الملاهي، وزعم أنه منقطع؛ لأن البخاري لم يصل سنده به، وجواب هذا الوهم من وجوه....» فذكر الوجوه آنفة الذكر، ثم قال: «لو ضربنا عن هذا كله صفحاً، فالحديث متصل عند غيره...» ثم ذكر من وصله.

وقال في «روضة المحبين» ص ١٣٠:

«... وأما أبو محمد [ابن حزم] فإنه على قدر يُبْسه وقسوته في التمسك بالظاهر، وإلغائه للمعاني والمناسبات والحكم والعلل الشرعية، انْمَاعَ في باب العشق والنظر وسماع الملاهي المحرمة، فوسَّع هذا الباب جداً، وضيَّق باب المناسبات والمعاني والحكم الشرعية جداً، وهو من انحرافه في الطرفين حين رَدَّ الحديث الذي رواه البخاري في (صحيحه) في تحريم آلات اللهو بأنه معلق غير مسند، وخفي عليه أن......» ثم رد عليه بنحو ما سبق، وقال:

«... فأبطل سنة صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ لا مطعن فيها بوجهٍ».

وقال العلاَّمة الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» [٤٧٥/٦]:

«والبخاري إذا علق شيئاً بصيغة الجزم يحتج به، ثم إن البخاري علقه عن هشام بن عمار وقد لقيه، فيحمل على السماع. فالحكم حينئذ للوصل، كما هو معروف في موضعه» ا. هـ.

وقال ابن حجر الهيتمي في «الزواجر» ص٤٦٠:

«ومن عجيب تساهل ابن حزم واتباعه لهواه أنه بلغ من التعصب إلى أن حكم على هذا الحديث وكل ما ورد في الباب بالوضع وهو كذب صراح منه، فلا يحل لأحد التعويل عليه في شيء من ذلك».

وقال قبل ذلك: «وصح (أي هذا الحديث) من طرق خلافاً لما وهم فيه ابن حزم فقد علقه البخاري، ووصله الإسماعيلي، وأحمد، وابن ماجة، وأبو نعيم، وأبو داود بأسانيد صحيحة لا مطعن فيها، وصححه جماعة آخرون من الأئمة كما قاله بعض الحفاظ» ا. هـ.

«وخلاصة الكلام في هذا الحديث أن مداره على عبد الرحمن بن غنم، وهو ثقة اتفاقاً، رواه عنه قيس بن عطية الثقة، وإسناده إليه صحيح، وعلى مالك بن أبي مريم، وإبراهيم بن عبد الحميد، وهو ثقة، وثلاثتهم ذكروا (المعازف) في جملة المحرمات المقطوع بتحريمها؛ فمن أصر بعد هذا على تضعيف الحديث فهو متكبر معاند، ينصبُّ عليه قول النبي ﷺ: (لا يدخل الجنة، من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) الحديث، وفيه: (الكبر: بطر الحق وغمط الناس) رواه مسلم»[1].

وبهذا ينتهي الجواب عن العلة الأولى وهي الانقطاع التي زعمها ابن حزم ومقلدوه، وتبين جلياً أنها (سراب) وبقي الجواب عن العلة الأخرى، وهي الشك في اسم الصحابي، فأقول:

الجواب عن العلة الثانية: أن إعلال ابن حزم لهذا الحديث بسبب الشك في اسم الصحابي، شبهة أشد ضعفاً عند العلماء، وفي ذلك قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٢٤/١٠):

«الشك في اسم الصحابي لا يضر، وقد أعله بذلك ابن حزم وهو مردود».

(١) تحريم آلات الطرب، ص ٥١.

فالصحابة - رضوان الله عليهم - كلهم عدول؛ فالشك غير قادح «وذلك لأن الراوي عند تصريحه بالسماع من النبي ﷺ ثقة من كبار التابعين؛ بل قيل بصحبته؛ فهو من العارفين بصحبة محدثه عن النبي ﷺ ولا سيما وقد أكد ذلك بقوله: (والله ما كذبني) فلا يضرنا بعد ذلك شكه وتردده ما دام أنه أخبرنا بصحبته»[١].

«وقول ابن حزم: (ولا يدرى أبو عامر هذا) مردود عليه؛ إذ أبو عامر صحابي، والصحابي ثقة، سواء عرف اسمه أم لم يعرف، أو عرفت كنيته أم لم تعرف، كما هو مذهب جماهير أهل العلم»[٢].

والخلاصة: أن الشك في هذه الرواية ليس من وجوه الاضطراب في شيء ولا يمكن القدح بسببه في هذه الرواية. فأبو عامر أو أبو مالك كلاهما ثابت الصحبة.

لذا قال العلامة العيني في «عمدة القاري» (٣١/ ١٧٥) رداً على من شكك في صحة الحديث بسبب التردد في اسم الصحابي:

«هذا ليس بشيء؛ إذ التردد في الصحابي لا يضر؛ إذ كلهم عدول»

قال الشيخ إسماعيل الأنصاري، بعد أن رد هذه الدعوى: «فبهذا تبين اتصال الحديث وبطلان كلام ابن حزم فيه، ولذلك حذر العلماء من الاعتماد على كلام ابن حزم فيه، كابن الصلاح في (مقدمة علوم الحديث) وابن كثير في (الباعث) وابن عبد الهادي في (المحرر)، والعراقي في (ألفية المصطلح) وابن القيم في (تهذيب السنن) وفي (إغاثة اللهفان)، وفي (روضة المحبين) والحافظ ابن حجر في (فتح الباري) والعيني في (عمدة القاري) وغيرهم»[٣].

٤ - قال الدكتور معلقاً على حديث البخاري السابق: «وأنا أضيف إلى القدح في إسناد هذا الحديث أنه يتكلم عن قوم يستحلون الزنا والخمر، ويقرنون مجالس الزنا والخمر هذه بالمعازف التي أصبحت عوناً على الكبائر والفواحش، فليست المعازف هنا مفردة، ولا مرادة لذاتها» ا. هـ.

أقول: «اجعل (أضيف) عند ذاك الكوكب»[٤]، فإن هذا التعليل فاسد من وجوه:

أحدها: ليس في الحديث ما يدل على أن التحريم المذكور إنما هو على شرط استحلال الخمر والزنا فقط، بل ظاهر الحديث يدل على أن التحريم المذكور مرتب على مجموع ما ذكر فيه من استحلال الخمر والزنا والحرير والمعازف.

ثانياً: من عجيب أمر صاحب المقال عدوله عما يدل عليه ظاهر الحديث، واتباعه للظن في ترتيب الوعيد على استحلال الخمر والزنا فقط، مع أنه من المقرر أن الدين لا يؤخذ بالظن.

ثالثاً: أن التأويل الذي ذهب إليه الدكتور لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس ولا قول صحابي، وما لم يكن عليه دليل فليس عليه تعويل.

٥ - حديث أبي مالك الأشعري، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يشرب ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، تضرب على رؤوسهم المعازف والقينات، يخسف بهم الأرض» ضعفه ابن حزم، وتبعه الكاتب مقلداً، وقد صححه ابن القيم في موضعين من «الإغاثة» (١/ ٣٤٧ و ٣٦١).

وقال: «وهذا إسناد صحيح» وتبعه السيوطي في «الجامع الصغير» والمناوي في «فيض القدير»

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٥.

(٢) الكاشف، للشيخ علي حسن علي عبد الحميد الأثري، ص ٤٧.

(٣) تنبيه اللاهي، ص ٢٢.

(٤) اقتباس مما رواه الطبراني (١٢/ ٣٦٤/ ١٣٠٥٨) بسند صحيح عن أبي مجلز، قال: كنت أسأل ابن عمر عن الوتر، فجعل يقول: آخر الليل، فقلت: أرأيت... ؟ أرأيت...؟ فقال: «اجعل (أرأيت) عند ذاك الكوكب».

وانظر مجموع الفتاوى (١١/٥٧)، وصيانة مسلم لابن الصلاح (٨٢، ٨٣).

كما أن الألباني صححه كما في «تحريم آلات الطرب» ص٤٥، وفي «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ١٨٨٧).

٦ - حديث عقبة بن عامر الجهني: «قال رسول الله ﷺ: كل شيء يلهو به الرجل فباطل إلا رمي الرجل بقوس، أو تأديبه فرسه، أو ملاعبته امرأته، فإنهن من الحق»، وقال ابن حزم: «وفي رواة هذا الحديث عبد الله بن زيد بن الأزرق وهو مجهول.. وللحديث طريق آخر، في رواته: خالد بن زيد وهو مجهول».

والجواب عن هذا أن يقال:

«هذا الحديث جيد الإسناد، رواته كلهم ثقات، وقد رواه الدارمي والترمذي وابن ماجة في سننهم من طريق هشام الدستوائي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن» وعبد الله بن زيد بن الأزرق معروف عند أهل العلم، وقد وثقه ابن حبان وحسن حديثه الترمذي، وقال الحافظ ابن حجر في (التقريب): إنه مقبول.

أما خالد بن زيد فقد قال عنه الحافظ في (تهذيب التهذيب): خالد بن زيد بن خالد الجهني ذكره ابن حبان في (الثقات)»[1].

وصححه العلامة الألباني - رحمه الله - في «الصحيحة» (١/٦٢٧).

٧ - حديث: «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو ولعب إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة» ثم ذكر إعلال ابن حزم له... إلى أن قال ابن حزم: «ثم إن هذا الحديث ليس فيه تحريم... فاللعب - كما في هذه الرواية و (السهو واللغو) كما في روايته الأخرى - غير التحريم».

والجواب أن يقال: قد صحح هذا الحديث الحافظان: عبد العظيم المنذري، وابن حجر العسقلاني، وهما أعلم بالرجال وجيد الأسانيد وضعيفها من ابن حزم. قال ابن حجر في الإصابة: «رواه النسائي بإسناد صحيح، وقال الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب): رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد».

أما قول ابن حزم: «ثم ليس فيه إلا أنه سهو ولغو وليس فيه تحريم».

فجوابه: أن يقال إن المراد باللغو - كما في حديث: «كل شيء ليس من ذكر الله - عز وجل - فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال...» الحديث: هو الباطل، وكما تقدم ذلك صريحاً في رواية عبد الله ابن الأزرق[2]. وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (٤٥٣٤).

٨ - حديث أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «يمسخ قوم من أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير، قالوا: يا رسول الله! يشهدون أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله؟ قال: نعم! ويصلون ويصومون ويحجون. قالوا: فما بالهم يا رسول الله؟ قال: اتخذوا المعازف والقينات والدفوف ويشربون هذه الأشربة، فباتوا على لهوهم وشرابهم فأصبحوا قردة وخنازير».

ثم أعله ابن حزم بقوله: «هذا الحديث مروي عن رجل لم يُسَمَّ ولم يُدْرَ من هو».

أقول: حُكْمُ ابن حزم على هذا الحديث بالسقوط، لكونه لم يعرف بعض من فيه من

---

(١) فصل الخطاب في الرد على أبي تراب، للشيخ حمود التويجري، ص ٢٧٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٠.

الرواة، دعوى لا زمام لها ولا خطام، ولو أن كل من جهل أحداً من المحدثين حكم بسقوط حديثه، لسقط كثير من الأحاديث الصحيحة؛ لأنه ليس أحد من العلماء يحيط علماً بجميع الرجال، وشاهد ذلك كتب الجرح والتعديل وأسماء الرواة؛ فإنه يوجد في بعضها ما لا يوجد في بعضها الآخر، ويخفى على بعض العلماء ما لا يخفى على غيره.

وأقول أيضاً: إنه ثبت أن هذا الحديث إسناده حسن كما بين ذلك الشيخ عبد الله الجديع - حفظه الله - في كتابه القيم: «أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان» ص ٣٦ وما بعدها؛ فليراجعه من شاء.

٩ - حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول ﷺ: «من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه»، قال ابن حزم: «هاشم وعمر مجهولان، ومكحول لم يلق عائشة».

الجواب أن يقال: «هذا حديث ضعيف كما قاله ابن حزم، وليس هو مما يحتج به القائلون بتحريم الغناء كما زعم ذلك ابن حزم، وإنما يذكرونه وأمثاله للاستئناس والاستشهاد، وفي الأحاديث الصحيحة غنية عنه وعن أمثاله من الأحاديث الضعيفة»[1].

١٠ - قال الدكتور نقلاً عن ابن حزم: «حديث ابن شعبان عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قول الله - عز وجل -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ﴾ [لقمان: ٦]، قال: الغناء، وأحاديث ابن شعبان هالكة».

أقول: إن تفسير ﴿لهو الحديث﴾ بالغناء قد ثبت عن عدد من الصحابة منهم:

ابن عباس رضي الله عنه، كما روى ذلك البيهقي في سننه (١٠/٢٢٣)، والبخاري في الأدب المفرد، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص ٢٣١) وغيرهم. وروى البخاري في تاريخه الكبير (٤/٢١٧) عن عكرمة (لهو الحديث: الغناء) وعكرمة وارث علم ابن عباس.

وقد ورد أيضا من قول ابن مسعود - رضي الله عنه - كما أخرج ذلك البيهقي في السنن (١٠/٢٢٣)، وفي شعب الإيمان، وابن الجوزي في «التلبيس» ص ٢٣١؛ حيث سئل عن هذه الآية فقال: هو الغناء؛ والذي لا إله إلا هو - يرددها ثلاث مرات، وإسناده حسن[2].

وكذلك ورد عن عدد من التابعين منهم: قتادة، وعكرمة، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، وغيرهم.

١١ - ثم قال الكاتب تحت عنوان: «الحرمة للتوظيف لا للذات».

قال: «ثم إنه مع التسليم بأن المراد باللهو هنا الغناء، فهو ليس مطلق الغناء، ولا كل الغناء، وإنما هو الغناء الذي يتخذه المشركون ليضلوا عن سبيل الله، وليتخذوا سبيل الله هزواً.. فحرمته ليست لذاته وإنما لتوظيفه في الإضلال عن سبيل الله، وكل ما يضل عن سبيل الله حرام حتى ولو كان واجباً، أو مندوباً في ذاته».

فأقول جواباً على ذلك: إن الدكتور نسي أو تناسى - وكلاهما مر - أن اللام في قوله - تعالى -: (ليضل) إنما هي لام العاقبة كما في تفسير «الواحدي» أي: ليصير أمره إلى الضلال، كما قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣١٧/٦). فليس هو للتعليل.

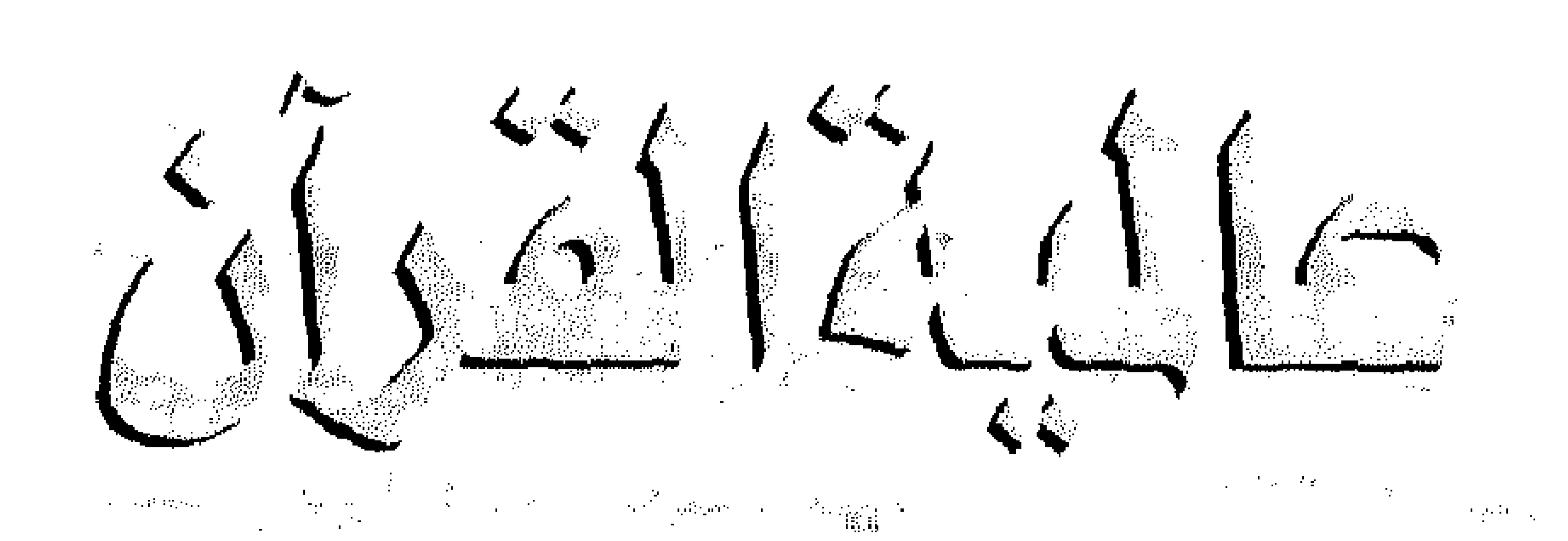
ومن خلال ما تقدم، تبين المدى الذي وصل إليه الكاتب متابعاً ابن حزم من توهين الأحاديث الصحيحة، وتبين أنها مجرد جعجعة بدون طحن، ولولا خشية الإطالة لتتبعت الكاتب في سائر ما ذكر، لكن في هذا القدر كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد، والله المستعان.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٩٤.

(٢) انظر «أحاديث الغناء» ص ١٤٧.





عالمية القرآن

د. محمد خليل جيجك

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن العصر الذي نحن فيه أتى معه إلى جنب ذلك التقدم الهائل في ساحات العلم والمعرفة وغيرها بمشاكل فكرية عقدية كثيرة. ولا جرم أن من أهم ما أصيب في هذا العصر بالقسط الأوفر من المشاكل والأزمات هو الدين بحقه وباطله. أما تلك الأديان الباطلة فاستُخِفَّت أمام أعاصير شبهات المعاصرين استخفاف الريشة أمام الرياح العاصفة فلم تقاومها لا في نقير ولا قطمير.

أما دوامها على الساحة فلمجرد كونها تشكل عنصراً ثقافياً أو ثقافة فلكلورية للقوم الذين ينتسبون إليها، وأما الدين الإسلامي الحنيف الذي هو الدين الحق فاستطاع بما يحتوي عليه من تلك البراهين الواضحة والأدلة القاطعة أن يقاوم ذاك الباطل الوافد إليه من الخارج الذي استقدمه بعض الأغرار فاشتدت صولة المعاصرين الوضعيين وأذنابهم من الذين يريدون أن يستأصلوا شأفة الدين بأجمعه عن المجتمع فاشتدت صولتهم على الإسلام، وأتوا في كل يوم بباطل جديد وهجوم شديد، وازدادت مع الأيام مخططاتهم ضد الحق وأهله؛ لأنهم رأوا في الإسلام مقاومة متينة ما كانوا يحسبون حسابها، فهجموا على الإسلام هجمة شرسة، وحاولوا النيل من عقائده وزلزلة كيانه في القلوب والصدور باختلاق الأكاذيب الشنيعة عليه مما هو منه براء. ومن جملة تلك الأباطيل التي حاكوها وصار ينعق بها أجراؤهم ما اختلقوه ضد كتاب الإسلام في الآونة الأخيرة، وهو زعمهم أنه كتاب تاريخاني خاطب عصراً محدداً فقط ثم عفى عليه الزمن، ولم يبق له في هذه الدنيا المعاصرة مفعول إجرائي.

فوجب على علماء المسلمين أن يتصدوا لرد هذا الافتراء الشنيع الذي رده القرآن بالكثير من آياته وغزير مضامينه وجزيل مفاهيمه، وأن يردوه رداً علمياً يقتنع به أرباب الخبرة والحكمة وينتفع به أصحاب الروية والبصيرة كما سنذكر ذلك فيما يلي:

تمهيد:

إن قيمة عالمية القرآن من أهم القضايا التي يتحتم على علماء المسلمين المعاصرين أن يبينوها ويذكروا وجه الصواب فيها بالبراهين العقلية والحجج النقلية والأدلة الناصعة؛ لأنه قد خرج في الأوساط المسلمة في مختلف بلاد العالم الإسلامي، في هذا القرن من ينكرون عالمية القرآن بزعم تاريخانيته ـ كما أسلفنا ذلك ـ مع أننا ـ نحن معاشر المسلمين سلفاً

وخلفاً. منذ أن بعث الله هذا الكتاب إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - نعتقد اعتقاداً جازماً انطلاقاً من نصوص كثيرة باهرة أن القرآن هو كتاب الله الذي خاطب البشرية به جميعاً إلى يوم القيامة بلا تقيد بزمان دون زمان، أو مكان دون مكان، أو جنس دون جنس، أو طبقة دون طبقة خاطبهم جميعاً بما يسعدهم في دنياهم وأخراهم من العقائد التي تليق بعظمة الخالق العظيم، والعبادات المعظمة لجلال الفاطر الحكيم التي تليق بقدسيته وكبريائه، والأحكام الرفيعة والأخلاق الفاضلة التي يسمو بها بنو البشر إذا طبقوها وعملوا بها - روحاً ونفساً، ومادة ومعنى، وفرداً ومجتمعاً. ويتطور المجتمع بما تحتوي عليه تلك المبادئ من الطاقات المحركة علماً وتفكيراً؛ فهو وحده القادر على تقديم بديل حضاري متضمن لأفضل الأسس لأكرم حضارة عالمية إنسانية تجاه ما ابتليت به الإنسانية من الحضارة الغربية التي لم تستطع أن تسعد الإنسان فرداً وجماعة سوى في جوانب طفيفة مادية.

عالمية القرآن إذاً من أوسع القضايا القرآنية مساحة وتغطية، ولكن لا يسعنا - وقد التزمنا الإيجاز في حدود هذه المقالة القصيرة لقلة بضاعتنا - إلا الإيماء بإشارات خفيفة لطيفة إلى هذا الموضوع الهام لعل الله يقيض له في مستقبل الأيام من رجالات العلم من يعطيه حقه.

ولكون القضية من البدهيات عند المسلمين بحيث لم يناقش فيه أحد عبر التاريخ الإسلامي كله رأينا أن علماء الإسلام ما كتبوا في الموضوع شيئاً يعتد به سوى بعض تلك المعلومات التفسيرية التي كتبوها بمناسبة تفسير تلك الآيات التي تدل على عالمية القرآن وهي آية: يوسف ١٢/١٠٤، الأنبياء ٢١/١٠٧، الفرقان ٢٥/١، سبأ ٣٤/٢٨، ص ٣٨/٨٧، القلم ٦٨/٥٢، التكوير ٨١/٢٧، وقد بحثنا في بعض المكتبات فلم نجد في الموضوع سوى بعض المقالات القصيرة لبعض العلماء.

وقبل عرض موضوع عالمية القرآن باعتبار مضمونه ومحتواه نرى أن نقدم بكلمة مختصرة عن التاريخانية التي ساقتنا إلى تناول هذا الموضوع.

إن مسألة تاريخانية[1] القرآن مسألة طلعت في زي الحداثة المزخرف المنمق من تحت قرن شيطان الاستشراق فلاكها بألسنتهم مقلدوهم من بعض مثقفي المسلمين عامداً بعضهم إلى ما تأتي به من العاقبة السيئة، وغير شاعر بعضهم الآخر بمغبتها المشؤومة التي أقلها زحزحة عقيدة بعض المسلمين وإضعاف ثقتهم بالقرآن - وهو الهدف الفريد الذي يسعى إليه بكدح بالغ المستشرقون وأذنابهم؛ لأنها لا تتواءم مع العقيدة الإسلامية الحقة، لا في قليل ولا كثير؛ فهي تتنافى مع علم الله المطلق التام، وتتنافى مع حقيقة خلود رسالة القرآن وأحكامه مدى العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأهم أهداف التاريخانية التي خطها لها شيطان الاستشراق ضمن خطة مزورة متدثرة بالعلمية والموضوعية (!) هو الإبانة عن أن القرآن أضحى قديماً مع الزمن وأبلاه كر الليالي وأخلقه مر العصور؛ حيث كان كتاباً تاريخانياً خاطب كتلة محدودة من البشر في قطاع خاص من التاريخ والزمن، وكان في مستطاعه في تلك الأزمنة المحدودة تقديم حلول نافعة لتلك الكتلة الخاصة في ذلك القطاع الخاص.

وأما بعد الذي حدث من ثورات عظيمة في معظم جوانب حياة الإنسان الفردية والاجتماعية والإدارية والسياسية والاقتصادية وغيرها فلم يبق القرآن بدوره التاريخاني قادراً على الإيفاء بتقديم حلول فاضلة صالحة للمجتمعات البشرية في جميع جوانب حياتها! هذا هو ما يستهدفه أولئك الظالمون! فإذا الهدف اللئيم الأثيم لهذه الخطة غير الرشيدة هو

(١) إن التاريخانية نزعة فلسفية يتخذ منها فلاسفة الغرب نظرة فلسفية إلى بعض الأمور لا صلة لها مع عالمية القرآن، ولكن للانبهار البالغ عند كثير من أبناء بلاد العالم الإسلامي لكل ما يهب من الغرب طبقوها على القرآن وجعلوها نظرة معاكسة لعالمية القرآن.

إقصاء القرآن بدوره الفاعل عن جميع نواحي الحياة. ولا يخفى أن هدفهم أن يجعلوا رسالة الإسلام والقرآن عبارة عن أمور أخلاقية وجدانية، في دائرة ضيقة لا صلة لها بتوجيه الحياة بمعناها الشمولي، وهذه الصورة الشوهاء المختلقة عن رسالة القرآن التي يمليها الاستعمار الغربي والتنصير العالمي على عملائه هي نفس كيان النصرانية التي باءت بالإخفاق والبوار لا في الإصلاح الجماعي فقط بل حتى في الحفاظ على وجودها الذاتي أيضاً في صميم بلادها، وكفاها ذلاً وهواناً لها ولأبنائها!

وخلال تناولنا لموضوع عالمية القرآن نقدم الاتجاه الاستدلالي على العرض المضموني؛ فإن الناحية الاستدلالية أوْلى وأهم من ناحية علاقتها الوثيقة بصلب الموضوع.

عالمية القرآن من الناحية الاستدلالية:

إن الحديث عن عالمية القرآن من أهم القضايا اللاصقة بالقرآن، لا سيما في عصرنا هذا؛ فطرح القضية على عواهنها من غير استدلال صحيح لا يأتي بشيء سوى أن يكون من باب الأمنيات؛ فالاهتمام بالأمر يوجب الاستدلال له من ناحيتي العقل والنقل؛ فلنذكر القضية مستدلين عليها من كلتا الناحيتين:

أ - من الناحية العقلية:

إن الذي ينكر عالمية القرآن إما أن يكون منكراً للقرآن أو مؤمناً به. أما المنكر: فللكلام معه مجال آخر.

وأما المؤمن به: فنقول له:

أولاً: كن صريحاً جريئاً لا تخادع ولا تراوغ؛ فإن كنت تؤمن بالقرآن عن صدق قلب وإخلاص نية ففتش في نفسك هل ترى أنك تكون من المؤمنين بالقرآن مع إنكارك لنصوص كثيرة منه تدل على عالمية القرآن بلا لبس ولا غموض؟ ولا مسوغ لإنكارك إياها أو تأويلها تأويلاً باطلاً لا يرضاه الله ولا رسوله سوى أنك تحاول أن ترضي بذاك بعضاً من سادتك في التفكير، أو ترضي نفسك بقبول فكرها الذي ترى أنها الأقوم الأصوب لموافقتها مع آراء العصريين.

وثانياً: إنك إذا أنكرت عالمية أحكام القرآن بليٍّ أعناق جميع تلك النصوص فهل تعلم أنك تكون واحداً من اثنين؟ إما أن تقول: إن القرآن لا يتدخل في الأحكام أبداً؟ وهو إنما بيَّن العقائد وشرح شيئاً من الأخلاقيات فقط فهذا أيضاً فرية بلا مرية، وهو من بداهة البطلان بمكان لكثرة النصوص التي تبين الأحكام في القرآن، حيث إن آيات الأحكام في القرآن تقارب عشرين بالمائة. وإما أن تقبل أن في القرآن أحكاماً متجهة إلى توجيه الحياة؟ ولكن تقول: غالب تلك الأحكام مضت فترتها التي كانت تعمل بها وعفى عليها الزمن وأبلاها الدهر. وحينئذ أيضاً تكون واحداً من اثنين: إما أن تقول: إن الله لم يعلم ما سيقع في المستقبل فلم يضع لها أحكاماً، إنما وضع أحكاماً لعصر النزول الذي كان يعلمه فقط فنقول له: هذا جهل عظيم أسندته إلى الله - تعالى - يتنافى مع ألوهيته على الإطلاق - تعالى الله عما تقول علواً كبيراً. وإما أن تسند البخل إليه سبحانه؛ حيث إن عدم إنزاله لما هو مفيد ونافع مع علمه به يستلزم البخل لا غير مما يتنافى مع رحمته ورأفته بعباده المؤمنين. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

إذا لاحظنا موقع القرآن بكونه آخر رسالات الله إلى الناس إلى يوم القيامة وخاتم الكتب الإلهية علمنا لتونا أن هذا القرآن نزل من يوم أن نزل يخاطب جميع البشر على جميع المستويات في جميع الأزمنة المتتالية إلى يوم القيامة وفي جميع الأمكنة على وجه البسيطة؛ بل الكل على حدٍّ سواء في كونه مخاطباً بخطابات القرآن المنزلة ومسؤولاً أمام تكاليفه النيرة المهيمنة على الزمان والمكان والمتغيرات. ولقد جاء هذا القرآن حينما بلغت البشرية سن الرشد العقلي، فجاء كتاباً مفتوحاً لجميع العقول لا في عصر النزول فقط، بل ليكون مستمراً في جميع الأزمان شاملاً لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدل بتغير الأزمان والمجتمعات مستعداً لتلبية الحاجات المتجددة أيضاً التي يعلمها خالق البشر، وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير[1].

---

(١) انظر: محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، ص ١٠١.

ب ـ من الناحية النقلية:

١ ـ الكتاب: إن عالمية القرآن تآزرت عليها جميع الأدلة المقبولة عند المسلمين من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فهناك العديد من الآيات التي تعلن أن هذا القرآن ذكرٌ لجميع العالمين: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤، ص: ٨٧، القلم: ٥٢، التكوير: ٢٧] فإذا ما حاولنا أن نستنبط من خلال التعابير القرآنية وألفاظها مقصودنا من عالمية القرآن وجدنا ذلك سهل المساغ، فإن تلك الآي الأربع التي تصرح بأن القرآن ذكر للعالم أجمع إنما أتت:

أولاً: في صورة الحصر[1]؛ والجملة بهذه الصورة الحصرية تنفي في هذا الصدد عن القرآن كل صفة تنافي عالميته وتجعل عالميته منصوصاً عليها بلا امتراء ولا ارتياب.

ثانياً: إن تذكيره ـ ومن ثم عالميته ـ إنما هي باعتبار الرسالة التي تؤديها إلى الإنس والجن، فتصلح من خللهم وتزيل من دغلهم؛ كما تنبئ عن ذلك مادة الذكر أيضاً؛ فإن اللفظة تعني أن القرآن ذكر يُذَكِّر الناس والجانَّ بما يحتاجون إليه فرداً وأسرة ومجتمعاً ودولة. يقول أبو حيان وابن عطية: إن كلمة «للعالمين» عام للإنس والجن ممن عاصروه وممن جاؤوا بعده؛ وهذا معلوم؛ من الحديث المتواتر وظواهر الآيات[2].

ثالثاً: إن صيغة العالمين وهي جَمْعٌ وتعريفها بـ (ال) التعريف تدل في العربية على معنى الاستغراق، كما ذكروا أن من صيغ العموم الجمع المعرف بـ (ال) مع أن مما لا ريب فيه عند كل من لديه أدنى إلمام بالعربية أن للفظة «عالَم» ـ مفرد العالمين ـ أيضاً دلالة صريحة واضحة بلا تكلف أو تعسف على العموم؛ فإن معناه كل: ما يُعلَمُ به وجود الصانع من كل ما في الكون، فإذا جمع بالواو والنون ـ كما هنا ـ يكون خاصاً بالعقلاء من الإنس والجن أجمعين. فإذاً تدل هذه اللفظة «للعالمين» أيضا على أن القرآن ذكر لجميع العقلاء من الإنس والجن جميعاً بلا تقييد بزمان أو مكان أو طبقة أو جنس حتى إنك ترى الرازي (ت ٦٠٦) انطلاقاً من عموم دلالة العالمين يقول: «لفظ (العالمين) يتناول جميع المخلوقات، فدلت الآية على أنه رسول للخلق عامة إلى يوم القيامة»[3] ومن البداهة بمكان أن عموم رسالة النبي ﷺ إنما يتحقق بعالمية كتابه الذي أرسل به إلى الناس كافة وهو يشكل رسالته التي يبلغها للناس عامة، وكذا يقول محمد صديق حسن: أي ما هذا القرآن أو الوحي أو ما أدعوكم إليه إلا ذكر من الله للجن والإنس العقلاء[4].

فالقرآن ذكر لهم (أي جميع الناس): يذكِّرهم بوجه الصواب في دينهم ودنياهم، يذكِّرهم بما يصلح حالهم فرادى وجماعات.

ذكر لهم جميعاً: بلا تفريق ولا تمييز بين غني أو فقير: بين شريف أو وضيع.

ذكر للكل: في كل زمان ومكان وعلى كل حال وفي كل مستوى وتجاه كل حكمة وهداية وبر. يقول المراغي في تفسير الآية المذكورة: «أي ما هذا القرآن إلا عظة للثقلين كافة وكل ذي عقل سليم وطبع مستقيم يشهد بصحته وبعده عن البطلان والفساد»[5].

وأيضا: فهناك آيات أخرى تصرح بعالمية القرآن كقوله ـ تعالى ـ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس ١٩٨٤، ج ١٧، ص٣١٠.

(٢) محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣/١٩٨٣، ج ٦/٤٨٠، محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٣/١٩٩٣، ج ٤، ص ١٩٩.

(٣) محمد فخر الدين بن عمر الرازي، التفسير الكبير، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٠١/١٩٨١، ج ٢٤/٤٥.

(٤) صديق حسن القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر ١٤١٠/١٩٨٩، ج ١٢/٧٣.

(٥) أحمد مصطفى المراغي، تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الخامسة، مصر ١٣٩٤/١٩٧٣، ج ٢٣/١٣٩.

أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ﴾ [الروم: ٥٨] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١]

كل هذه الآيات تجعل عالم العقلاء المكلفين على عمومهم بدءاً من زمن البعثة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سواء جنهم وإنسهم من غير تقييد بزمان دون زمان أو مكان دون مكان تجعلهم جميعاً محلاً ومناطاً لنزول القرآن والإنذار به، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. يقول ابن عاشور ـ رحمه الله ـ:

«صيغت بأبلغ نظم؛ إذ اشتملت هذه الآية ـ على وجازة ألفاظها ـ على مدح الرسول ﷺ ومدح مرسله تعالى، ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله ـ تعالى ـ للناس كافة وبأنها رحمة الله ـ تعالى ـ بخلقه.

فهي تشتمل على أربعة وعشرين حرفاً بدون حرف العطف الذي عطفت به ذُكِرَ فيها الرسول ومرسله ـ تعالى ـ والمرسل إليهم وخصوصية الحصر وتنكير (رحمة) للتعظيم؛ إذ لا مقتضي لإيثار التذكير في هذا المقام غير إرادة التعظيم وإلا لقيل: إلا لنرحم العالمين، أو إلا إنك الرحمة للعالمين، وليس التنكير للإفراد قطعاً، لظهور أن المراد جنس الرحمة، وتنكير الجنس هو الذي يعرض له قصد إرادة التعظيم. فهذه اثنا عشر معنى خصوصياً، فقد فاقت أجمع كلمة لبلغاء العرب وهي:

قفا نَبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل

إذ تلك الكلمة قصاراها ـ كما قالوا ـ: إنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل «دون خصوصية أزيد من ذلك فجمع ستة معان لا غير[1].

ويقول ابن القيم في هذا المقام: «أصح القولين في هذه الآية أنها على عمومها، وفيها على هذا التقدير وجهان:

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته؛ أما أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة. وأما أعداؤه المحاربون له فالذين عجل قتلهم وموتهم خير لهم؛ لأن حياتهم زيادة في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة وهم قد كتب عليهم الشقاء؛ فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر.

وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له.

وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهليهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره.

وأما الأمم النائية عنه فإن الله ـ سبحانه ـ رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

والوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد لكن المؤمنين قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها؛ كما يقال: هذا دواء لهذا المرض؛ فإذا لم يستعمله لم يخرج عن أن يكون دواءاً لذلك المرض[2].

ثم إن هناك كلمات وتراكيب في القرآن تخاطب الناس عامة بلا تقييد بزمن أو صنف أو طبقة أو جنس أو مستوى[3] مما يدل على عالميته ومضي

---

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، ١٩٨٤، ج ١٦/١٦٥، ١٦٦.

(٢) يسري السيد محمد، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية ١٤١٤/١٩٩٣، ج ٢/١٩٨.

(٣) إن القرآن يتجنب ما أمكن عن تلك الدوالّ الخصوصية التي تخص معنى اللفظة بأمر خاص أو فرد خاص أو مكان خاص أو مجتمع خاص أو طبقة خاصة أو نحوها من الخصوصيات. وهذا من أدل الدلائل على عالميته، ومن هنا تجد الألفاظ العامة مستعملة في القرآن بكثرة كالموصول العام ولفظة قوم النكرة والجمع المعرف باللام والنكرة في سياق النفي وأمثالها من ألفاظ العموم حتى إن بعضاً من العلماء أفرد الألفاظ العامة في القرآن بالذكر فصار كتاباً حافلاً قيماً في بابه منها تلقيح الفهوم في صيغ العموم لخليل بن الكيكلدا العلائي.

أحكامه إلى الأبد دون تقييد بأي شيء ما. كما يسترعي أنظارنا من هذه الناحية خصيصاً أن القرآن يتوخى جمل خطاب العموم دون الخصوص، والإطلاق دون التقييد، والإجمال دون التبيين ما وسع لذلك المقام والمرام.

فانطلاقاً من هذا المغزى الهام قلما ترى في القرآن المخصصات والمحددات والمقيدات تذكر؛ كالأمكنة المحددة أو الأزمنة الخاصة أو الأشخاص المعينة أو الأعراف والتقاليد المختصة أو الأحوال الخصوصية أو العوارض المشخصة التي لا يكون فيها درس أو عبرة أو حكمة للجميع، وإذا ما وقعت حاجة أثناء البيان القرآني للتخصيص بصفة أو نحوها فإنما ينتقي القرآن منها أيضاً تلك الصفات العامة التي خصوصيتها أقل كالمؤمنين والمتقين والصالحين والكافرين والمنافقين والغافلين والضالين وأمثالها مما لا يختص بجنس أو طبقة دون أن يقيد ذلك بالحجازيين أو المكيين أو المدنيين مثلاً مما يضيق دائرة دلالة اللفظ، ودون أن يخصص اللفظ؛ فالحكم بأبي بكر أو علي ـ رضي الله عنهما ـ مثلاً مما يجعل الأمر مقتصراً على واحد لا يتعداه رغماً من أن الصحابة عامة، وأهل الحرمين خاصة كانوا هم الملاصقين للرسول ﷺ ومن هنا ترى أن ألفاظ وتراكيب الآي النازلة لسبب خاص وحول قضية خاصة وفي شأن شخص خاص جردت من عناصر التخصيص والتقييد ما أمكن ذلك وما لم يلتبس الأمر التباساً؛ فمثلاً انظر إلى آيات الإفك فرغم أنها نزلت في أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ بإجماع مفسري أهل السنة فإنك لا ترى في تلك الآي تحديداً بالاسم والنسب والقرابة للمفترى عليها.

وانطلاقاً من الاتجاه القرآني إلى التعميم في غالب أحواله ودلالاته اتخذ علماء الفقه وأصوله في الآيات المنزلة لسبب خاص قاعدة هامة لهم وهي: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وكذا ترى أن الفرقان الحكيم يتعدى الحدود ويتجاوز الفوارق التمييزية حين ينادي المكلفين الذين اتخذهم القرآن له مخاطَبين فيناديهم بتلك التراكيب والتعبيرات العالية الواسعة الدلالات والمفاهيم رغماً من ضيق الدائرة البشرية التي نزل القرآن فيها: «يا أيها الناس» «يا أيها الذين آمنوا» «يا بني آدم» «يا أيها الكافرون» «يا أيها المنافقون» مما يعم كل فرد من غير فرق، مع أن من المستطاع أن يخص من في تلك الدائرة الضيقة بالنداء، وهو المتبادر المألوف للخطابات البشرية التي تقع في قطاع خاص أو بين جماعة خاصة، وكذا يفصح عن عالمية القرآن ما تراه يُذكر في معرض بيان فوائد القصص والأمثال أنه ـ سبحانه ـ ضرب للناس أو صرف للناس من كل مثل يذكر الناس بصيغة الجمع المعرَّف باللام المفيد للاستغراق كما هو معروف عند أهل العربية. فلو لم يقصد الاستغراق لما أوتي بصيغة الاستغراق: وخصيصاً ترى مغزى عالمية القرآن كالمنصوص عليه بالتنصيص على الناس (المفيد للعموم) حينما يذكر أن من المهام التي كلف بها ﷺ بسبب نزول الكتاب هو الحكم بين الناس.

إن عالمية الرسالة تستلزم عالمية القرآن، كما أن عالمية القرآن تستلزم عالمية الرسالة ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[١] ويقول أيضاً: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي.. وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[٢].

ج ـ عالمية القرآن من الناحية المضمونية:

خاطبنا بمجموع تلك المفاهيم الجديدة في الآفاق البشرية ويمكن أن نستخلص بعض تلك المعاني السامية والمفاهيم الرامية إلى الكمالات والفضائل التي لا غنى لأي من أبناء البشر عنها والتي أنزلها القرآن إلى أرض البشرية في هذه العناوين الآتية.

(١) مسلم، الإيمان ٦٩.

(٢) البخاري، التيمم ١.

١- الحفاظ على الكرامة الإنسانية ما لم تنقلب إلى مظاهر سيئة مذمومة العواقب للفرد والمجتمع؛ فقد أذاق القرآن بتلك التعاليم السمحة الإنسان المستهان المستضعف طعم الكرامة النفسية ولذيذ العزة البشرية ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ونرى هذه الحقيقة تتبلور - منعكسة إلى واقعيات الحياة - على لسان الفاروق - رضي الله عنه - حينما امتنع ابن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - وهو والي مصر وفاتحها وفي قمة مجده وعزة سلطانه عن توفية القصاص من نفسه لأجل صفعة صفعها أحد الأقباط؛ حيث قال الفاروق - رضي الله عنه -: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟

٢- تحقيق العبودية لله وحده والإنقاذ من عبودية البشر؛ فقد هدى القرآن ذلك الإنسان الذي ضل عن سبيل الهدى إلى أفضل وسائل النجاة والخلاص عن عبودية البشر وهو عقيدة التوحيد التي لا تعرف للبشر رباً غير الله، ولا تعطي أية فرصة لأن يتخذ بعض الناس بعضهم أرباباً من دون الله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

وقد رأينا هذه الحقيقة العظيمة الناصعة التي يهديها الإسلام للبشرية جمعاء تتجسد في الحياة الواقعية على لسان ربعي بن عامر رسول سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما - قائد الجيس الإسلامي إلى الفرس حينما التقى مع القائد الفارسي رستم وهو بين حشمه وجشمه وفي ذروة زهوه وكبريائه قال له: جئنا لنخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة الله.

٣- إغاثة المظلوم ونصرة المستضعف وحمايتهما والنصفة لهما من الظالم والقوي: فقد أتاح القرآن ملجأً شرعياً هاماً لجميع المستضعفين والمظلومين في أنحاء المعمورة، وجعل الدفاع عن المظلوم والمستضعف من وظائف المسلمين فرداً وجماعة. وانطلاقاً من هذا أخذ الدفاع عن المظلوم - لا عن دمه فقط بل عن دمه وعرضه وكرامته - محلاً رئيساً له في الفقه الإسلامي تحت عنوان: «باب الصيال» ويرى الفقه الإسلامي انطلاقاً من النصوص في إغاثة المظلوم الثابتة في الكتاب والسنة التي سنذكر بعضها منها أن المسلم إذا لم يدافع عن المظلوم يأثم ويستحق العذاب.

فمن تلك النصوص:

﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥]، ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]، ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣].

كما نجد تلك الحقيقة الناصعة والسمة الحضارية القرآنية التي هي من أكثر الأمور تحريكاً للعجلة الحضارية تتجلى كواقعة حياتية - لا مثالية تبقى بين الخيالات المرغوبة والأحلام الحلوة - على لسان الصدِّيق - رضي الله - عنه في أول خطبته التي ألقاها حينما انتخب خليفة للمسلمين وهي أول خطوة إجرائية في خلافته؛ حيث قال: «أما بعد:

فإني وليت عليكم ولست بخيركم، واعلموا أن القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له الحق».

٥ ـ المعاني النبيلة والفضائل السامية المملوءة حيوية ونشاطاً ونبلاً إنسانياً لا تختص بأمة دون أمة والتي هي في أية حضارة كانت؛ فهي كالروح للجسد فلم تخلُ أية حضارة منها إلا وأذن بالرحيل ركبها وانهار بعد غيرٍ كثيرة بنيانها، وحان في زمن غير طويل حينها ودمارها. إن القرآن أتى في باب الفضائل والمكارم وترسيخهما في المجتمع الإنساني وتشييد ذلك البنيان الإنساني وتحكيمه بروابط وأواصر خلقية اجتماعية لا مثيل لها ولا عديل ولا نظير لها ولا بديل؛ فلقد أتى في هذا الباب بما لم يسبقه ولا يلحقه لاحق: حيث بث روح الإخاء والتعاون والتساند والتكافل بين جميع أبناء الأمة: **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾** [المائدة: ٢] كما أمر بالإحسان ونشر الفضيلة والعدل بين جميع طبقات الناس، ونهى عن جميع المنكرات والفحشاء: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [النحل: ٩٠]. وكفى بهذين النصين في هذا الباب شاهداً عدلاً.

٦ ـ من المعاني الدالة على عالمية القرآن الكريم: ما ورد فيه من الأدلة على ختم النبوة بمحمد ﷺ كالتصريح بختم النبوة بنبينا محمد ﷺ قال ـ تعالى ـ: **﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** [الأحزاب: ٤٠]

قال الشربيني: «أي آخرهم الذي ختم؛ لأن رسالته عامة ومعها إعجاز القرآن، فلا حاجة مع ذلك إلى استنباء ولا إرسال» (السراج المنير٣/٢٣٧).

ومن هذه الأدلة: عموم الرسالة المحمدية؛ حيث قال ـ تعالى ـ: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾** [الأعراف: ١٥٨].

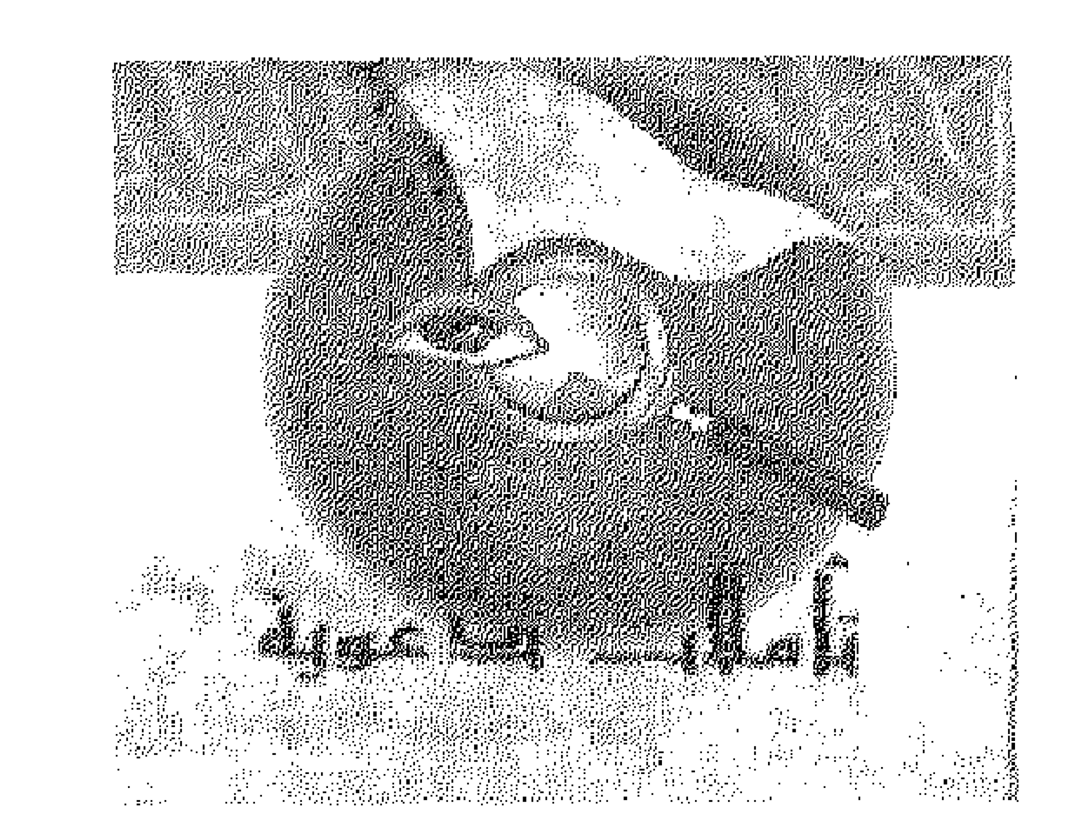
فالرسالة المحمدية عامة، وهذا القرآن حجة على كل من بلغه، لما قال ـ سبحانه ـ: **﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾** [الأنعام: ١٩].

فالقرآن حجة على كل من بلغه من جميع الإنس والجن وإلى قيام الساعة.

ترى معي أن جميع هذه المعاني المذكورة بوصفها دلائل على عالمية القرآن إنما هي مما لها علاقة وثيقة بالكيان الإنساني المطلق من غير تقييد بجنس أو تحديد ببقعة أو تخصيص بطبقة أو تعيين بلون، ولها صلة محكمة بالهوية الإنسانية العامة المطلقة بلا تفريق ولا تمييز وبذلك يتجلى معنى هذه الكلمة الإلهية الحكيمة المدوية عبر العصور والقرون التي تطن في أذن التاريخ دوماً: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾**[الأنبياء: ١٠٧].

فإذاً لا ضير علينا من مزاعم أولئك المغرضين على الإسلام وأهله، ولا ضير أيضاً على أذنابهم المتملقين لهم بتاريخانية القرآن؛ فإن الحقيقة أظهر من أن تخفى، والشمس أبهر من أن تختفي عن العيون بإغماض الخفاش عينها منها، أو بإنكار الأعمش لها كما قال الشاعر قديماً:

قد تُنكر العينُ ضوء الشمس من رمد
ويُنكر الفم طعم الماء من سقم





الإسلاميون والتخصصات المطلوبة

محمد بن عبد الله الدويش

من يتأمل اليوم في تخصصات الإسلاميين يجد أنه باستثناء التخصصات الشرعية ينتشر معظم هؤلاء في تخصصات الطب والمحاماة والهندسة وما يماثلها.

وهذا الأمر له دلالات عدة، منها:

* خطأ المقولة الشائعة بأن الصحوة الإسلامية إفراز للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتردية؛ فمعظم قادة الحركات الإسلامية اليوم هم بين أصحاب هذه التخصصات الذين هم في الأغلب من طبقات اقتصادية واجتماعية عالية.

* الجدية عند الشباب الإسلاميين؛ إذ معظم هذه التخصصات لا ينجح فيها إلا الجادون.

* أن الدعوة الإسلامية قد نجحت في استقطاب عدد من المتميزين؛ فهذه التخصصات يقبل فيها في الأغلب حملة المعدلات الدراسية العالية، ويتيح لها كثرة المتقدمين اختيار العناصر المتميزة.

ومن الطبيعي أن تنتشر الدعوة الإسلامية في كافة المجالات، وأن تستوعب كافة الفئات والتخصصات وسائر شرائح المجتمع، ولا اعتراض على اتجاه طائفة من الشباب إلى هذه التخصصات وإقبالهم عليها.

ومع ما في هذه التخصصات من إيجابيات إلا أنها تحصر صاحبها في ميدان عمله، وقلَّ أن يستثمرها صاحبها في دعوته، بل ربما استغرقت جزءاً كبيراً من وقت صاحبها أثناء دراسته وأثناء عمله، فلا يبقى لدعوته إلا اليسير.

ويبقى مجالان مهمان ينبغي أن تكون لهما الأولوية في توجه الإسلاميين ودراساتهم وهما - على الترتيب - :

المجال الأول : التخصصات الشرعية ، فالعلم الشرعي لا غنى للدعوة عنه ، وحين تفتقده تتسع دائرة الآراء الشخصية ، فتزيد الشطحات والانحرافات. والشعور بأهمية العلم الشرعي موجود بحمد الله عند فئة عريضة من الإسلاميين ـ على المستوى النظري على الأقل ـ لكنه يحتاج إلى مزيد اهتمام ورعاية.

المجال الثاني : الدراسات الإنسانية التي لها أثرها في النظرة للإنسان والمجتمعات ، والدراسات الإعلامية التي لها أثرها في توجيه الرأي العام وصياغته ، ومما يبرز الحاجة لهذه التخصصات ما يلي :

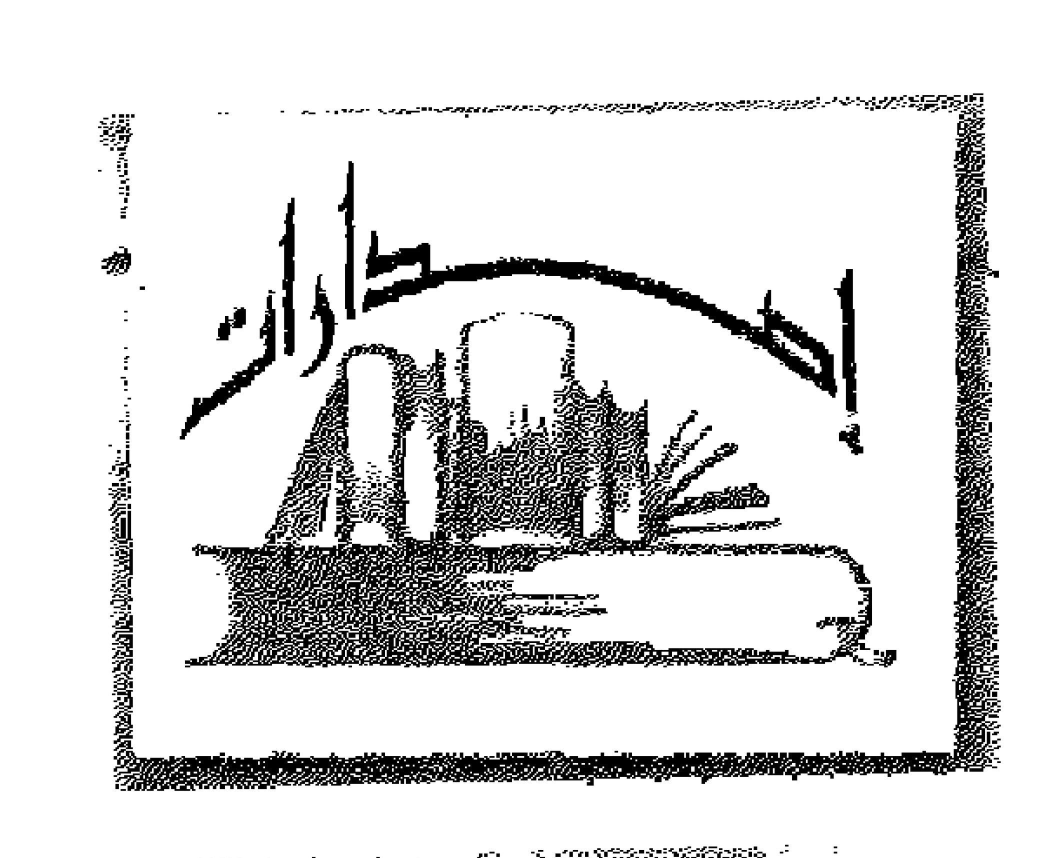
❁ حاجة الدعوة الإسلامية إلى برامج تربوية لرعاية أبنائها وتربيتهم ، ومع أهمية الجهد التربوي الذي تقوم به الصحوة وتقدمه لأبنائها وضخامته ، فلا تزال في كثير من الأحيان تعتمد على التجارب الشخصية والمحاولة والخطأ ، وتفتقر إلى الاستفادة المثلى من أهل الاختصاص في هذا الميدان.

❁ أهمية المواقع والأدوار الاجتماعية التي يتولاها أهل هذه التخصصات ، وخطورة هذه المواقع؛ فالمؤسسات التعليمية والتربوية والإعلامية والتخطيطية في المجتمع تعتمد على مثل هذه التخصصات.

❁ يحتاج الدعاة إلى الله كثيراً إلى هذه التخصصات؛ في دعوتهم : فهي تعينهم على الفهم الصحيح للمجتمعات وآليات التغير الاجتماعي ، وإلى فهم اتجاهات التغريب والإفساد في المجتمعات فهماً أشمل وأدق ، ويحتاجون إليها حتى يملكوا الأدوات الصحيحة لدراسة الظواهر التربوية والاجتماعية.

❁ يحتاج الدعاة إلى الله إلى هذه التخصصات؛ لأنها منطلق لكثير من الأعمال الدعوية ، كالأعمال الإعلامية ، والخدمات الاجتماعية ، والمؤسسات التربوية والدعوية.

هذه الاعتبارات وغيرها تؤكد على الدعاة إلى الله ـ تعالى ـ الاعتناء بهذه التخصصات ، وفي العدد القادم بإذن الله مزيد حديث حول هذا الموضوع.



أحمد العامر

تتوالى الإصدارات الحديثة حاملة بين طياتها الجديد في عالم الدراسات الإسلامية، والفكرية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها. ورغبة منا في إطلاع قراء «البيان» على ما يتيسر لنا من هذه المطبوعات الجديدة التي نرى فيها الفائدة لقارئها... سيكون لنا ـ بإذن الله ـ وقفات مع بعض تلك الإصدارات بين عدد وآخر، والله الموفق.

١. التحبير شرح التحرير في أصول الفقه:

المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي المرداوي. دراسة وتحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، ود. عوض القرني، ود. أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض. الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

يعد هذا الكتاب من أبرز كتب أصول الفقه وخاصة في مذهب الحنابلة، طبع في ثمانية مجلدات، وأصله ثلاث رسائل علمية تقدم بها المحققون لنيل درجة الدكتوراه في قسم أصول الفقه في كلية الشريعة بالرياض.

اعتنى المحققون بمراجعة أصوله، وضبط ألفاظه، وتحرير مسائله، وشرح مشكله، حتى خرج الكتاب بأبهى حلة.

٢. تقييد المهمل وتمييز المشكل:

المؤلف: الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الجيَّاني، حققه: علي بن محمد العمران، ومحمد عزيز شمس. الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة. الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ. كتاب جليل القدر اعتنى بخدمة الصحيحين: ضبطاً لما يشتبه ويُشْكل من أسماء من قبل الرواة، وتنبيهاً لما أهمل من شيوخ البخاري، وكشفاً لألقاب جماعة من رواتهما.

٣. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن:

المؤلف: العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

مؤلَّف نفيس يطبع لأول مرة، جمع فيه مؤلفه أهم علوم القرآن وأجلها، وهي: علم التوحيد، وعلم الأخلاق، وعلم الأحكام والعبادات والمعاملات. تميز الكتاب بالقوة العلمية، وغزارة الفوائد، مع سهولة العبارة وجزالة الألفاظ، بعيداً عن الحشو والتعقيد.

٤. الدعوة بين المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية

د. خالد عبد الرحمن القرشي، بدون تاريخ أو ناشر.

وهي دراسة تقويمية للعمل الدعوي بالمراكز الإسلامية في أمريكا قام بها المؤلف وهو عضو هيئة تدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وتتناول الدراسة إيضاح الموضوع وأهدافه، وأسباب اختياره، وتحديد مشكلة الدراسة، وتساؤلات حول المنهج في الدراسة.

ومما تناولته الدراسة: البحث في دخول الإسلام إلى أمريكا وانتشاره، وتعريف بالمنظمات والجامعات الإسلامية هناك، ووسائل العمل الدعوي في هذه

المراكز والجمعيات، وتقويم العمل الدعوي، وبيان العوائق والمشكلات الدعوية وكيفية علاجها، إضافة إلى خاتمة: جمع فيها أطراف الموضوع ونتائج البحث والتوجيهات التي رآها مما يؤدي إلى انتشار الدعوة بشكل صحيح بعيد عن الإفراط والتفريط.

٥. وقفات هادئة مع فتوى إباحة القروض الربوية لتمويل شراء المساكن في المجتمعات الغربية:

المؤلف: د. صلاح الصاوي، الناشر: التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية. الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.

دراسة علمية متزنة، بعيدة عن التعصب والتشنج، للرد على فتوى كل من المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ومؤتمر رابطة علماء الشريعة بأمريكا الشمالية، التي تبيح للمسلمين المقيمين بأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية الاقتراض بالربا لشراء مساكن.

يتميز الكتاب بالأصالة العلمية، والأدب الرفيع، وهو جدير بالنشر والدراسة خاصة في البلاد الغربية.

٦. حقيقة الخلاف بين السلفية الشرعية وأدعيائها في مسائل الإيمان:

د. محمد أبو رحيِّم ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م دار الجوهري عمان ـ الأردن.

الإيمان عند سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان يقوم على ركنين هما: القول، والعمل أو على أربعة عند التفصيل: (قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح) ولم ينقل عن سلفنا قيام الإيمان على ركنين: القول، والاعتقاد وشروط الكمال.

ونقل الإجماع ابن عبد البر، وأثبته شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: أجمع السلف على أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان؛ وفي الكتاب رد على فئة من الدعاة في موضوع الإيمان تبين منه روائح إرجائية ردَّ عليها علماؤنا الأفاضل، ومن آخر ما صدر في هذا الباب الفتوى رقم ٢٠٢١٢ في ١٤١٩/٢/٧ في الموقف من كتاب (أحكام التقرير) والتي تضمنت التحذير من التطرق لهذا الموضوع ممن لم ترسخ قدمه في العلم الشرعي حتى لا تزل القدم. والأمل أن يكون الحوار في هذه المسائل علمياً دافعه الحرص والنصح والإشفاق بعيداً عن النقد الجارح لا سيما بين أصحاب المنهج الواحد. والله المستعان،،،

٧. على أعتاب الألفية الثالثة:

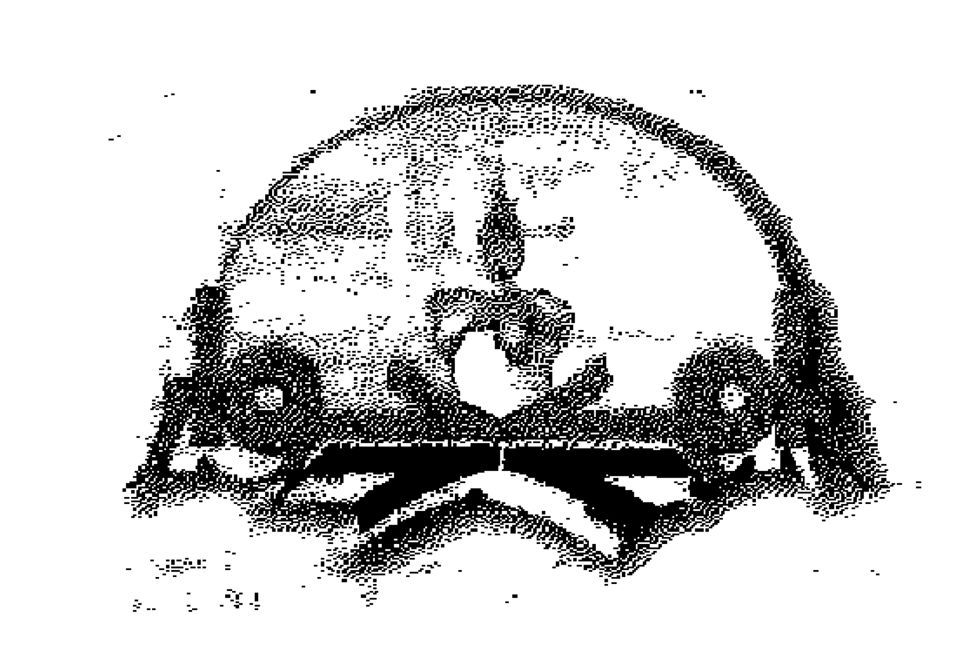
المؤلف: حمدان حمدان، الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

دراسة سياسية للجذور الذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل، احتوت الدراسة على خمسة فصول وخاتمة: الأول: إرهاصات أوروبية، والثاني: البيورتيانية الإنجليزية والخروج على الكنيسة، والثالث: بين سياسة الدين ودين السياسة، والرابع: المسيحية المتهودة في أمريكا الشمالية، والخامس: مسيحية ويهودية في التاريخ. أما الخاتمة فكانت بعنوان: ثقل الجانب التوراتي في المسيحية. احتوى الكتاب على مادة غزيرة، ومعلومات وفيرة تستحق التقدير.

٨. معالم في طريق الإصلاح:

تأليف: عبد العزيز محمد السدحان، نشر دار العاصمة، ط ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

الإصلاح رسالة كبرى قام بها الأنبياء والرسل والعلماء والدعاة. والداعون إليه يلزم أن ينطلقوا من أصول واضحة وبصيرة راشدة حتى تؤتي دعوتهم أكلها، وقد وضَّح المؤلف بعض المعالم التي يستضيء بها مريدو الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وكلام أهل العلم ومنها: ١ ـ الإخلاص في العمل. ٢ ـ العلم بالعمل. ٣ ـ عدم ذكر المثاليِّ ودفع أبواب اليأس والقنوط. ٤ ـ عدم الإفراط والتفريط. ٥ ـ ربط العواطف بالعلم الشرعي. ٦ ـ الحرص على التخصصات العلمية. ٧ ـ الحذر من العجب. ٨ ـ الدعاء. ٩ ـ القدوة. ١٠ ـ الصبر والصلاة. ١١ ـ الاهتمام بالكيف لا بالكم. ويعتبر الموضوع رؤوس أقلام تحتاج إلى المزيد من العرض والتفصيل، ولعل لذلك بحثاً آخر يقوم به المؤلف إن شاء الله.



تأثرت بأصالة القرآن وصحته

حوار مع الشيخ جمال الدين زرابوزو

نبذة عن الضيف:

فضيلة الشيخ جمال زرابوزو علَم من أعلام الدعوة الإسلامية في أمريكا الشمالية، عرف بتميزه العلمي، وحرصه على التأصيل الشرعي، له عناية خاصة بعلم الحديث. ترجم عدداً من الكتب إلى اللغة الإنجليزية من أبرزها: كتاب فقه السنة، وهو مطبوع، وشرح العقيدة الطحاوية، نسأل الله - تعالى - أن ييسر طباعته. ومن أبرز مؤلفاته: شرح الأربعين النووية، وهو شرح مفصل طبع في ثلاثة مجلدات. كما أسس فضيلته مجلة (البشير)، وهي مجلة متخصصة تعنى بنشر الدراسات والأبحاث الشرعية، ولكنها توقفت عن الصدور.

ويسعدنا في هذا اللقاء أن نستضيف فضيلة الشيخ لنتحاور معه في عدد من القضايا في الساحة الأمريكية.

البيان: لعلنا نبدأ حوارنا مع فضيلتكم بالتعرف على سبب إسلامك، ثم اهتمامك بدراسة العلوم الشرعية؟

■ إنني في الأصل من إسبانيا، وقد نشأت في عائلة إسبانية كاثوليكية «تقليدية». وأقول «تقليدية» بمعنى أننا لم نكن متدينين جداً. ولقد بدأت رغبتي بالدين عندما دعاني أحد أصدقائي إلى كنيسة من كنائس جماعة «شهود يهوه». ولما أتى الوقت لأنتسب إلى تلك الكنيسة بشكل رسمي قررت أنه لا بد لي قبل ذلك من دراسة أديان أخرى قبل الانضمام إلى تلك الكنيسة كي أتأكد أن تلك الكنيسة هي الكنيسة الحقة. وهذا في الحقيقة هو الذي دعاني لدراسة الإسلام واليهودية والبوذية والهندوسية وغيرها. ولدى دراستي الإسلام تأثرت بأمرين أولهما: أصالة القرآن وصحته، و«نقاوة» الإيمان بالله، بعيداً عن الخرافات، والترّهات، والآلهة البشرية وغير ذلك. وبعد عدة أشهر فقط من بداية دراستي لهذا الدين العظيم قررت أن أُسلم؛ علماً بأني لم أقابل مسلماً قطُّ في ذلك الوقت، وكذلك كنت شبه مقتنع بأنه لم يكن هناك مسلمون على الإطلاق في تلك القرية الصغيرة التي كنت أقيم فيها.

وبفضل الله ونعمته فقد وجدت عدداً من الطلبة المسلمين في تلك البلدة. وكان في البلدة عدد من الإيرانيين الشيعة يقيمون في تلك البلدة في ذلك الوقت، إلا أنني، والحمد لله، لم

أشعر بأي انجذاب أو تجاوب لتعاليمهم وما يدرسونه. وكان أكبر الأثر عليَّ لإخوةٍ من المسلمين من الكويت والمملكة العربية السعودية. وقد كانوا بحق مجموعة من الإخوان الطيبين الذين أثَّروا فيَّ بشكل كبير. وبعد حمد الله وشكره، فإنني أتوجه بالشكر الخالص إلى أولئك الإخوة على دعوتهم وإخائهم الطيب.

ونظراً لخلفيتي ودراستي للأديان المختلفة فقد شعرت بأهمية العودة إلى المراجع الأصلية للعلم والمعرفة؛ وذلك لأميز بين ما أصبح «ممارسة» عادية للملتزمين باسمٍ مَّا، وبين التعاليم الحقيقية للدين. ولذا، فقد قررت مبكراً، بأنني إذا قررت الالتزام بدينٍ جديد فيجب أن ألتزم به بشكل جدي، وأنه يجب عليَّ بذل قصارى جهدي لدراسة هذا الدين من مصادره الموثوقة المعتمدة الصحيحة والأصيلة. والحمد لله؛ فمنذ أصبحت مسلماً أقمت في بيئة يوجد فيها عدد من الإخوة العارفين بهذا الدين، والذين يحبون مساعدة الآخرين من مختلف أرجاء العالم. ولقد كانوا خير مثالٍ وقدوة لي، وشجعوني دائماً على الدراسة والتعلم. فعلى سبيل المثال: بعد أن بدأت أقرأ العربية وأكتبها، بدأ عدد من الإخوة ـ جزاهم الله خير الجزاء ـ بمساعدتي للحصول على المراجع الأساسية من مختلف بلدان ما وراء البحار؛ إذ لم يكن هناك سوى أمكنة قليلة يمكن شراء الكتب العربية منها في أمريكا. وبتوفيق الله ـ سبحانه وتعالى ـ ثم بمساعدة هؤلاء الإخوة الكرام تمكنت من متابعة دراساتي وتحصيلي العلمي في مادة القرآن الكريم، والحديث، والفقه وغيرها من العلوم الشرعية.

البيان: ذكرتم تأثركم بالقرآن ولكن؛ هناك عدد كبير من الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم؛ فما تقويمكم لها، وما أحسن الترجمات فيما ترون؟

■ نعم! لا شك أن هناك عدداً كبيراً من الترجمات لمعاني القرآن الكريم بالإنجليزية متوفرة حالياً، وكي أكون صريحاً معكم فإن هذه الترجمات تتفاوت ما بين «سيئة جداً» إلى «قريبة من الممتازة». فإذا تكلمنا عن ترجمة معاني الآيات الكريمة فقط، فأفضل الترجمات، في رأيي، ترجمة خان والهلالي، وترجمة «صحيح انترناشيونال»، وترجمة محمد بكتال، وترجمة عبد الله يوسف علي. وعلى جودة هذه الترجمات ـ كلٌّ على حدة ـ فإن هناك ما ينقصها ويعيبها. فعلى سبيل المثال: ترجمة خان والهلالي، على ما أخبرني عبد الملك مجاهد شخصياً [ناشر الترجمة]؛ فقد تقرر أن توضع «ملاحظات الشرح» والهوامش ضمن أقواس داخل نص الترجمة ذاته؛ وليس في الحواشي المستقلة. وإن هذا يجعل النص صعب القراءة، وغالباً لا يستطيع القارئ تمييز نص الآية ذاتها والملاحظات الشارحة لها. وأما ترجمة عبد الله يوسف علي فهي بلغة قديمة مهجورة تقريباً،

وهو يؤول معاني من معاني الآيات الكريمة، كما أن حواشيه وتعليقاته غاصةٌ بمظاهر التوبيخ والشجب. وإنني لا أوصي بترجمة يوسف علي بما تحتويه من الكم الهائل من التعليقات والحواشي عليها، علماً بأن هناك إصدارين جديدين من هذه الترجمة متوفرين في الأسواق، وقد قدما كثيراً من التحسينات على الترجمة الأصلية.

وإنني أعتقد أن ما ينقص المكتبة القرآنية باللغة الإنجليزية هو وجود حواشٍ وتعليقات على معاني القرآن الكريم يتم تقديمها على ضوء السنة المطهرة والحديث النبوي الشريف، وأقوال الصحابة الكرام - رضي الله عنهم -، وقدامى المفسرين، كما يجب تناول القضايا والموضوعات التي لا بد من مناقشتها وتناولها لقراء اللغة الإنجليزية. ولعل أفضل وأكمل شرح أو تعليق على معاني القرآن الكريم نجده اليوم هو كتاب العلامة أبي الأعلى المودودي مترجماً بالإنجليزية هو «تفهيم القرآن». ومع ذلك، فإن هذا الكتاب أيضاً عليه ما عليه من المآخذ، كما هو معروف لكثير من قرائكم. وقد نشرت مكتبة دار السلام مؤخراً طبعة موجزة مختصرة جديدة من المجلد الأول من تفسير ابن كثير، وأرجو أن يكون هذا العمل الجليل إسهاماً هاماً للمكتبة الإسلامية بالإنجليزية، إلا أن هذا العمل لم يُكْتَب للقارئ الإنجليزي، لذا فإنه لن يسدَّ كافة الفجوات التي يجب سدُّها في هذا المجال.

وإن مشكلة فراغ المكتبة الإسلامية باللغة الإنجليزية من شرحٍ فعّالٍ ومؤثر لمعاني القرآن الكريم هي إحدى المشكلات التي ما فتئ الدكتور جعفر شيخ إدريس يعالجها، وكذلك أنا شخصياً، خلال السنوات الماضية. وأرجو الله - سبحانه وتعالى - أن يجعل اليوم الذي تتوفر فيه تفاسير أفضل وأعمق باللغة الإنجليزية لقرائها كما هو متاح لقراء العربية.

البيان: نرجو من فضيلتكم أن تحدثونا عن المسلمين الأمريكيين من حيث تاريخهم ونسبتهم وتأثيرهم السياسي والاجتماعي.

■ في الحقيقة إن للإسلام تاريخاً طويلاً وممتعاً في أمريكا. وإنني لست متخصصاً في هذا المجال من جهة، وليس هذا المجال مجال خوض في التفاصيل عن هذا الموضوع بالذات، ومع ذلك فيمكنني أن أسرد بعض الملاحظات العامة. فالإسلام قد دخل إلى أمريكا على عدة موجات مختلفة، بما في ذلك مرحلة موجة المكتشفين الجغرافيين قبل كولومبوس وذلك من شمال إفريقية، والعبيد الذين أكرهوا على المجيء أثناء فترة «تجارة العبيد» من مختلف أرجاء العالم الإسلامي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. إلا أن معظم هذه الموجات المبكرة من أفواج المسلمين لم يكن لهم كبير أثرٍ مباشرٍ على الوجود الإسلامي المعاصر في أمريكا. ولا يزال عدد المسلمين اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية صغيراً نسبياً. وإن التقديرات

الأولية العامة لعدد المسلمين حالياً في أمريكا يتراوح ما بين (٣ - ٩) ثلاثة إلى تسعة ملايين مسلم. إلا أننا يجب أن ندرك أن هذه التقديرات العامة لا يمكن الاعتماد عليها تماماً. والأهم من هذا كله يجب أن ندرك أن هذه التقديرات لا تفرق بين المسلمين الملتزمين، ومن لهم أسماء مسلمة فقط، أو أنهم ينتسبون للإسلام فقط؛ لأنهم انحدروا من أصول مسلمة، أو أتوا من بلدان إسلامية، وليس لأنهم يمارسون الإسلام في حياتهم العملية. ويمكن القول بشكل عام: إن التأثير السياسي والاجتماعي للمسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية لا يزال ضئيلاً جداً، وخاصة خارج الشواطئ الشرقية لأمريكا. ولا زلت أقابل - حتى هذا الوقت - أشخاصاً أمريكيين يعربون عن دهشتهم إذا سمعوا أن هناك مسلمين في أمريكا، أو أن تكون أعداد هؤلاء المسلمين بالملايين.

البيان: تنتشر الاتجاهات الصوفية عند بعض إخواننا المسلمين من ذوي الأصول الأوروبية، فما حجم هذا الانتشار وما أسبابه؟

أولاً: من الصعب جداً أن نحاول تقدير حجم هذه الظاهرة. ومع ذلك، فمما لا شك فيه أن نسبة كبيرة من الأمريكيين الأوروبيين ينجذبون لمختلف أشكال الطرق الصوفية. ومن الصعب عليَّ أن أحاول أن أبدي رأياً في هذا الأمر بناءاً على عدد النقاشات التي أجريتها مع أمثال هؤلاء. كما أن من الصعب أيضاً شرح الأسباب الداعية إلى ذلك. ولقد قابلت عدداً كبيراً من هؤلاء الأشخاص ويمكنني أن أقدم أفكاري فقط حول هذا الموضوع بناءاً على عدد من المناقشات مع هؤلاء الأشخاص. وينحدر كثير من هؤلاء الأشخاص من عوائل متوسطة أو عالية المستوى ومن خلفيات متحررة نسبياً. ولا يتطلع كثيرٌ منهم نحو طريقة جديدة في الحياة، أو إجراء تغيير في حياتهم؛ فهم سعداء بنوعيات حياتهم، كما أنهم سعداء بما هم عليه. وكل ما يبحثون عنه هو الرضى الروحي أو القناعة والسعادة الروحية المفقودة. أو - بمعنى آخر - إنهم يبحثون عن شخص يخبرهم أن كل ما يعملونه هو «صواب»، طالما أن قلوبهم سليمة. وإن هذا بالضبط هو ما يجدونه في الحركة الصوفية. وسترى أنهم سيستمرون في حياتهم العادية تماماً قبل أن يعتنقوا الإسلام، أو على الأكثر؛ فإن التغييرات التي يجب عليهم إجراؤها في حياتهم هي قليلة جداً. وفي الوقت ذاته، فإن كثيراً من الأشخاص قد انجذبوا للفكر الصوفي لأسباب مختلفة تماماً. إن أمثال هؤلاء الأشخاص يحاولون أن يرتقوا بأرواحهم، إلا أنهم يشعرون بركود كبير أثناء القراءة والاستماع للمحاضرات المتوفرة عن الإسلام. وإنني لم أستطع، حتى هذا اليوم، معرفة السبب الذي يؤكد فيه إخواننا على نشر مواد أولية فقط لأمثال هؤلاء، دون أن يكون فيها أي عمق في المحتوى. وكذلك الحال تماماً بالنسبة

للمؤتمرات والمحاضرات التي تعقد بشكل عام. وتصبح هذه المواد، وبسرعة كبيرة جافة جداً، ومكرورة، ومملة. فإذا أراد الأمريكيون الذين لا يحسنون قراءة العربية الانتقال من ذلك النوع من القراءة، فإن أمامهم ثلاثة خيارات هي: الأدب الصوفي، والأدب الحديث، أو أدب المستشرقين. ومن نافلة القول أن نقول: ليس أي من هذه الخيارات المتاحة مشجعاً، إلا أنه لا بد مما ليس منه بدٌّ؛ فليس هناك أية خيارات أخرى، وترى أن كثيراً من القراء يغوصون في هذه الأنواع الثلاثة من أنواع الأدب الإسلامي. ولسوء الحظ، فإن كثيراً ممن يقرؤون مثل هذه الكتب تضطرب أفكارهم، أو تستغرقهم مثل هذه الأعمال، ولذا فإنهم يتجهون إلى مسارات غير سنة المصطفى ﷺ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

البيان: المسلمون من أصول إفريقية يمثلون نسبة كبيرة في أمريكا مقارنة بغيرهم، ولكن ظهرت في أوساطهم منذ عهد قديم دعوات منحرفة مثل دعوة البلاليين، وأخيراً برز من قياداتهم لويس فرخان، فهل يمكن أن تحدثونا عن ذلك من الناحية التاريخية والعقدية المنهجية؟

■ يحتاج الجواب على هذا السؤال، في الحقيقة، مجالاً أوسع من مجال هذه المقابلة. وإذا لم يسبق لمجلتكم الغراء أن كتبت سابقاً عن هذا الموضوع فيستحسن أن تفردوا له مجالاً خاصاً فيها، إذ إنه يمثل، في اعتقادي، إحدى القضايا الهامة التي تُشْكِل على كثير من إخواننا المقيمين في العالم العربي وغيره. وباختصار، فإن كثيراً من التاريخ الإسلامي، فيما يتعلق بالأفارقة الأمريكيين، يتركز حول ما يسمى حركة: «نيشن أوف إسلام» (أمة الإسلام). ويعتقد أتباع هذه الحركة أن الحق - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً أتى بشكل «رجل» يسمَّى «فرد محمد»، والتقى مع من يدعى «أليجا محمد» واختاره ليكون «رسولاً» له. وكان من تعاليم أليجا محمد: أن العرق البشري الأبيض هم شياطين. وكما يتضح من التعاليم الأساسية لهذه الجماعة، فإن تعاليمهم - وإن استخدموا لفظة «الإسلام»، وأشاروا إلى القرآن الكريم، فإن تعاليمهم كانت كفراً بواحاً - نعوذ بالله من الشيطان الرجيم - وكانت بعيدة بعداً كبيراً عن تعاليم الإسلام الحق. وبعد موت أليجا محمد عام ١٩٧٦، أجرى ابنه والاس محمد، أو وارث الدين محمد، بعض التغييرات على مفاهيم الجماعة وأفكارها، وقرَّبها نسبياً من الإسلام. فبدأ أفراد هذه الجماعة يصلُّون، ويسمعون عن حديث رسول الله ﷺ. ولسوء الحظ، فإن أحداً لم يدرس كيف يمكن النظر وتقييم «الكفر» الذي كانت عليه التعاليم السابقة لتلك الجماعة بشكل مباشر وصريح. ومن ناحية أخرى، فإن لويس فرخان رفض التغييرات التي حدثت في الجماعة، واستمر في تدريس عقيدة الكفر التي

كان يدرسها ويدعو إليها أليجا محمد. وقد ادعى لويس فرخان، في مناسبات، وخاصة في الآونة الأخيرة، أنه يعتقد بنبوة محمد ﷺ وأنه ينطق بالشهادتين، واستطاع بهذا أن يخدع كثيراً من المسلمين، بل واستطاع أن يخدع بعض المنظمات والمؤسسات الإسلامية أيضاً. وفي الوقت ذاته، لم يواجه فرخان أية مشكلة في أن يشرح لأتباعه أن رسول الله ﷺ هو خاتم رسل الله رب العالمين، إلا أن أليجا محمد أيضاً هو خاتم «الرسل»، نعوذ بالله مما يقول ويفتري. كما أنه استهزأ بالمسلمين والعرب من أهل السنة في بعض الأحيان، كما سخر من اعتقاداتهم وممارساتهم الإسلامية. ولسوء الحظ، فإن لفرخان أثراً كبيراً حتى هذا الحين بين المسلمين الأمريكيين - الأفارقة في الولايات المتحدة الأمريكية. ومما يزيد الأمر سوءاً أثر الإعلام على الناس من الأمريكيين الأفارقة وغيرهم، بل الأدهى والأمرّ أنهم يعتقدون أن الإسلام، أو عندما يُسألون عن الإسلام، أن لويس فرخان هو خير من يمثل هذا الدين بحق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

البيان: ماذا عن الدعوة السلفية في أمريكا عامة، سواء عند المسلمين البيض أو عند المسلمين السود ذوي الأصول الإفريقية؟ وهل ترون أن العلم الشرعي الأصيل ينتشر بين المسلمين الأمريكيين؟

■ أود أن أجيب على هذا السؤال بالحديث عنه من خلال وجهة نظري التاريخية. لقد اعتنقت الإسلام، ولله الحمد، في عام ١٩٧٦م، وقد كانت الدعوة السلفية غير معروفة في أمريكا لا بالاسم ولا بالفكرة. ولحسن الحظ، فقد كانت أكثر المواد المنتشرة بين المسلمين في تلك الآونة إما من كتابة الإخوان المسلمين، أو من كتابات الجماعة الإسلامية في الباكستان، وقد احتوت هذه المواد على كثير من المعلومات الجيدة عن الإسلام، إلا أنه في الوقت ذاته، لم تركز تلك الكتب على اتباع السنة المؤكدة لرسول الله ﷺ، وعلى هديه الكامل في الحياة، وهدي خلفائه الراشدين - رضي الله عنهم -، وهذا أقل ما يُقال في تلك الكتب. وكان التركيز ضعيفاً جداً على اجتناب البدع، وكذلك محاولة فهم الإسلام على أنه الطريقة الحقة الوحيدة للحياة. ولقد كان هذا الأمر، إلى جانب توفر كَمٍّ كبير من الأدب الصوفي، إلى جانب الأدب الحديث أو الحداثي، اللذين سهَّلا جداً على الأشخاص أمر الانحراف عن الطريق السوي لهذا الدين المستقيم. والحمد لله؛ فقد تغيرت الأمور تغيراً ملحوظاً منذ ذلك الوقت، وقد أصبح الآن للدعوة السلفية مؤسسات ومؤتمرات تمثلها وتدعو لها. ولقد تمَّ نشر عدد كبير من الكتب على هذا المنهاج، وبخاصة تلك الكتب التي تردنا من إنجلترا، والكتب التي يؤلفها وينشرها أحد رواد هذا المنهج السلفي في بلادنا الدكتور بلال فيليبس. ونحمد الله كذلك على أن الذين يرغبون

باعتناق الإسلام حالياً لن يواجهوا ما واجهه كثير من معتنقي الإسلام في الماضي. بل، ولله الحمد كذلك، فإن المسلم الجديد الذي يعتنق هذا الدين العظيم سيجد بسهولة وسرعة ما يوجِّهه إلى منهج السلف الصالح والطريق القويم لهذا الدين العظيم.

البيان: هناك جالية مسلمة كبيرة وافدة إلى أمريكا من العرب والهنود وغيرهم، فما أثر هؤلاء على نشر الإسلام في القارة الأمريكية؟

■ أشرت في إجابتي عن بعض الأسئلة السابقة إلى أنه لم يكن للمهاجرين الأوائل سوى أثر ضئيل جداً. إلا أن المهاجرين الذين قدموا إلى الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات وبعدها كانوا مختلفين تماماً عن المهاجرين الأوائل؛ فكانوا، بشكل عام، أكثر ثقافةً وأفضل حظاً في الوظائف والأعمال التي يتقنونها. فكان لهؤلاء، إلى جانب الكثير من الطلاب الوافدين، أثرٌ وجهدٌ كبير في تأسيس الكثير من المساجد وبعض المؤسسات الإسلامية النشيطة. وكان لهؤلاء أيضاً الفضل في التفكير بإنشاء نواةٍ للمدارس الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية. ولهذا، فإن أثر هذه الموجة الجديدة للهجرة كان إيجابياً وفعالاً إلى حد كبير. إلا أن كثيراً من هؤلاء اتبعوا ما يمكن أن نسميه «الإسلام التقليدي»؛ وذلك أنهم اتبعوا ما كان معروفاً وسائداً في البلدان التي أتوا منها، حتى ولو كان هذا غير صحيح وغير موافق لما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة. وقد لوحظ أن كثيراً من أولاد هذه الموجة المهاجرة الوافدة إلى أمريكا أنفسهم، ممن لم يكن لهم ارتباطٌ وطيدٌ بالتراث الحضاري لآبائهم دعوا للعودة إلى الإسلام الصحيح واتباع القرآن الكريم والسنة المطهرة. ولقد أدى هذا، لسوء الحظ، إلى شيء من التوتر والشدة والخلاف، إلا أننا نأمل أن يؤدي إلى نتيجة طيبة بعون الله وتوفيقه.

البيان: مجلة البشير بالإنجليزية من المجلات العلمية الرائدة في بابها، فهل يمكن أن تحدثونا عن تجربتكم في هذه المجلة؟

■ أولاً أود أن أشكركم على كلامكم الطيب عن مجلة البشير في سؤالكم هذا، ولله الحمد. فقد كانت مجلة البشير مجلة تصدر مرة كل شهرين، واستمرت على هذا النحو مدة ثماني سنوات ما بين عامي ١٩٨٧ - ١٩٩٥ وكان هدفها الأساس توفير مقالات متعمقة ومتخصصة تُكتب من قبل متخصصين في مجالاتهم في موضوعات أساسية عن الدين الإسلامي العظيم، إما في مجال التفسير، أو الحديث، أو الفقه أو غيرها من المجالات الإسلامية. فقد كان هناك تركيز كبير على المواد الأساسية التي تعرِّفُ بهذا الدين العظيم، مما جعل من الصعوبة بمكان العثور على مواد متعمقة ومتخصصة في موضوعاته المختلفة. وكانت مجلة البشير استجابة لهذا الطلب الهام. وقد واجهت البشير في البداية مشكلة «ندرة»

الكُتَّاب، مما جعل العبء الأكبر لهذه المجلة على محررٌ المجلة، وهو أنا. وقد تمَّ تشجيع كثير من الكُتَّاب على الكتابة للمجلة، ووعد كثيرون بالكتابة، إلا أنه وللأسف الشديد لم يكتب منهم إلا عددٌ ضئيل. وإنني أعتقد أنه يجب ألا تكون هناك مجلة تعتمد على كاتبٍ واحدٍ فقط. ولذلك، فقد اتجَّه القرار إلى إيقاف المجلة أولاً. ومن جهة أخرى، فإن المجلة كانت معقولة الثمن جداً، إلا أن كثيراً من القراء آثروا أن يحصلوا عليها مجاناً بدل أن يقدموا الدعم المادي لها. وفي اعتقادي أن هذه قضية هامة جداً بالنسبة لكثير من الأنشطة الدعوية الإسلامية. ويشيع بين كثيرٍ من الناس أن كل ما يتعلق بالأمور الدينية الإسلامية يجب أن يكون مجاناً. والحق أقول، فمن وجهة نظر عملية، لا يمكن أن يكون هذا عملياً؛ فالذي حدث لمجلة البشير، مثلاً، أنه كانت بعض المساجد تشتري نسخة واحدة من المجلة، ثم يقومون بتصويرها وتوزيعها مجاناً بعد صلاة الجمعة. وقد أصبحت التبعات المالية كبيرة وثقيلة جداً، وخاصة بما أنه تمَّ اتخاذ قرار بعدم وضع إعلانات في المجلة، وذلك لعدد من الأسباب، وبذا، فقد اضطرتْ هذه المجلة لإغلاق بابها. وقد تمَّ بحمد الله وتوفيقه، نشر عدد من المقالات التي نشرت في العددين الأول والثاني من هذه المجلة في كتاب مستقل بعنوان: «نحو فهم لديننا»، وأدعو الله أن يجعل هذا العمل نافعاً ومفيداً لعامة المسلمين

البيان: نستأذن فضيلتكم بالانتقال إلى موضوع آخر؛ حيث نعيش هذه الأيام حمى الانتخابات الأمريكية؛ فهل للمسلمين الأمريكيين أثر في انتخابات الرئاسة الأمريكية، أو انتخابات مجلس الشيوخ، أو الكونجرس؟ وهناك من ينادي في أمريكا بتكوين فريق من المسلمين للضغط على الساسة الأمريكان ويرون أن المسلمين يمثلون قوة فاعلة في أمريكا، فهل تتفقون مع هذا الرأي؟ وهل هو مجدٍ من الناحية العملية؟

■ سأحاول الرد باختصار جداً على هذين السؤالين. ولذا، ستكون إجابتي غير مكتملة. وإني أعتقد أن إعطاء ردٍّ كامل على هذين السؤالين لا يمكن استيعابه في مجال مقابلة في هذه المجلة.

فأولاً: لا يزال أثر المسلمين، حتى هذا التاريخ، ضئيلاً جداً على الانتخابات في أمريكا، علماً بأن هذا الأثر ينمو ببطء؛ حيث إن المسلمين ينخرطون في المجال السياسي أكثر وأكثر حالياً. إلا أنه في الوقت ذاته، يجب أن ندرك أنه إذا أردنا بحقٍّ أن يكون للمسلمين أثر قوي على الانتخابات الأمريكية، فلا بد أن يقوم الأفراد ببعض الأعمال غير المناسبة أخلاقياً أو قانونياً من وجهة النظر الإسلامية. وإنني أعتقد أنه يجب على المسلمين أن يكونوا حذرين جداً عندما يتناولون أموراً مثل هذه.

ثانياً: أني أعتقد أيضاً أن المسلمين في

أمريكا ليسوا جاهزين بعدُ لتمثيل أية قوة سياسية أو حزب سياسي؛ لأن جماهير المسلمين بشكل عام لم يطوِّروا بعدُ الوعي والإدراك العام ليعرفوا أين ولمن يعطون ولاءهم وإخلاصهم. ولسوء الحظ فإنني قد قابلت عدداً من المسلمين ممن يعتقدون بولائهم الوطني على أنهم مواطنون أمريكيون، بنفس القدر الذي يعلنون ولاءهم فيه للإسلام، إن لم يكن ولاؤهم لوطنيتهم الأمريكية أكثر من ولائهم للإسلام، ويصدق هذا أيضاً حتى عندما يكون هناك خلاف واضح بين الولاءين. وكما قلت، فإنني لا أريد الخوض في التفاصيل؛ فقد يكون من الخير ألا يكون للمسلمين قوة سياسية كبيرة أو أثر سياسي كبير في الوقت الحالي؛ فقد لا يكون من النافع لهم ـ والحالة هذه ـ أن يمتلكوا هذه القوة وهم لا يعرفون كيف يستخدمونها بشكل مناسب. ومن الواضح أن استنتاجي هذا (وقد لا يكون مقبولاً لدى الكثيرين)، إنما هو مبني ببساطة على ملاحظاتي الشخصية خلال السنوات الطويلة للمسلمين في هذه البلاد، والله وحده أعلى وأعلم.

البيان: تعمد وسائل الإعلام الأمريكية إلى تشويه الإسلام والهجوم على المسلمين؛ فهل ترون أن هذا سوء فهم للإسلام؟ أم أن لها خطة مدروسة معلومة أبعادها؟ وهل هناك خطة من بعض المسلمين أو الجمعيات الإسلامية لمواجهة ذلك؟

■ مما لا شك فيه أن هناك عدداً كبيراً من الناس يستخدمون وسائل الإعلام لمهاجمة الإسلام مثل: دانيال بايبس، ستيف إيمرسون، وغيرهما. وعلاوة على ذلك، فإن أكثر مصادر الإعلام لديهم ما يسمونه «خبراء» فيما يتعلق بأمور الإسلام. وأكثر هؤلاء الخبراء، بوجه عام، هم من المستشرقين الذين تعلموا كيف يمكرون بدهاء وبطرق خفية لمهاجمة الإسلام وهم يبدون للعامة بأنهم أكاديميون وباحثون فقط. ويبدو أن هؤلاء الأشخاص الذين يتربعون على القمة في هذا المجال يحاولون، دون أدنى ريب، أن يستخدموا تأثيرهم ونفوذهم وأدواتهم المختلفة ليسيئوا إلى الإسلام ويصرفوا الناس عنه. بينما نلاحظ أن الأشخاص الذين هم أدنى من هؤلاء في مجال الإعلام ـ وقد قابلت كثيراً منهم خلال السنوات الماضية ـ لا يعرفون إلا القليل عن الإسلام، وهم يعتمدون على ما تمدهم به مصادرهم التي تُدْعى ـ كما أشرنا آنفاً ـ «خبراء». ويصعب تحديد عدد الذين يودون فعلاً مهاجمة الإسلام، كما يصعب أيضاً تحديد عدد الجاهلين منهم. ويجب أن نأخذ في الحسبان أن كثيراً من الأمريكيين ـ بوجه عام ـ جهلة إلى حد كبير فيما يتعلق بأمور الإسلام وشؤونه. كما أن العاملين في المجالات الدنيا من الإعلام ليسوا أحسن حظاً من الجماهير الأمريكية بشكل عام، ولذا، فينبغي ألا نستغرب مدى جهلهم أيضاً. والحمد لله، فإن هناك بعض

المؤسسات والجمعيات الإسلامية حالياً تراقب بنشاط كبير ما يصدر في الإعلام الأمريكي وترصده، فإذا وجدت أي مادة منافية أو مضادة مهاجمة، فيبدؤون حملة إعلامية نشطة للاتصال بتلك المصادر الإعلامية، ويُعلِمون المسلمين في كافة أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية بما يجري على الساحة الإعلامية. وقد أسست هذه المؤسسات القاعدة الأساسية والرفض الجماهيري، أو الطلبات القوية التي توجه إلى تلك المصادر الإعلامية التي تحاول التشويه أو المهاجمة ضد الإسلام والمسلمين لسحب ما يقولونه ضد الإسلام، أو تصحيحه. وقد كانت جهود هذه المؤسسات موفقة جداً، بحمد الله، في بعض الحالات. وقد ساعدت جهودهم الطيبة هذه على تحسين فهم الإسلام من قِبَلِ هؤلاء العاملين في مجال الإعلام.

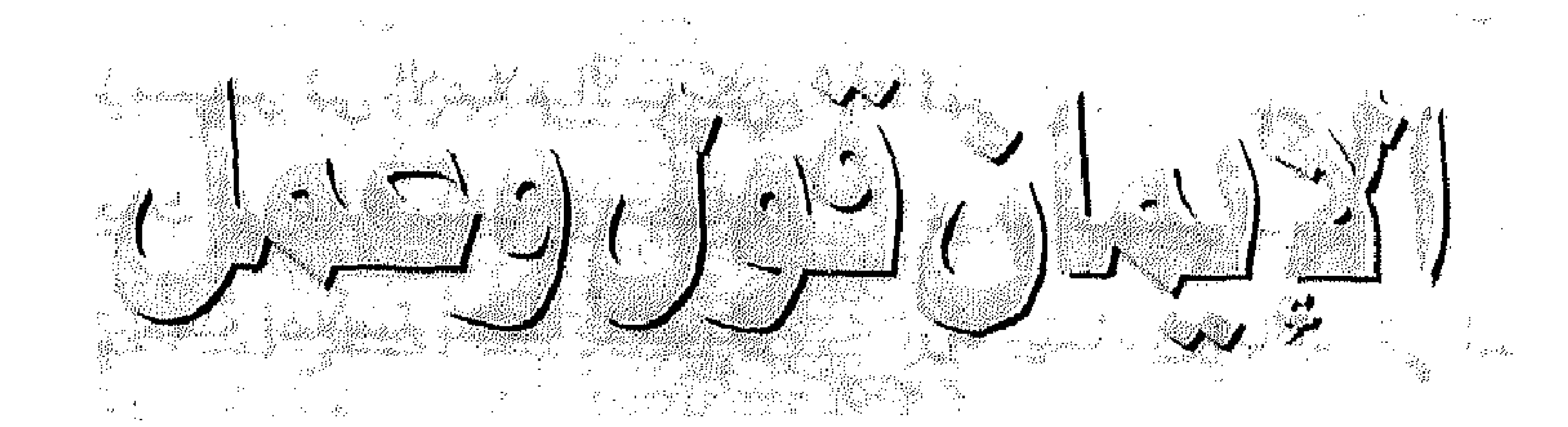
البيان: ختاماً، نرجو من فضيلتكم أن تعرفنا بمؤلفاتك والكتب التي ترجمتها، ثم تخبرونا بمشاريعكم العلمية المستقبلية.

لقد تمكنت ـ بنعمة ربي ورحمته ـ من نشر بعض المؤلفات والترجمات. ولعل من أهم كتاباتي في هذا المجال: «تعليق على الأربعين النووية». ويقع هذا الكتاب في ثلاثة مجلدات ضخمة وهو شرح لهذه الأحاديث الهامة. وقد تكرم الدكتور جعفر شيخ إدريس بكتابة مقدمة لهذا العمل الضخم. وكذلك، فقد كتبت: «نحو فهم أفضل للقرآن الكريم» و«مكانة السنة وأهميتها». وأما أعمالي المترجمة فتشتمل على: «عالم الجن والشياطين للدكتور عمر الأشقر»، وعدد من الكتب التي كتبها الدكتور صالح السدلان، ومنها: «النشوز وفقه الزواج في ضوء القرآن والسنة». وأما فيما يتعلق بمشاريعي المستقبلية، فقد تعلمت منذ زمن طويل أن من الأفضل ألا يناقش المرء مشاريع المستقبل؛ فقد يظن المرء أنه سيفعل شيئاً ما في المستقبل، إلا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يصرفه عنه ويوجهه إلى شيء آخر قد يكون مختلفاً تماماً عمَّا أراد. لذا، سأنتظر وإياكم لنرى المشروع التالي الذي سأنجزه بنعمة الله ورحمته وفضله.

وختاماً، فإني أرجو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يبارك جهودكم الطيبة في هذه المجلة ـ البيان ـ ولله الحمد، فإنها لا تزال ذات نفع عظيم لكثير من المسلمين. وأرجو الله أن يزيدكم قوة إلى قوتكم، وقدرة إلى قدرتكم لتستمروا في العطاء والنشر للعديد من السنوات القادمة، بحول الله وتوفيقه.

فجزاكم الله خيراً.





اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء السعودية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من عدد من المستفتين المقيدة استفتاآتهم بالأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (٥٤١١) وتاريخ ١٤٢٠/١١/٧هـ، ورقم (١٠٢٦)، وتاريخ ١٤٢١/٢/١٧هـ، ورقم (١٠١٦)، وتاريخ ١٤٢١/٢/٧هـ، ورقم (١٣٩٥)، وتاريخ ١٤٢١/٣/٨هـ، ورقم (١٦٥٠)، وتاريخ ١٤٢١/٣/١٧هـ، ورقم (١٨٩٣)، وتاريخ ١٤٢١/٣/٢٥هـ، ورقم (٢١٠٦)، وتاريخ ١٤٢١/٤/٧هـ، وقد سأل المستفتون أسئلة كثيرة مضمونها: «ظهرت في الآونة الأخيرة فكرة الإرجاء بشكل مخيف، وانبرى لترويجها عدد كثير من الكتاب يعتمدون على نقولات مبتورة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، مما سبب ارتباكاً عند كثير من الناس في مسمى الإيمان؛ حيث يحاول هؤلاء الذين ينشرون هذه الفكرة أن يخرجوا العمل عن مسمًّى الإيمان، ويرون نجاة من ترك جميع الأعمال وذلك مما يسهل على الناس الوقوع في المنكرات وأمور الشرك وأمور الردة إذا علموا أن الإيمان متحقق لهم ولو لم يؤدوا الواجبات ويتجنبوا المحرمات ولو لم يعملوا بشرائع الدين بناءاً على هذا المذهب. ولا شك أن هذا المذهب له خطورته على المجتمعات الإسلامية وأمور العقيدة والعبادة؛ فالرجاء من سماحتكم بيان حقيقة هذا المذهب وآثاره السيئة وبيان الحق المبني على الكتاب والسنة، وتحقيق النقل عن شيخ الإسلام حتى يكون المسلم على بصيرة من دينه، وفقكم الله وسدد خطاكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بما يلي:

هذه المقالة المذكورة هي مقالة المرجئة الذين يُخرجون الأعمال عن مسمَّى الإيمان، ويقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب، أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط، وأما الأعمال فإنها عندهم شرط كمال فيه فقط وليست منه؛ فمن صدق بقلبه ونطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم، ولو فعل ما فعل من ترك الواجبات وفعل المحرمات، ويستحق دخول الجنة ولو لم يعمل خيراً قط؛ ولزم على ذلك الضلال لوازم باطلة منها حصر الكفر بكفر التكذيب والاستحلال القلبي، ولا شك أن هذا قول باطل وضلال مبين مخالف للكتاب والسنة وما عليه أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً، وأن هذا يفتح باباً لأهل الشر والفساد للانحلال من الدين وعدم التقيد بالأوامر والنواهي والخوف والخشية من الله سبحانه، ويعطل جانب الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسوِّي بين الصالح والطالح، والمطيع والعاصي، والمستقيم على دين الله والفاسق المتحلل



من أوامر الدين ونواهيه، ما دام أن أعمالهم هذه لا تُخِلُّ بالإيمان كما يقولون، ولذلك اهتم أئمة الإسلام قديماً وحديثاً ببيان بطلان هذا المذهب والرد على أصحابه، وجعلوا لهذه المسألة باباً خاصاً في كتب العقائد، بل ألَّفوا فيها مؤلفات مستقلة كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وغيره. قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في العقيدة الواسطية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل. قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية». وقال في كتاب الإيمان: «ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح». وقال ـ رحمه الله ـ: «والسلف اشتد نكيرهم على المرجئة لما أخرجوا العمل من الإيمان، ولا ريب أن قولهم بتساوي إيمان الناس من أفحش الخطأ؛ بل لا يتساوى الناس في التصديق ولا في الحب ولا في الخشية ولا في العلم، بل يتفاضلون من وجوه كثيرة» وقال ـ رحمه الله ـ: «وقد عدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، واعتمدوا على رأيهم وعلى ما تأولوه بفهمهم للغة وهذه طريقة أهل البدع». انتهى.

ومن الأدلة على أن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان وعلى زيادته ونقصانه بها، قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٩]. وقول الرسول ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان». قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في كتاب الإيمان أيضاً: «وأصل الإيمان في القلب وهو قول القلب وعمله. وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد. وما كان في القلب فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح. وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه. ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له. وهي شعبة من الإيمان المطلق وبعضٌ له.
وقال أيضاً: بل كل من تأمل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول. ويعلم بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمام الإيمان. وأنه لم يكن يجعل كل من أذنب ذنباً كافراً. ويعلم أنه لو قدر أن قوماً قالوا للنبي ﷺ: نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك، ونقر بألسنتنا بالشهادتين؛ إلا أنَّا لا نطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه؛ فلا نصلي، ولا نصوم، ولا نحج، ولا نصدق الحديث، ولا نؤدي الأمانة، ولا نفي بالعهد، ولا نصل الرحم، ولا نفعل شيئاً من الخير الذي أمرت به، ونشرب الخمر، وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر، ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك، ونأخذ أموالهم؛ بل نقتلك أيضاً ونقاتلك مع أعدائك. هل كان يتوهم عاقل أن النبي ﷺ يقول لهم: أنتم مؤمنون كاملو الإيمان، وأنتم أهل شفاعتي يوم القيامة ويرجى لكم أن لا يدخل أحد منكم النار؟ بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم: أنتم أكفر الناس

بما جئت به، ويضرب رقابهم إن لم يتوبوا من ذلك» انتهى.

وقال أيضاً: «فلفظ الإيمان إذا أُطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر وبلفظ التقوى وبلفظ الدين كما تقدم. فإن النبي ﷺ بيَّن أن الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان. وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق وكذلك لفظ التقوى. وكذلك الدين أو دين الإسلام. وكذلك رُوي أنهم سألوا عن الإيمان فأنزل الله هذه الآية: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٧]. إلى أن قال: والمقصود هنا أنه لم يثبت المدح إلا على إيمان معه العمل. لا على إيمان خال عن عمل». فهذا كلام شيخ الإسلام في الإيمان. ومن نقل عنه غير ذلك فهو كاذب عليه.

وأما ما جاء في الحديث أن قوماً يدخلون الجنة لم يعملوا خيراً قط فليس هو عاماً لكل من ترك العمل وهو يقدر عليه. وإنما هو خاص بأولئك لعذر منعهم من العمل أو لغير ذلك من المعاني التي تلائم النصوص المحكمة وما أجمع عليه السلف الصالح في هذا الباب.

هذا واللجنة الدائمة إذ تبين ذلك فإنها تنهى وتحذر من الجدال في أصول العقيدة لما يترتب على ذلك من المحاذير العظيمة وتوصي بالرجوع في ذلك إلى كتب السلف الصالح وأئمة الدين المبنية على الكتاب والسنة وأقوال السلف، وتحذر من الرجوع إلى الكتب المخالفة لذلك وإلى الكتب الحديثة الصادرة عن أناس متعالمين لم يأخذوا العلم عن أهله ومصادره الأصيلة. وقد اقتحموا القول في هذا الأصل العظيم من أصول الاعتقاد، وتبنوا مذهب المرجئة، ونسبوه ظلماً إلى أهل السنة والجماعة، ولبَّسوا بذلك على الناس، وعززوه عدواناً بالنقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وغيره من أئمة السلف بالنقول المبتورة، وبمتشابه القول وعدم رده إلى المحكم من كلامهم. وإنَّا ننصحهم أن يتقوا الله في أنفسهم، وأن يثوبوا إلى رشدهم، ولا يُصَدِّعوا الصف بهذا المذهب الضالِّ. واللجنة أيضاً تحذر المسلمين من الاغترار والوقوع في شراك المخالفين لما عليه جماعة المسلمين أهل السنة والجماعة.

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح والفقه في الدين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس	عضو
عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ	عبد الله بن عبد الرحمن الغديان
عضو	**عضو**
صالح بن فوزان الفوزان	بكر بن عبد الله أبو زيد

الرقم: ٢١٤٣٦

التاريخ: ١٤٢١/٤/٨هـ



قف يا نسيم

شعر: ياسر جياكتا

وقف النسيم يسائل الأخيارا ... والكون يرقب دونه الأخبارا
متسائلاً عن أمة لَمَّا تزل ... في الذل راتعة وتلعق عارا
كانت تسود الكون ملكاً عامراً ... فالأرضَ تملك روضَها وقفارا
فالله أكبر في المآذن قد سرى ... للحق، أرشد للعقول، أنارا

❁ ❁ ❁

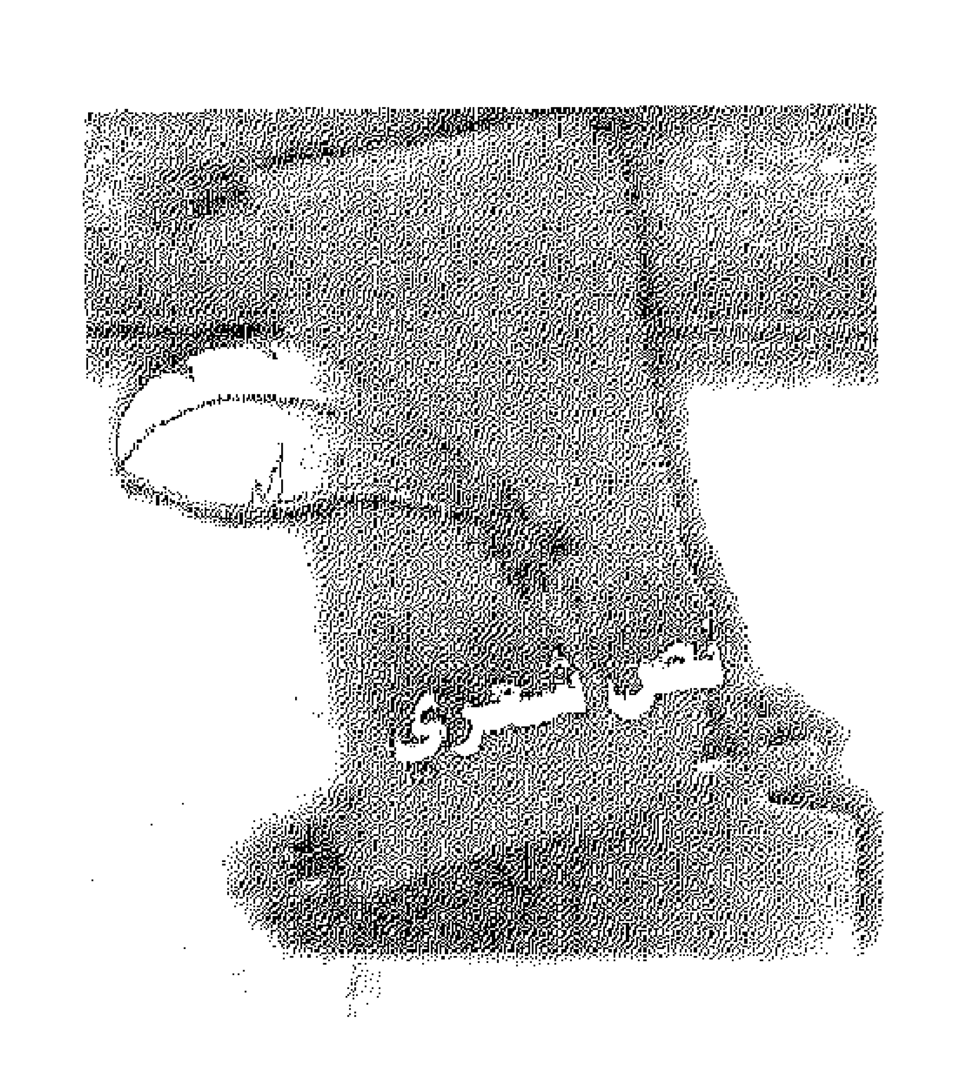
وجيوش أحمد قد شققن طريقها ... نحو المدائن تفتح الأمصارا
فإذا بهم كالبحر يلطم بعضه ... والخيل تعدو والسيوف تبارى
والجند تصنع من غليل دمائها ... سيفاً، تفرق حولها الكفارا
والسيف يزأر في العدو وقد لوى ... معه المنية تسحق الأعمارا
والجَيش يسحب ثوبه مترسلاً ... والخيل ترفل كالعروس فخارا
بل خالد سيف الإله كأنما ... جعل البطولة شَمْلَة وإزارا
كالفجر يطرق في العدوّ بعزمه ... ويقود جيشاً جامحاً جرّارا

❁ ❁ ❁

يا قوم قد ذهب الأباة فما أرى ... فيكم نجوماً تخلف الأقمارا؟
يا قوم ما الحدث الذي بنزوله ... عدل الأريب عن الصواب وحارا
عجباً أخالد! ما لقومي أذعنوا؟ ... وقد انتصرتَ على العدو مرارا!
أو ما رأيتم مصعباً بلوائه ... أو طلحةً، أو جعفر الطيارا
نذروا الجهاد بأن يكون حليفهم ... فالله تمم بيعهم وأجارا
قف يا نسيم على عبير دمائهم ... وانشره طيباً طيّباً معطارا
فلعل ريح دم الشهيد يطيب لي ... يوحي إلى جيل الغد الأخبارا
يوحي بأن المجد ليس بآيب ... حتى نكشّف دونه الأستارا
وبأن من رام المعالي ربما ... صفعته أيدي التضحيات مرارا
قف يا نسيم وسائل الأرض التي ... بعراء بدر واسكب الأشعارا
قف يا نسيم على الصبير[1] وسائلن ... أُحُداً وسائل سفحه الجبارا
قف يا نسيم وسائل الأرض التي ... بحُنَيْن واسأل دونها الأحجارا
ستجبْك حتماً أن جنداً قد مضوا ... يعلون ركناً للجهاد جهارا

---

(١) الصبير: السحاب الأبيض.



جاء الحق

علي بن جبريل

(الله أكــبــر جــاء الحق وانبلجــا)　　وطأطأ البــغي رأس الذل وانزعــجــا

وأشــرقت في الدُّنا الأنوار طافــحــة　　يا ســعـدنا ... وخـفى الإظلام واندرجا

تســابق البِـشْــر في الأنحــاء، وانطلقت　　بشــائر النصــر كـيمــا تبـهج المهـجا

الله أكــبــر يا تــاريخ.. مــقــبلة　　أيامنا، مــانحــات للدُّنا الفــرجــا

شــبـاب صـحـوتنا الميـمـون قـادمـة　　جـمـوعـهم! تكسـر الأقـفـال والرتجـا

سـيـقـبلون.. خـيـول النصـر تحـملهم　　وينفــضــون تـراب الذل والرهـجــا

أتوك من كل فـج مظلم.. لُجـجــاً　　تســيـر.. تتـبع في أدراجـهــا لجـجـا!

من كل نـاحــيــةٍ يأتون، رايتُــهـم　　خـفـاقـة، لا ترى في صـفـهم عـوجـا

ســفــينة الحق يا تـاريخ قــادمــة　　لا ترهـب الموج والطوفــان والثـبــجـا!

تســيــر رغم هيــاج الموج في ثقــة　　كـأنهــا الصـبح.. والموج العنيف دجى!!

تقـول: يا صـحـبنا لا تيـأسـوا أبداً　　إن عـربد البـغي والليل البـهـيم سـجـا

فـالفلك قـادمـة يحـدو مـسـيـرتهـا　　جـمـيع من لطريق العــزة انتــهـجـا

والليل مـهـمـا عـتـا واسـودُ جـانبـه　　فلن يقــر أمــام الصـبـح إن ولجــا!

الله أكــبــر لم تـعــقُم حــرائرنا　　مـا دام في سـوحـهن الشـهم قـد درجا

دمـاؤه من دم الفــاروق منبــعـهـا　　والروح وثـابة لا تشـتـكي حــرجـا

من خـالدٍ صـاغ نصـراً خـالداً وأتى　　يخـوض ملحـمـة الأهوال مـبتـهـجـا!

أبناؤه كل شـهم من شـبـيـبـتنا ... لا يرهب البغي مهما ماد واعتلجا

شـبـيـبـةُ الحق لا يخشون نائبـةً ... ولا يهابون جيش الكفر إن خرجا

هم يمتطون سروجَ الخيل صاهلة ... ويحملون لهذي الدلجة السرجا

يفـرُّ إبليس منهم حين مقدمهم! ... فالنصر في دمهم - يا سعدهم - مزجا

تخـرُّ قاعدة الإشراك إن طلعوا ... وإن سروا دُكَّ صرحُ الكفر وانفلجا!

هم يرحلون إذا ما العزةُ ارتحلتْ ... ويدلجون وراء الحق إن دلجا

ويهجرون ديار الذُّلّ قاطبة ... والنور إن عرجوا ـ أيان هم ـ عرجا!!

سـودٌ معاركهم .. بيضٌ مخايلهم ... نور مطالعهم .. كالبدر إن وهجا!

في صفهم كلُّ ذي علمٍ وذي أدبٍ ... هم ثلة لا ترى في صفهم همجا

في وحدة مثل بنيانٍ مرصَّصةٍ ... أحجاره، لا ترى من بينهم فرجا

الله أكبر يا تاريخ .. دوحتُنا ... تزينت، والجنى في ساحها نضجا

ترقرق النورُ في أنهارِها طرِباً ... والطير من أجمل الألحان قد نسجا

❁ ❁ ❁

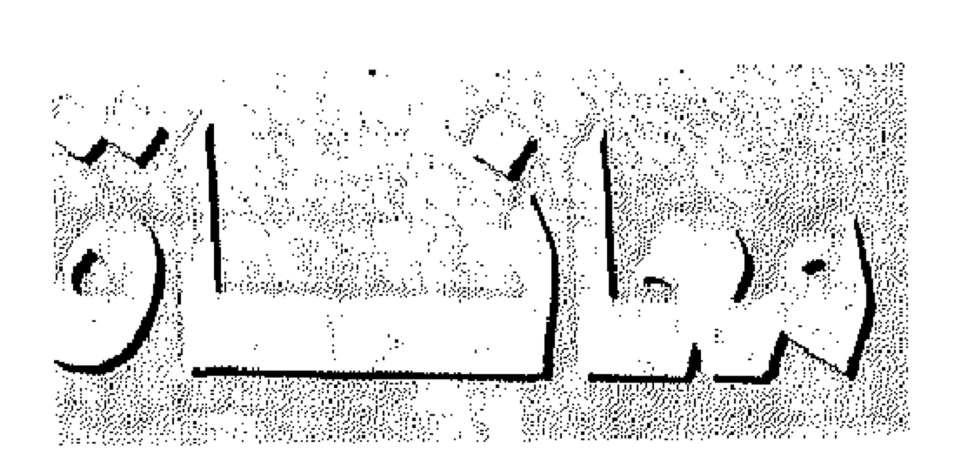
الله أكبر هذا الدربُ ـ أمتنا ـ ... من ضل عنه غوى، أو سار فيه نجا!

الله أكبر .. هذا ركبُنا قدموا ... فعانق الدرب ظل الركب واندمجا!

الخيرُ في دمهم والنصر ديدنهم ... والقلب - يا أمتي - في حبك اختلجا

أتوكِ من كل فجٍّ ينشدون لنا: ... (الله أكبر جاء الحق وانبلجا)





معاناة

عماد الغزي

محمد وأولاده الخمسة لم يذوقوا الطعام منذ أيام، لا يجدون إلا كسرة الخبز يسدون بها جوعهم، ويقيمون بها أَوَدَهم..

أما علي فهو بحاجة لمحسن متصدق لدفع تكاليف علاج ولده الوحيد الذي يحتاج لعملية عاجلة، وليس له إلا طرق أبواب الصحف والمجلات لعل ناشراً ينشر حالته، فتصادف قلباً رحيماً أو باحثاً عن الشهرة لعلاجه.

خالد يحمل شهادة جامعية وقد مرت سنة وهو يبحث عن عمل وأخيراً وجد وظيفة (عامل نظافة) في أحد الفنادق.

طفل لا يتجاوز العاشرة عامل بناء! أرملة باعت كرامتها لإطعام أطفالها.

لم تكن تلك مقتطفات من قصة حزينة أو مشاهد من فيلم لمخرج متشائم، إنها المعاناة اليومية لرجل الشارع المعتاد في بلاد المسلمين، تلاحقه الهموم والأحزان، فمن هَمِّ المأكل والمشرب، إلى العلاج والدواء والبحث عن الوظيفة، إلى تعليم الأولاد ورعايتهم. ومع ضعف الإيمان والتوكل أصبح دائم التفكير، مشغول البال، عابس الوجه لا ينفك من مشكلة وحاجة حتى يبدأ في غيرها.

الحاجة وذل الحاجة أحالت جبال العزة والكرامة إلى قيعان من الذل الهوان، لم يعد مكاناً للهمة العالية والنفس الكبيرة؛ ورجل الإصلاح ورجل العقيدة أصبح كل منهما إنسان لقمة العيش، ذليلاً لها ولمن يقدمها له.

مصطلحات (الضمان الاجتماعي، التعليم للجميع، الرعاية الصحية) لا وجود لها في المعجم العربي، إنها حكر على مواطنهم الغربي يرفل بها وينعم.

أما شعوبنا فلها توصيات صندوق النقد الدولي، ولها أن تسعد بارتفاع الناتج المحلي من الوعود الهائلة والحملات الإعلامية التي تجعل من سائر نكبات الأمة أنموذجاً فريداً في الإنجازات تستهلك فيه جميع مفردات المديح من معجمات اللغة العربية.

شعوب هذه حالها كيف يمكن لها أن تعمل وتنتج، فضلاً عن أن تبدع وتبتكر؟ يتفكر المرء أحياناً: لماذا هذه الحاجة والفاقة في بلاد المسلمين؟ لماذا نحن هكذا وبلادنا أرض الخيرات ومنبع الخامات؟

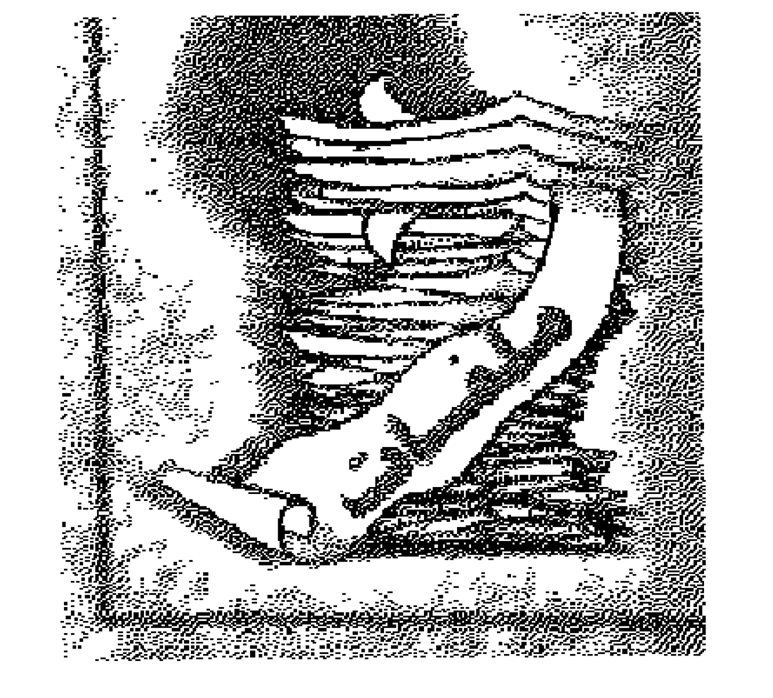
هل ما نحن فيه يراد لنا؟ هذا الذل والحاجة أهو أمر مخطط مقصود؟

هل يراد لنا أن نصبح ونمسي على هَمِّ لقمة العيش، فننصرف عن معالي الأمور إلى سفاسفها، وننشغل عن درء الظلم عنا بدرء الظلم عن الآخرين؟

ومع المعاناة تنظر الجماهير إلى من يعبر عن معاناتها وينافح عن حقوقها؛ ولكن كيف تعبر بعض المجلات العربية عن هموم رجل الشارع المعتاد؟ وحسبنا منها عناوين أغلفتها الخارجية التي تعبر عن أهم موضوعاتها:

(رجال في عيادات أمراض النساء/ بزنس النساء هل هو إغراء؟ / لن أستغل جمالي في التمثيل/ أسرار ما قبل الزواج هل أبوح بها؟). إلى آخر هذه العناوين.

فهل تعبر هذه المجلات عن حال الأمة؟ وهل تنطق بلسانها: أين تعيش؟ ولماذا تعيش؟ وعلى من تعيش؟



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٣ ـ ٣)

لماذا وراء الإرساليات الإنسانية؟!

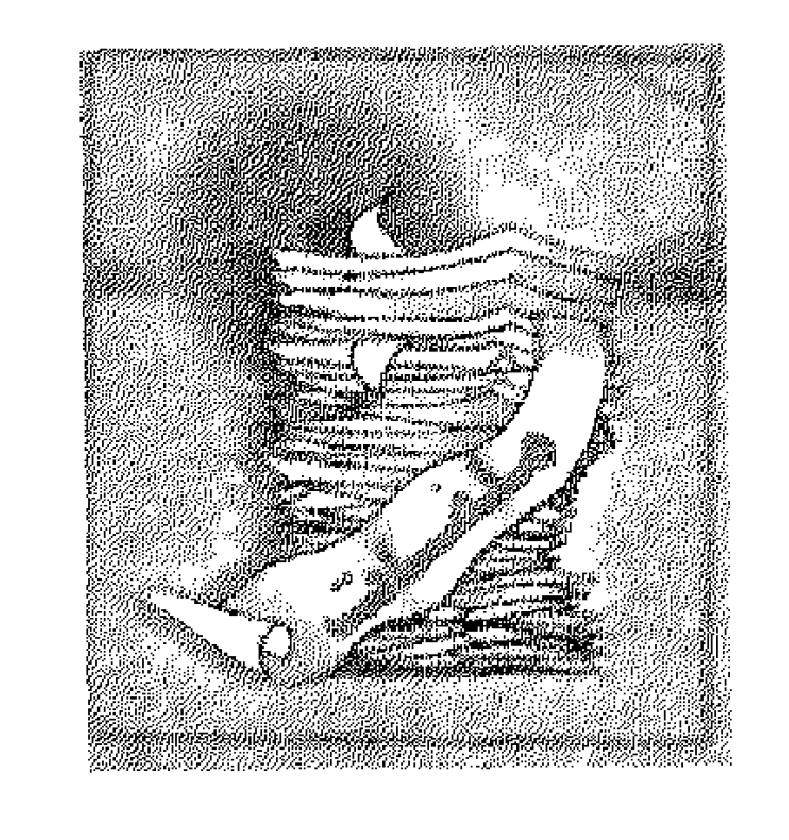
قبل أكثر من مائة عام قام الدكتور (لانسنج) وثلاثة من مساعديه، وهم: (جيمس كانتين، وصموئيل زويمر، وفيليب فيليبس) بتشكيل مجموعة تنصيرية في ولاية نيوجرسي الأمريكية، هدفها: نشر الدين النصراني في بعض البلدان العربية، وكانت البداية في منطقة الخليج والجزيرة العربية، ويذكر صموئيل زويمر السبب في هذا الاختيار بقوله: (إن من الدوافع إلى العمل في المنطقة: الأسباب التاريخية؛ فللمسيح الحق في استرجاع الجزيرة العربية التي أكدت الدلائل التي تجمعت لدينا في الخمسين سنة الأخيرة، أن المسيحية كانت منتشرة فيها في بداية عهدها)[١].

وبعد عدة سنوات من الاجتماعات وحملات التبرع بدأت الإرسالية الأمريكية أولى رحلاتها إلى البصرة في العراق في عام (١٨٨٩م)، ثم تتابعت الرحلات إلى الكويت والبحرين وعمان والإمارات واليمن.. ونحوها. وقد نشرت مقالات ومذكرات عدد من المنصرين في هذه المنطقة في عدة كتب من أهمها: كتاب (صدمة الاحتكاك) من إعداد وترجمة خالد البسام.

إنَّ قراءة بعض المقالات المترجمة في هذا الكتاب تُوقفنا على أخبار وحكايات مذهلة ومثيرة للانتباه قامت بها البعوث الأولى للتنصير في منطقة الخليج، وتجعلنا ندرك بيقين أن ما يسمى بالمساعدات الإنسانية والطبية ما هي إلا أداة رئيسة من أدوات التنصير وإخراج الناس عن دين الله تعالى. وهذا ما سيتأكد لنا عند قراءة الجزء الثالث من ملف (التنصير.. هل أصاب الهدف؟!) الذي خصصناه لغرض بعض جهود المنصرين في بعض الدول العربية. ونجزم بأن ما ذكر ما هو إلا شيء يسير من الواقع، لكن دلالاته عميقة..!!

لقد كنا نتوقع أن يكون هذا الملف في جزأين اثنين، إلا أن حجم المادة الكبير الذي بين أيدينا جعلنا نضيف هذا الجزء، مع أننا تركنا عدداً من المقالات الأخرى خشية الإطالة والإملال. ونرجو أن يجد القارئ الكريم في المادة المنشورة ما يفي بالغرض ويرضي الطموح بإذن الله تعالى.

(١) مقدمة صدمة الاحتكاك (ص٥)، دار الساقي. الطبعة الأولى ١٩٩٨م.



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٣ـ٣)

الوجود النصراني في السودان

دراسة ميدانية (*)

إعداد: محمود صالح

مقدمة الدراسة: تمنى النصارى أن يحولوا القارة الإفريقية كاملة إلى حظيرة لدينهم المبدل، ولم يكتفوا بالأماني فقط، بل سعوا إلى ذلك بكل ما أوتوا من أسباب توصلهم إلى ذلك، وقد نجحوا نجاحاً ضئيلاً جداً في عدد محدود من دول القارة، وهذا النجاح القليل يساوي إخفاقاً كبيراً، وهذا الإخفاق غذَّى لدى النصارى حقداً زائداً ومضاعفاً على الإسلام في تلك القارة؛ حيث هو دين الحق الذي يواجه الدين المحرف، وحيث العداوة التاريخية الطويلة للنصارى مع المسلمين في كل مكان؛ فكان لا بد من بث هذا الحقد بشكل أكثر عملية، وفي القارة نفسها، وفي دولة مسلمة كذلك. كانت تلك الدولة التي تنفس فيها النصارى بصدور ملؤها الحقد.. هي السودان، وجد النصارى في هذا البلد أسباباً عديدة تدعوهم لمحاولة الفتك به، وتحويله حسب أمانيهم إلى دولة نصرانية، أو ـ على الأقل ـ تحويل جزء منه. وقد كانت عناصر: المساحة الكبيرة، والتنوع القبلي، والعرقي، واللغوي، عوامل مساعدة للحملة الصليبية على السودان.

فالسودان بلد مساحته كبيرة؛ إذ تتجاوز ٢,٥ مليون كيلو متر مربع، ويضم أكثر من ستمائة قبيلة، كذلك هناك التنوع العرقي «النيلية، الحامية، الزنجية» إضافة إلى التنوع اللغوي «العربية، الإنجليزية، واللهجات القبلية»؛ حيث يوجد أكثر من ١١٠ نوع بين لغة ولهجة محلية، وفي الجنوب وحده ٥٣ لغة ولهجة.

أما التنوع الديني فيتركز المسلمون في الشمال، وهم يمثلون ٧٠٪ من إجمالي سكان السودان، أما الجنوب فإن ١٨٪ من سكانه مسلمون، و١٧٪ نصارى، والنسبة الباقية ٦٥٪ وثنيون ولا دينيون، كما أن للسودان حدوداً دولية متشعبة مع تسع دول هي: مصر، ليبيا، تشاد، إفريقيا الوسطى، زائير، أوغندا، كينيا، أثيوبيا، إرتيريا؛ مما يسهل المناوشات على أكثر من جبهة في وقت واحد لتشتيت الجهود الداخلية، هذا التنوع الكبير تم التَّطرُّقُ عليه بشكل لافت لاستغلاله في توسيع الشقة بين سكان هذا البلد، وإذا ضُمَّ إلى ذلك غياب الوعي وكثرة الجهل، والأهداف الخبيثة التي تسعى الحملة الصليبية لتحقيقها، أمكن في وسط هذا الواقع المضطرب تنفيذ شيء من المخطط الصليبي. لقد كان عدم الاستقرار داخل السودان مطلباً نصرانياً لانتزاع جنوبه ليكون دولة صليبية جديدة. كان هذا هو الهدف الأساس للحملات النصرانية الدولية المتتابعة على السودان، ولم يكن لهذه الحملات ارتباط بمكافحة الإرهاب، ولا بتطبيق الشريعة أو الداعين إليها. فعندما قام جون قرنق بقيادة الفرقة ١١٥ معلناً تمرده، كان ذلك في إبريل العام ١٩٨٣م، أي قبل أن يعلن النميري تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان بسبعة أشهر. وكما كانت

(*) تم إغفال ذكر عدد من المدن والمناطق ليناسب مساحة النشر... (البيان).

دعوة النميري شعارات جوفاء، فقد تلتها شعارات جبهة الإنقاذ التي لم تكن هي الأخرى سبباً في هذه الحملة.

* **البابا يفتتح الحملة الصليبية:** في مطلع العام ١٩٩٣م هددت الولايات المتحدة بإدراج اسم السودان في قائمة الدول التي ترعى الإرهاب، وذلك بعد تقرير مساعد وزير الخارجية الأمريكي للشؤون الإفريقية «هيرمان كوهين»، فكانت تلك مقدمة لفتح باب من الشر للهجمات الصليبية. وقام بابا الفاتيكان بزيارة رسمية للسودان في فبراير من العام نفسه، واستُقبل في السودان استقبالاً حاراً، وكانت عبارات الاستقبال مليئة بالحفاوة والمديح الزائد.

هذا الترحيب الحار بالملهَم قابله صلف نصراني شديد، ووضوح في تحديد مهام الزيارة وأهدافها، فلم يوارب ولم يُوَرِّ، بل أعلنها بكل صراحة حين قال: «إن رياح التغيير تهب على إفريقيا وتتطلب احترام حقوق الإنسان، لقد كانت لي رغبة ملحة للمجيء إلى السودان، وبصفتي خليفة القديس بطرس الذي جعله السيد المسيح رأساً على كنيسته، فمن اللازم عليَّ أن أشجع وأثبِّت الإيمان في إخوتي وأخواتي أينما كانوا، ولا سيما عندما يقتضي الإيمان شجاعة كبيرة وقوة للصمود، وعندما يكون الشعب ضعيفاً وفقيراً ولا حامي له، يجب أن أرفع صوتي لأتكلم باسمه».

وفي تلك الزيارة استمع البابا إلى تحريض كبير من رئيس الأساقفة «غبريال زبير واكو» ليدلي بدلوه في تأجيج أوار الحملة الجديدة: «إننا لا نريد أن نتعمق في المتاعب والمشاق التي مررنا بها خلال السنوات الأخيرة؛ فهؤلاء الرجال والنساء، وخاصة الكهنة والرهبان والراهبات والمبشرين، قد تحملوا حقيقة حرارة اليوم، ويقفون هنا في احتياج للتشجيع، لقد مرت فترة شعرنا فيها بانعدام الأمل، وفقدان القدرة، إن هذا البلد لا يعرف المسيح جيداً. هؤلاء الكهنة والرهبان والراهبات قد حملوا صليبهم مع المسيح بشجاعة لا متناهية وثبات عجيب، وإن المبشرين يستحقون تقديراً خاصاً منا؛ إنهم الصفوف الأمامية من الرجال والنساء للإنجيل، إنهم الناس الذين يجهزون الأرض للزرع».

كانت زيارة البابا الباب الذي دخل السودان من خلاله في دوامة العقوبات المتتالية، فبعد هذه الزيارة بأشهر قليلة وفي يوليو ١٩٩٣م اجتمع البابا مع البعثات التنصيرية العاملة في السودان لمناقشة الأوضاع هناك، وما ينبغي عمله لتحقيق الهدف. وبعد ذلك زار البابا واشنطن وقابل الرئيس الأمريكي بيل كلينتون، وأطلعه على أحداث زيارته للسودان، وما اتفق عليه في الاجتماع الذي تلاها. لم تطل المدة التي تتخذ فيها الإدارة الأمريكية مرئياتها حول الوضع في السودان؛ ففي ١٩٩٣/٨/١٩م أدرجت الولايات المتحدة السودان في قائمة الدول الراعية للإرهاب. وخطورة هذا القرار تكمن في قطع الولايات المتحدة للمساعدات العسكرية عن السودان وحثها المؤسسات الدولية والمالية على عدم تمويل السودان، في الوقت الذي تتدفق فيه المساعدات على جون قرنق في الجنوب ليقيم دولتهم النصرانية.

وفي ذلك العام أدانت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة النظام الحاكم في السودان بممارسة عمليات الإعدام والتعذيب، وبارتكاب مجازر وقتل عشوائي واختطاف الأطفال لاستخدامهم عبيداً أو جنوداً، وأدى ذلك إلى صدور قرار جديد بإدانة السودان في ١٩٩٣/١٢/١٤م. ولم تشأ منظمة العفو أن يفوتها شرف الاشتراك في الحملة الصليبية، فوجهت بدورها اتهامات إلى السودان بقتل ٣٠٠ ألف من المدنيين العزل في مدينة جوبا. كما سارت منظمة العفو الدولية في الاتجاه ذاته حينما أصدرت تقريراً في السنة نفسها اتهمت فيه الحكومة السودانية باستعباد الأشخاص وبيعهم. ثم جاء دور صندوق النقد الدولي؛ حيث رفض منح السودان أية قروض، وذلك تنفيذاً للتهديدات الأمريكية، كما قام الصندوق بتجريد السودان من حق التصويت في اجتماعاته.

وهكذا نرى الحلقات بدأت في التجمع لإنشاء سياج حديدي كبير على السودان لإضعافه داخلياً، في الوقت الذي ينشغل فيه بصد هذه المؤامرة الدولية الصليبية، وهو ما سمح لحركة التمرد بالانتفاش ، والحركة التنصيرية بالانتشار، ثم جاء دور الدولة المحتلة القديمة للسودان ـ بريطانيا ـ في نفث سمومها لتأجيج نار الحرب، فقامت باستقبال المعارضة السودانية في البرلمان البريطاني فيما عُد سابقة دولية خطيرة، كما أقدمت

الوجود النصراني في السودان

الدول الغربية على حملة نصرانية تدعو إلى التدخل الدولي في السودان وإقامة مناطق آمنة فيه على غرار ما حدث في العراق، وقد قادت هذه الحملة في بدايتها الكنائس الكاثوليكية الأوروبية والكنائس الكاثوليكية الإفريقية، ثم تولت الدول بعد ذلك هذه الحملة بنفسها، فأصدرت المجموعة الأوروبية والكونجرس الأمريكي ومجلس اللوردات البريطاني بياناً يدعو إلى التدخل الدولي في جنوب السودان، لوقف ما أسمته بعمليات التطهير العرقي ضد المسيحيين في جنوب السودان، ثم أعلنت الولايات المتحدة أنها تبحث إقامة مناطق آمنة لحماية الهاربين من الحرب الأهلية والمجاعة، وتوسعت الدعوة لإقامة مناطق آمنة حول العاصمة نفسها، ومناطق في الشمال.

وفي اتجاه آخر - ولزيادة جرعة الإلهاء والاستغراق في الدوامة المجهدة - تم جر السودان إلى مشاكل حدودية وسياسية مع الجيران، فأثيرت الخلافات مع مصر، ومع أوغندا، ومع إريتريا، وهكذا فتح باب آخر من الشر على ذلك البلد، ثم تلا ذلك الضربة العسكرية الأمريكية المشهورة لمصنع الشفاء للأدوية.

وإن كان الشعب السوداني قد صمد بفضل من الله أمام هذه الحملة الصليبية، إلا أن الحكومة قد قدمت تنازلات كبيرة في الواقع تخدم - من حيث تدري أو لا تدري - الهدف النصراني؛ حيث أعلنت أنها لن تطبق الشريعة الإسلامية في مناطق الجنوب، وأن الدستور السوداني لن يذكر أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، وهذا بلا شك تنازل خطير له دلالاته في الواقع. وهكذا نرى كيف هي الحملة على هذا البلد المسلم الذي غدا كوحيدة الغنم وسط قطيع من الذئاب.

وتجيء هذه الدراسة الميدانية لتبين حجم الوجود النصراني في السودان، من كنائس ومدارس ومنظمات ومراكز اجتماعية وصحية وثقافية، كلها تعمل لتفتيت السودان من داخله متواصلين مع الساعين لهدمه من خارجه..

فلك الله يا شعب السودان! - البيان -

● ولاية الخرطوم.. أولاً: محافظة الخرطوم:

أ - الكنائس:

* شارع الجمهورية.. الخرطوم:

١ - الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية: وتقوم برعاية شؤون الجالية اليونانية في الخرطوم.

٢ - كنيسة سيدة البشارة: وتقوم برعاية شؤون الروم الكاثوليك بالسودان.

* شارع النيل ووسط الخرطوم:

١ - مطرانية الأقباط الأرثوذكس: وتقوم برعاية كافة مصالح الأقباط بالسودان.

٢ - كاتدرائية القديس متَّى الكاثولوكية: وتمثل الإدارة العليا للنصارى الكاثوليك في السودان.

٣ - الكنيسة الإنجيلية: وتمثل إدارة من إدارات الكنيسة الإنجيلية في الخرطوم.

٤ - الكنيسة الإرسالية الأمريكية: وتتبع الكنيسة الإنجيلية. ٥ - كنيسة جنوب نادي المكتبة القبطية.

* الخرطوم ٢:

١ - الكنيسة السبتية: بها مدرسة لتدريس الكتاب المقدس، وتختلف عن الكنائس الأخرى في التعبد يوم السبت.

٢ - الكنيسة الأثيوبية الأرثوذكسية: وتمثل رئاسة النصارى الأثيوبيين الوافدين إلى السودان. ٣ - الكنيسة الأرمنية: وترعى شؤون النصارى الأرمن في السودان. ٤ - كنيسة السودان الداخلية: وتتبع الكنيسة الإنجيلية. ٥ - كاتدرائية جميع القديسين: وتتبع الكنيسة الأسقفية بالسودان.

* الخرطوم ٣: ١ - الكنيسة اللوثرية: وتتبع الكنسية الإنجيلية. ٢ - مركز شهود يهوه.

* العمارات: ١ - كنيسة الرسولين بطرس وبولس: وهي كنيسة كاثوليكية.

٢ - كنيسة تابعة للأقباط.

* الطائف: يوجد في هذا الحيِّ كنيسة واحدة وهي: الكنيسة الأرتيرية الأرثوذكسية: وهي ترعى الجالية الأرتيرية النصرانية بالسودان.

ب - المؤسسات التعليمية النصرانية:

١ - كمبوني الكاثوليك (أساس + ثانوي) لكل مرحلة عدة أنهر. ٢ - مدرسة بيتربول - توجد في مقر الكنيسة الإنجيلية وهي مسيحية بحتة. ٣ - الكلية القبطية الثانوية للبنين - توجد قرب إدارة شرطة المرور وهي الآن مجمدة النشاط. ٤ - المركز الكاثولويكي

الأوسط: يقع شمال مستشفى الخرطوم، يقوم هذا المركز بتعليم الطلاب كبار السن غير المؤهلين لدخول المدارس. ٥ ـ مدرسة وروضة قبطية بمقر الكنيسة القبطية بشارع ١٥. ٦ ـ مدرسة كاثوليكية للأساس جوار مكتب التكامل العربي الليبي. ٧ ـ مدرسة سستر اسكول Sis-terschool تشرف عليها الوكالة البطريركية للروم الكاثوليك. ٨ ـ مدرسة ماري يوسف للأساس بالديوم الشرقية. ٩ ـ مدرسة سنقست الثانوية بالديوم الشرقية. ١٠ ـ مدرسة الإيمان اللاهوتية بكنيسة السودان الداخلية. ١١ ـ مدرسة الكنيسة السبتية. ١٢ ـ مدرسة السجانة ـ في الأصل هي مدرسة حكومية (مدرسة السجانة التجارية) استأجر النصارى مبانيها في الفترة المسائية. ١٣ ـ كميوني الكاثوليك (مدرسة أساس للطالبات بالسجانة جنوب السوق). ١٤ ـ مدرسة قلة جلدة « مدرسة الراهبات» بشارع الحرية الخرطوم. ١٥ ـ مدرسة ماري يوسف الصناعية بالمنطقة الصناعية الخرطوم. ١٦ ـ مدرسة القديس (أساس + ثانوي) جنوب القيادة العامة للجيش. ١٧ ـ مجمع الكنيسة الإغريقية اليونانية (تمهيدي + أساس + ثانوي) ش الجمهورية. ١٨ ـ مدارس الاتحاد شمال غرب مستشفى الخرطوم (روضة + أساس + ثانوي). ١٩ ـ مدرسة كاثوليكية ضخمة بكوبر.

ج ـ المراكز الثقافية والاجتماعية : محافظة الخرطوم:

١ ـ مركز الثقافة الإنجيلي ـ لعله أكبر مركز ثقافي وسط الخرطوم يستقطب عدداً كبيراً من المثقفين، وهو يتبع الكنيسة الإنجيلية ويلعب دور المكتبات العالمية. ٢ ـ مكتبة جمعية الكتاب المقدس ـ تقع شمال فندق أراك. ٣ ـ نادي المكتبة القبطية ـ الخرطوم غرب السوق الغربي. ٤ ـ بيت الشباب وهو تابع للأقباط ويقع جنوب كلية الآداب جامعة النيلين. ٥ ـ المكتبة الأرثوذكسية ـ توجد بمطرانية الأقباط . ٦ ـ الملعب الرياضي الكاثوليكي ـ شرق المركز الكاثوليكي الأوسط. ٧ ـ مركز اجتماعي بالعمارات ش (٣٣). ٨ ـ النادي الكاثوليكي ـ شارع المطار ـ والآن يتبع المؤتمر الوطني.

قامت منظمات عديدة رئاساتها بالخرطوم تعمل في مجال التنصير تحت ستار العمل الإنساني والطوعي؛ فهي معفاة من الضرائب والجمارك وبإمكانها إدخال أكبر قدر من الأدوية والسلع الاستهلاكية والملبوسات والآليات داخل البلاد، ولها مطلق الحرية في التنقل حتى إن عرباتها لا تخضع للتفتيش. وأبرز هذه المنظمات:

١ ـ منظمة أطباء بلا حدود الفرنسية. ٢ ـ منظمة أطباء بلا حدود الهولندية. ٣ ـ منظمة قول الإيرلندية . ٤ ـ منظمة إنقاذ الطفولة الأمريكية. ٥ ـ المنظمة الإفريقية للتنمية الإنسانية. ٦ ـ منظمة زملاء الإغاثة الإفريقية.

٧ ـ منظمة سدرا: أنشأت هذه المنظمة بالخرطوم مركزين للعناية المكثفة «أمراض الشريان التاجي والقلب». ٨ ـ مجلس الكنائس العالمي. ٩ ـ مجلس الكنائس السوداني . ١٠ ـ منظمة رعاية الطفولة البريطانية. ١١ ـ جمعية الكتاب المقدس. ١٢ ـ جمعية الشباب المسيحية بالسودان (المجلس الوطني للشباب المسيحي) ١٤ ـ Action Faim منظمة اكشن فايم. ١٥ ـ منظمة القديس منصور. ١٦ ـ منظمة وُتاب الألمانية. ١٧ ـ المنظمة السودانية الخيرية.

* المنظمات العالمية:

١ ـ الأمم المتحدة. ٢ ـ منظمة الأمم المتحدة للتنمية الإنسانية ـ صندوق الأمم المتحدة للسكان. ٣ ـ الجمعية العالمية لتنظيم الأسرة. ٤ ـ لجنة الإنقاذ الدولية. ٥ ـ برنامج الغذاء العالمي. ٦ ـ منظمة اليونيسيف. ٧ ـ منظمة أدرا.

كل هذه المنظمات ـ وغيرها كثير مما هو غير ظاهر تعمل عملاً تكاملياً في مجالات الإغاثة والصحة والتعليم وبناء الكنائس، وعموماً يمكن القول بأنها تهيئ المناخ الخصب لنفاذ كل أنشطة الكنائس داخل المجتمع السوداني. والله المستعان.

ثانياً: محافظة جبل أولياء:

منطقة مايو محلية النصر والسلام ـ جنوب الخرطوم:

أ ـ الكنائس: يوجد في هذه المنطقة خمس عشرة كنيسة: ١ ـ الكاثوليكية، ولها ست كنائس. ٢ ـ الإنجيلية، ولها أربع كنائس. ٣ ـ الأسقفية، ولها ثلاث كنائس. ٤ ـ البروتستانت، لهم كنيسة واحدة. ٥ ـ شهود يهوه، مركز واحد للقاءات.

ب ـ المدارس ١ ـ الكاثوليك لهم مدرستان. ٢ ـ الأسقفية مدرستان. ٣ ـ الإنجيلية مدرسة واحدة.

ج ـ المراكز الصحية والمنظمات العاملة:

١ ـ مركز صحي كاثوليكي في مقر كنيسة الأم. ٢ ـ مركز صحي يتبع كنيسة الأسقفية في مقر كنيسة الأم. ٣ ـ مركز صحي يتبع صندوق الأمم المتحدة للسكان بالدورة، هذه المراكز ـ بجانب العمل الصحي ـ تقوم بتوزيع الإغاثات وتوزيع موانع الحمل بدون ضابط «بحجة تنظيم الأسرة».

ومنها التي تقوم بتسليف النساء التاجرات في أسواق المنطقة مبلغاً من المال على أن يرد بعد حين. والحد الأدنى في حدود (١٥٠) ألف جنيه سوداني، وكذلك دعم بعض الأفراد بأبقار وطواحين بالضمان ويكون السداد بالتقسيط.

*** المنظمات العاملة في المنطقة:**

١ ـ منظمة أطباء بلاد حدود... أيام علاجية. ٢ ـ منظمة رعاية الطفولة البريطانية.. مركز صحي. ٣ ـ منظمة إدرا الأمريكية.. عمل صهاريج ومضخات المياه وتنظيم دورات فنية للشباب. ٤ ـ مجلس الكنائس السوداني.. ويشرف على أنشطة الكنائس. ٥ ـ المنظمة العالمية لرعاية الأيتام. ٦ ـ المنظمة العالمية لرعاية الفقراء. ٧ ـ منظمة قول الإيرلندية ـ الآن موقوفة، أنشأت مركزين صحيين والآن آلا إلى وزارة الصحة، وأوقفت لأنه اكتُشف أن لها علاقة بحركة التمرد بجنوب السودان. ٨ ـ صندوق الأمم المتحدة للسكان: أنشأ مركزاً صحياً واجتماعياً.

منطقة أنقولا: أغلبية سكانها نصارى ووثنيون وهي منطقة عشوائية.

أ ـ الكنائس: ١ ـ كنيسة السودان الداخلية. ٢ ـ كنيسة إنجيلية. ٣ ـ كنيسة كاثوليكية. ٤ ـ كنيسة لم أتحصل على جهتها.

ب ـ المدارس: ١ ـ لكنيسة السودان الداخلية: ١ ـ روضة ٢ ـ ابتدائي ٣ ـ محو أمية.

٢ ـ الكنيسة الكاثوليكية: تقيم الدروس الدينية والدورات بمقر الكنيسة.

ج ـ المنظمات: عمل المنظمات في هذه المنطقة يتم من خلال الكنائس الموجودة فيها.

منطقة مانديلا: تقع جنوب منطقة أنقولا، وهي منطقة عشوائية كذلك وتعتبر تجمعاً للنازحين؛ فمعظم سكانها غير مسلمين، وقدر تعدادهم بحوالي (٢٥,٩٠٠) نسمة، والخمور فيها علنية كانقولا، ويشيع فيها أكل الميتة ونسبة البطالة فيها عالية.

أ ـ الكنائس: يوجد بها ١٢ كنيسة: ١ ـ الأسقفية ست كنائس. ٢ ـ الكاثوليك أربع كنائس. ٣ ـ الإنجيلية كنيستان.

ب ـ المدارس: ١ ـ مدرسة الرحمة.. منظمة بريطانية. ٢ ـ مدرسة سانتوفيلب.. أسقفية (أساس + حضانة). ٣ ـ مدرسة الكازتيو.. مجلس الكنائس السوداني. ٤ ـ مدرسة الاتحاد.. كاثوليكية وهي أكبر مدرسة بالمنطقة. ٥ ـ مدرسة المسيحية.. إنجيلية.

ج ـ المنظمات: ١ ـ منظمة أطباء بلا حدود الفرنسية: لها أكبر مستشفى بالمنطقة (العلاج مجاني). ٢ ـ منظمة إدرا الأمريكية: ـ مركز تغذية أطفال... حفر عدد من المضخات وعمل صهريج واحد. ٣ ـ منظمة فار: أ ـ برنامج إصحاح البيئة. ب ـ حفر عدد من دورات المياه للمواطنين. ٤ ـ منظمة (RCA): أ ـ رعاية الأمومة والطفولة. ب ـ توزيع إغاثات. ٥ ـ مجلس الكنائس السوداني: يشرف على الأنشطة التبشيرية بالمنطقة.

منطقة الجبل ـ دار السلام:

أ ـ الكنائس: توجد ثمانية كنائس و٢١ مركزاً صغيراً للنشاط الديني بدار السلام.

ب ـ المدارس: ١ ـ مدرسة دار النعيم للأساس. ٢ ـ كميوني الحارة (٦) شرق. ٣ ـ كميوني الحارة (٦) غرب. ٤ ـ مدرسة المجلس الوطني للشباب المسيحي بالسودان. ٥ ـ مدرسة مزرعة غبريال (زعيم الكاثوليك بالسودان).

ج ـ المراكز الاجتماعية: ١ ـ مركز كاثوليكي بالحارة الخامسة: اجتماعات، عروض فيديو، مساعدات. ٢ ـ مركز الحارة السادسة: عرض فيديو. ٣ ـ مركز الحارة الرابعة مربع ١: مركز لتدريب وترقية المرأة، وهو يتبع منظمة «وُتاب الألمانية» ويقوم هذا المركز بالآتي:

١ ـ إسعافات أولية. ٢ ـ عمل أيام علاجية

بالتعاون مع منظمة أطباء بلا حدود. ٣ ـ محو أمية. ٤ ـ إعطاء سلفيات والسداد بفائدة بنسبة ٢٠٪ «تعامل ربوي». ٥ ـ مركز تنقو لعرض الفيديو. ٦ ـ مركز اجتماعي «مأوى كاثوليكي داخل مزرعة غبريال في مدخل دار السلام».

د ـ المنظمات: ١ ـ مجلس الكنائس السوداني. ٢ ـ منظمة وتاب الألمانية. ٣ ـ المجلس الوطني للشباب المسيحي بالسودان. ٤ ـ منظمة أطباء بلا حدود.

٥ ـ منطقة سوبا والجريف:

أ ـ الكنائس: ١ ـ سوبا الحلة: كنيسة واحدة. ٢ ـ سوبا السكة حديد: توجد بها كنيسة واحدة. ٣ ـ سوبا الأراضي: بها (١٧) كنيسة بالإضافة إلى مركزين لشهود يهوه. ٤ ـ السلمة: بها (٧) كنائس. ٥ ـ الجريف غرب: وبها كنيسة واحدة.

(ب) المدارس: ١ ـ سوبا السكة حديد: كميوني أساس واحد. ٢ ـ سوبا الأراضي: ٣ مدارس كميوني أساس + ٤ مدارس رياض أطفال.

ثالثاً: محافظة أمبدة.. محلية الأمير:

أ ـ عدد الكنائس: توجد أربعة كنائس للكاثوليك وواحدة للبروتستانت، هذه الكنائس موزعة في الحارة العاشرة والحارة ١٢، والحارة ١٩. كنيسة الحارة ١٩ أطلقت شباباً وشابات لهم الجرأة في طرق أبواب المنازل لممارسة الدعوة الفردية لا سيما وسط شباب قبيلة النوبة.

ب ـ المدارس: أ ـ روضة + مدرسة أساس (نصرانية بحتة) برعاية القديس مرقس بالحارة ١٢، ويدرس فيها بعض أبناء المسلمين . ب ـ كميوني كاثوليكي للأساس بالحارة ١٦/ب حي البستان. ج ـ كميوني كاثوليكي بالحارة ١٩.

ج ـ المراكز الصحية والاجتماعية: أ ـ مركز صحي بالحارة ١١ تابع للبروتستانت. ب ـ مشغل نسوي بالحارة ١١ تابع للبروتستانت. ج ـ مركز إغاثي بالحارة ١١ تابع للبروتستانت. د ـ عدد (٣) مراكز للعروض السينمائية في الحارة ١٩.

منطقة ود البشير: منطقة عشوائية، غالبية سكانها غير مسلمين.

أ ـ الكنائس: توجد نحو ثماني كنائس.

ب ـ المدارس: توجد أربع مدارس للأساس للنصارى بجانب الدراسة بمقررات الكنائس.

ج ـ المراكز الصحية: ١ ـ مركز صحي كاثوليكي. ٢ ـ مركز تحصين الأطفال ـ الصليب الأحمر. ٣ ـ عيادة زملاء الإغاثة الإفريقية ـ العلاج مجاني. ٤ ـ عيادة منظمة أدرا ـ عيادة متكاملة والعلاج مجاني.

د ـ المنظمات: ١ ـ منظمة رعاية الطفولة البريطانية: تعتبر ود البشير مركزاً للإدارة والنشاط للمنظمة، أنشأت مدرسة أساس ولها مستودع أدوية. ٢ ـ منظمة زملاء الإغاثة الإفريقية: لها عيادة وتقوم بتوزيع الإغاثات. ٣ ـ الصليب الأحمر: له مركز لتحصين الأطفال. ٤ ـ منظمة أدرا الأمريكية: قامت بعمل عدة صهاريج ولها عيادة.

محلية دار السلام: المربعات: غالبية السكان مسلمون وتعتبر منطقة حديثة.

أ ـ الكنائس: توجد عدد ٢٢ كنيسة.

ب ـ المدارس: توجد ١٩ مدرسة وكميوني للأساس.

ج ـ المراكز الصحية: ١ ـ مركز صحي بالحارة ٨. ٢ ـ مركز صحي بالحارة ٤. ٣ ـ المنظمات: تعمل في غموض وغير ظاهرة النشاط بالمربعات.

رابعاً: محافظة أم درمان... محلية أم درمان:

أ ـ الكنائس: انحصرت الكنائس في المناطق الواقعة حول سوق أم درمان فبلغ عددها سبع كنائس كبيرة: ١ ـ رئاسة الكنيسة الأسقفية: توجد جنوب مستشفى التجاني الماحي وهي الجهة المسؤولة عن كافة أنشطة الكنيسة الأسقفية بالسودان. ٢ ـ الكنيسة الأسقفية ـ شرق مستشفى الخرطوم التعليمي. ٣ ـ الكنيسة الأسقفية الثالثة ـ جوار استاد المريخ. ٤ ـ الكنيسة الإنجيلية ـ شرق مستشفى أم درمان التعليمي. ٥ ـ للأقباط أكبر ثلاث كنائس بالمنطقة في حي المسالمة شمال سوق أم درمان وجوار مدرسة محمد حسين الثانوية، وكل كنيسة من هذه الكنائس تقع على مساحة كبيرة وداخلها ملحقات: إما روضة أو مركز اجتماعي وثقافي.

ب ـ المدارس: ١ ـ كلية اللاهوت: تابعة لكنيسة السودان الداخلية. وهي تتبع المنهج الإنجيلي وتخرج

قسيسين. ٢ - المدارس الأسقفية (روضة + أساس + ثانوي). ٣ - المدارس الإنجيلية (تمهيدي + ثانوي أكاديمي + ثانوي تجاري) كلها في شرق مستشفى أم درمان التعليمي. ٤ - مدارس الراهبات بحي المسالمة (روضة + أساس + ثانوي). ٥ - الدار القبطية - شرق مدرسة محمد حسين الثانوية - تلعب دور المدرسة وبها مكتبة.

منطقة كرري: غالبية السكان مسلمون.

أ - الكنائس: توجد تسع كنائس بكرري وتوزيعها كالآتي: في الحارة ٤٨ أو خُديس: ١ - كنيسة السودان الداخلية. ٢ - كنيستان أسقفيتان. ٣ - كنيسة كاثوليكية. في الحارة ٥٤: ١ - كنيسة أسقفية في الميدان الرئيس جوار مسجد الحارة. ٢ - كنيستان أخريان في أطراف الحارة الجنوبية والجنوبية الغربية. - في الحارة ٤٢. التعويضات: توجد كنيسة واحدة. - في الحارة ٣٤: كنيسة كاثوليكية واحدة - تصدت اللجنة الشعبية بالحارة لهذه الكنيسة منذ تصديقها وبنائها فحتى الآن نشاطها مجمد.

ب - المدارس: ١ - كميوني كاثوليكي بالحارة ٥٦ (روضة + أساس). ٢ - ثلاث مدارس أساس (أسقفية، كاثوليكية ، إنجيلية) بالحارة ٤٨. ٣ - مدرسة أساس كاثوليكية بالحارة ٥٤. ٤ - مدرسة أساس كاثوليكية بالحارة ٤٧، هذه المدرسة أنشئت جوار المدرسة الحكومية وسحب إليها طلاب وطالبات النصارى بالمدرسة الحكومية. ٥ - كميوني - مرحلة الأساس بالحارة ٤٢ «التعويضات». ٦ - كميوني بالحارة ٣٤ مُوقَف النشاط لممانعة اللجنة الشعبية بالحارة.

ج - المراكز الصحية والاجتماعية: ١ - عيادة متنقلة وأسبوعية لطلاب كميوني الحارة ٥٦. ٢ - مركز رعاية صحية وتغذية - يتبع منظمة أشاد بالحارة ٤٨. ٣ - نادي كاثوليكي بالحارة ٥٤.

د - المنظمات: ١ - منظمة إدرا الأمريكية. أنشأت صهريجين وبئرين ودورات مياه بالمدرسة الحكومية بالحارة ٤٨. ٢ - المنظمة الإفريقية للتنمية الإنسانية (أشاد) أنشأت مركزاً للرعاية الصحية وتغذية الأطفال بالحارة ٤٨. ٣ - هنالك منظمة عاملة بالمنطقة من خلال الكنائس بالمنطقة.

خامساً: محافظة شرق النيل:

منطقة الحاج يوسف: أغلب السكان مسلمون، ولكن غالبيتهم من أبناء الولايات الجنوبية.

أ - الكنائس: توجد ٢٣ كنيسة: ١ - كنيسة قبطية شمال حي التكامل داخل المزرعة القبطية. وتضم كذلك فواكه ودواجن ومزرعة ألبان ومقابر القسيسين. ٢ - ثلاث كنائس في مربع ١ حي التكامل. ٣ - ثلاث كنائس أخرى بمربع ٢ حي التكامل. ٤ - أربع كنائس بمربع ٣ حي التكامل. ٥ - كنيسة كاثوليكية واحدة بالوحدة مربع ٩ (رعية القديس استنفانوس). ٦ - كنيستان بالشقلة جنوب. ٧ - عشر كنائس بكرتون كسلا «حي بركة» أغلب السكان فيه غير مسلمين وتوزع الكنائس كالآتي: ١ - مركز شهود يهوه في مربع ١. ٢ - كنيسة زكريا الكاثوليكية مربع ٢. ٣ - كنيسة أسقفية مربع ٢. ٤ - كنيسة الرسولية الجديدة مربع ٤. ٥ - ثلاث كنائس كاثولكية مربع ٤. ٦ - ثلاث كنائس بميدان مربع ٥.

ب - المدارس: توجد نحو ١٦ مدرسة أساس متفرقة كالآتي: ١ - سبعة مدارس بحي التكامل. ٢ - مدرسة واحدة بالوحدة مربع ٩. ٣ - مدرستان بالشقلة جنوب. ٤ - ست مدارس بكرتون كسلا «حي بركة».

ج - المراكز الصحية والاجتماعية: ١ - مركز صحي المنظمة السودانية الخيرية «الوحدة مربع ٩». ٢ - عيادة منظمة اكشن فايم - حي التكامل. ٣ - مستودع أدوية بحي التكامل مربع ٢. ٤ - عيادة ومركز تغذية.. تابع لمجلس الكنائس السوداني. تقع في كرتون كسلا مربع ٢. ٥ - مركز تغذية.. الصليب الأحمر .. كرتون كسلا مربع ٢. ٦- مركز تنمية المرأة.. الجمعية العالمية لتنظيم الأسرة (وله أنشطة متعددة منها تعليم كبار وروضة أطفال وتعليم المهارات النسوية.. إلخ). ٧ - استراحة القسيسين بمربع ٤ كرتون كسلا. ٨ - مركز القديسة ميري لتنمية المرأة تابع للكنيسة الكاثولوكية في مربع ٩ حي الوحدة. ٩ - توجد نحو سبعة مراكز لإيواء المشردين بحي التكامل. ١٠ - مركز كاثوليكي لتوزيع الإغاثة بالشقلة جنوب. ١١ - نحو خمسة مراكز لعروض الفيديو بكرتون كسلا.

د ـ المنظمات: ١ ـ مجلس الكنائس السوداني. ٢ ـ منظمة رعاية الطفولة البريطانية. ٣ ـ منظمة Actian Faim. ٤ ـ الجمعية العالمية لتنظيم الأسرة. ٥ ـ المنظمة السودانية الخيرية. ٦ ـ الصليب الأحمر.

مدينة بحري:

أ ـ الكنائس: توجد خمس كنائس: ١ ـ الكنيسة الإنجيلية بالمحطة الوسطى بحري. ٢ ـ ثلاث كنائس للأقباط بحلة حمد. ٣ ـ كنيسة كاثوليكية على النيل بحلة حمد.

ب ـ المدارس: ١ ـ كلية النيل اللاهوتية ـ تقع شمال مسجد بحري الكبير وتخصصت في تخريج القساوسة وأساتذة الكتاب المقدس. ٢ ـ المدرسة الإنجيلية للبنات وتضم (حضانة + تمهيدي + أساس + ثانوي) تقع شرق مدرسة اللاهوت. ٣ ـ مدرسة الأقباط ـ حلة حمد بمركز الأقباط. ٤ ـ كميوني كاثوليك بحلة حمد ـ طالبات مرحلة أساس. ٥ ـ مدرسة الراهبات بحلة حمد ـ طالبات مرحلة أساس

ج ـ مركز الراعي الصالح الثقافي الإنجيلي: يوجد بمقر الكنيسة الإنجيلية بالمحطة الوسطى ببحري؛ وتعتبر أكبر المراكز الثقافية الإنجيلية وبه (كتب، فيديو، أشرطة كاسيت) للاطلاع والبيع والاستعارة.

مدن وعواصم الولايات الأخرى:

محافظة الحصاحيصا: مدينة الحصاحيصا:

تقع هذه المدينة بالولاية الوسطى جنوب الخرطوم أكثر من ٩٩٪ من سكانها مسلمون والنشاط النصراني فيها ضئيل جداً والحمد لله؛ غير أنها كغيرها شهدت هرجاً ومرجاً من قبَل النصارى في أيام احتفالاتهم بعيد الكرسمس، حيث وزعوا شحنة عربة بوكس من الأناجيل والكتب النصرانية.

أ ـ الكنائس: ١ ـ كنيسة كاثوليكية بحي المزاد. ٢ ـ كنيسة بمقر السكن العشوائي بحي ود الكامل كُسرت هذه المنطقة بفضل التخطيط العمراني. وتركن هذه الكنيسة وحدها، والآن يمارس فيها النشاط. ٣ ـ مقر السلخانة القديم بحي اركوتب قد اتخذوه كنيسة لهم.

ب ـ المدارس: لديهم حضانة وروضة بحي الزهور، ويقيمون دورات للغة الإنجليزية بمقر الكنيسة بالمزاد.

مدينة رفاعة: تقع شرق الحصاحيصا في الضفة الشرقية للنيل، ومعظم سكانها مسلمون، وفيها نحو ١٦ مسجداً.

أ ـ الكنائس: ١ ـ كنيسة كاثوليكية عبارة عن منزل عادي ملك. ٢ ـ كنيسة إنجيلية ـ عبارة عن منزل مؤجر. ٣ ـ كنيسة السودان الداخلية: منزل مؤجر. ٤ ـ كنيسة أسقفية: عبارة عن منزل مؤجر كذلك.

ب ـ المدارس: ١ ـ يمارس النصارى نشاطهم التعليمي من خلال كنائسهم ومن ثم الالتحاق بالمدارس الحكومية. ٢ ـ مدرسة الشيخ لطفي: عبارة عن مدرسة ثانوية في البدء أستأجرها النصارى لتكون مدرسة قومية لجميع طلابهم بالمنطقة قامت منظمة أمريكية بإنشاء داخلية لهم لتمثل أكبر مركز اجتماعي، والآن هذه المدرسة مسؤولة عنها الحكومة.

منطقة مصنع سكر الجنيد:

١ ـ يقع هذا المصنع شمال مدينة رفاعة، وسكان المنطقة الأصليون مسلمون، والنصارى فقط هم جزء من النوبة الذين جاؤوا إلى المصنع عمالاً. ٢ ـ توجد ثلاث كنائس بالمنطقة: واحدة بالحي الشعبي، والثانية بحي التضامن ومعها مدرسة كميوني، والثالثة بقرية ود السيد.

مدينة واد مدني: عاصمة ولاية الجزيرة تعتبر عاصمة الولاية الوسطى وتقع على بعد حوالي ١٨٦ كم من الخرطوم، غالبية سكانها مسلمون، وتركزت مؤسسات النصارى في أعرق حيّين بالمدينة وخارج المدينة في منطقة تقع شرق الإنقاذ.

أ ـ الكنائس: ١ ـ كنيسة كاثوليكية. ٢ ـ كنيسة إنجيلية. ٣ ـ كنيسة أسقفية. ٤ ـ كنيسة قبطية. ٥ ـ كنيسة إنجيلية.. الأخيرة مقرها في شارع النيل شمال الفرقة التجانية.

ب ـ المدارس: ١ ـ روضة + مدرسة أساس .. الكنيسة الأسقفية. ٢ ـ تمهيدي + رياض أطفال + مدرسة أساس الكنيسة الإنجيلية. ٣ ـ مدرسة الكنيسة الكاثوليكية.

ج ـ المراكز الاجتماعية والصحية:

١ ـ مركز شباب الكنيسة الإنجيلية.. اجتماعي، ثقافي. ٢ ـ عيادة الكنيسة القبطية. ٣ ـ مركز اجتماعي

كاثوليكي، كان منزلاً مجاوراً للكنيسة بالقسم الأول فقاموا بشرائه بمبلغ ٦٥ مليوناً، وأفاد أهل المدينة أن سعره حينئذ لا ينبغي أن يجاوز الـ ٢٠ مليون جنيه، ودفعوا للجار الآخر ١٦٥ مليوناً ولم يبع!

مدينتا سنجة والسوكي: تعتبران ضمن ولاية سنار بالنسبة لسنجة:

١ ـ المركز الكاثوليكي للصلاة يقع جنوب غرب المدينة. ٢ ـ كنيستان عشوائيتان في حي ١٤.

أما بالنسبة لمدينة السوكي: فقد انحصر فيها نشاط النصارى في منطقة واحدة ـ حي يدعى الكميوني ـ وهذا الكميوني الذي سميت به المنطقة عبارة عن مركز تنصيري كبير في ساحة تقدر بست قطع سكنية، ويضم الكنيسة، ومركزاً صحياً تحت إشراف الصليب الأحمر، ومركزاً تعليمياً واجتماعياً، ولكن نشاط هذا المجمع شبه مجمد الآن.

ـ يوجد انتشار لبعض القبائل المسيحية مثل الذندية في الأحياء الشرقية من المدينة.

مدينة الأبيض: تقع جنوب كوستي وتمثل عاصمة شمال كردفان، وتبعد نحو ٧٢٠ كم من الخرطوم العاصمة ـ غالبية السكان مسلمون، ولكن توجد مقابر للنصارى بصورة مستفزة في مدخل المدينة أمام القيادة العسكرية وكأنها تعطي انطباعاً بأن غالبية سكان المنطقة نصارى. وكذلك الشكل الهندسي الذي بنيت به الكنيسة الكاثوليكية من حيث الموقع والارتفاع؛ إذ يمكن مشاهدتها من أي موقع بالمدينة!

أ ـ الكنائس: ١ ـ الكنيسة الكاثوليكية الأم ـ توجد بالحي البريطاني وتقع في أكبر مجمع للكاثوليك بالسودان بعد رئاستهم بالعاصمة القومية الخرطوم. ٢ ـ كنيسة كاثوليكية ـ جنوب إدارة مرحلة الأساس. ٣ ـ الكنيسة القبطية ـ توجد بحي القبة غرب، قامت رئاسة الأقباط بإعفاء قسيسها السابق من منصبه بسبب إسلام ثلاثة من فتيان الكنيسة واستبدلته بآخر، فقام الأخير بجمع شمل النصارى وتحويل نشاط النادي القبطي إلى داخل الكنيسة التي جعل منها مركزاً دينياً واجتماعياً وثقافياً. ٤ ـ أربعة كنائس في منطقة طيبة ـ في شرق المدينة وهي «كاثوليكية، إنجيلية، أسقفية، شهود يهوه». ٥ ـ كنيسة واحدة بحي البوبايا كريمة جنوب». ٦ ـ كنيسة واحدة بحي الرقيبة كريمة شمال». ٧ ـ كنيسة واحدة بمنطقة حزام بقر «أغلبية سكانها نصارى وتعلو الصلبان أكثر المنازل». ٨ ـ كنيسة واحدة بحي الزندية شمال شرق الوحدة. ٩ ـ كنيستان بدار السلام. ١٠ ـ الروكب «الكرنقو» يوجد به ثلاث كنائس غالبية السكان غير مسلمين ولا يوجد مسجد.

ب ـ المدارس: ١ ـ كميوني الكاثوليك ـ جنوب غرب البيطري ويعتبر أكبر مجمع تعليمي للنصارى بالمنطقة، ويضم المراحل (تمهيدي + أساس + ثانوي بكل مرحلة أكثر من نهر واحد من الفصول الدراسية). ٢ ـ روضة وحضانة بمقر الكنيسة القبطية. ٣ ـ روضتان للأطفال ومدرسة أساس بمنطقة طيبة. ٤ ـ روضة بمنطقة حزم البقر. ٥ ـ روضة بمنطقة الزندية. ٦ ـ روضة + مدرسة أساس بدار السلام. ٧ ـ روضة بالروكب «الكرنقو».

المنظمات: لا توجد منظمات ظاهرة؛ فإن نشاطها يتم من خلال المدارس والكنائس.

جنوب كردفان: مدينة الدبخ: تقع في جنوب كردفان وعلى بعد ١٦٠ كم جنوب مدينة الأبيض، أغلب السكان فيها مسلمون. وهي منطقة قريبة من مواقع الحرب والتمرد بجبال النوبة. يسيطر الكاثوليك على النشاط التنصيري بالمنطقة.

أ ـ الكنائس: ١ ـ الكنيسة الكاثوليكية الأم بحي الموظفين شرق. ٢ ـ كنيستان للكاثوليك بحي الطرق. ٣ ـ كنيسة للكاثوليك بحي التومات. ٤ ـ كنيسة للكاثوليك بحي المرافيت. ٥ ـ الكنيسة الأسقفية بحي الموظفين (تعتبر مركز نشاطهم الوحيد بالمدينة).

ب ـ المدارس: ١ ـ روضة وكميوني أساس كاثوليك بحي الموظفين بمقر الكنيسة، ولها الأثر الكبير بسبب تدهور التعليم الحكومي حيث إنّ الدراسة فيها مجمدة لمدة عامين باستثناء المدارس الثانوية. ٢ ـ روضة بحي التومات. ٣ ـ الكنيسة الأسقفية تمارس نشاطها التعليمي من خلال مقرها بحي الموظفين.

ج ـ المنظمات: ١ ـ منظمة أطباء بلا حدود الفرنسية التي كانت من أنشط المنظمات بالمنطقة ولكنها الآن لها مشاكل مع الحكومة، ولذا فنشاطها

مجمد. ٢ ـ منظمة إنقاذ الطفولة الأمريكية: تعمل في مجال تحصين الأطفال وتوزيع إغاثات وأدوية بالقرى المجاورة للمدينة. ٣ ـ منظمة اليونسيف: قامت بعمل مضخات مياه في معظم مدينة الدلنج.

د ـ المراكز الصحية: قامت الكنيسة الكاثوليكية بتاسيس أكبر مستشفى توليد بالمنطقة، ولما جعلته الدولة تابعاً لوزارة الصحة قاموا بسحب كل المعدات الحديثة التي جاؤوا بها ـ ولكن لا يزال المستشفى تحت إدارتهم، وبه عيادة عامة في الفترة الصباحية يوجد بحي الموظفين.

مدينة كادوقلي: تعتبر عاصمة جنوب كردفان وتبعد ٢٩٠كم جنوب مدينة الأبيض، أغلب سكانها مسلمون. وتعتبر منطقة حرب والأمن فيها غير مستتب، الكاثوليك هم الطائفة المسيطرة على نشاطها النصراني بالمنطقة.

أ ـ الكنائس: لا توجد كنائس كثيرة بالمنطقة ومع ذلك فالنشاط أكبر من أن يتصور: ١ ـ الكنيسة الكاثوليكية بحي المصانع. ٢ ـ الكنيسة القبطية بحي السوق. ٣ ـ اشترى الكاثوليك منزلاً بحي السوق وارادوا جعله كنيسة ولكن المواطنين تصدوا لهم ومنعوهم. ٤ ـ في منطقة خردود الواقعة شرق مدينة كادوقلي استطاع الكاثوليك تصديق ١٢ ألف متر مربع من السلطات العليا بالبلاد بتجاوز المحلية! ويعتقد أن هذه المنطقة سوف تكون أكبر مركز تبشيري بشرق إفريقيا ـ تقع غرب مدرسة تلو الثانوية العريقة، ومعظم المساحة يسكنها مسلمون من قبل التصديق، والآن هم معرضون للإزالة والترحيل! والمدهش أن النصارى بالمنطقة لا يتجاوز عددهم أربع أسر، وقد أنشأ الكاثوليك ابتداءاً كنيسة صغيرة من القش في جزء من المساحة لكن المسلمين قاموا بإحراقها؛ والآن لم ير النصارى بداً من تجميد مشروعهم هذا ، وربما لحين!

ب ـ المدارس: ١ ـ روضة للكاثوليك بحي المصانع. ٢ ـ روضة بحي السوق. ٣ ـ روضة بقردود فيها نحو ٣٠ طالباً وطالبة من الأطفال ومعظمهم من أبناء المسلمين. ٤ ـ كمبيوني ضخم مقترح بالجنينة الكاثوليكية في المدخل الشرقي للمدينة.

ج ـ المراكز الصحية والاجتماعية: ١ ـ عيادة كاثوليكية متكاملة تقع جنوب غرب السوق الداخلي. ٢ ـ قاموا بشراء معظم المرابيع الواقعة شرق السوق الخارجي. ٣ ـ لهم مركز في شمال السوق يقوم عليه شباب نصراني مهمته إفساد الشباب المسلم بتوفير جو الرقص بالأشرطة الغربية والشيشة والخمور والنساء. ٤ ـ تقوم الكنيسة الكاثوليكية باستقطاب واستقبال النازحين بسبب الحرب فتكسوهم وتعطيهم الإغاثات وهم وثنيون؛ ثم توفر لهم جو التعليم؛ ومن ثم تدعوهم للتنصر والتمرد على العرب والحكومة.

د ـ المنظمات: ١ ـ منظمة إنقاذ الطفولة الأمريكية: توجد بحي المصانع، وقد وظفت سودانيين مسلمين وتعمل تحت مظلة العمل الإغاثي وتطعيم الأطفال، وتطالب الموظفين بإحصائيات سكانية وتصنيف الأسر، ويبدو أن هذا تمهيد لعمل استراتيجي غير معروف! ٢ ـ منظمة كير: حفرت عدة مضخات مياه وتدعم النازحين بأغنام للأسر . ٣ ـ منظمة اليونسيف: حفرت عدة مضخات مياه وتدعم المدارس وتعمل دورات مياه. ٤ ـ منظمة UNDP : تعمل في مجال التنمية الزراعية، وتركز على الأرياف فتقوم بحرث الأرض؛ وتملك المواطنين أغناماً للاستفادة منها.

مدينة الدمازين: تمثل الدمازين عاصمة ولاية النيل الأزرق، وتركز نشاط النصارى فيها في أربعة أحياء على النحو الآتي:

١ ـ حي الثورة: يقع في شمال غرب المدينة، ويشكل المسلمون فيه الأغلبية ومعظمهم من قبيلة الهوسا والزغاوة ـ ويوجد في الحي كنيستان لقبيلة البرون إحداهما مشيدة بمواد محلية من القش والأخرى بمواد ثابتة ـ تجدر الإشارة إلى أن قبيلة البرون هي المستهدفة من قبل النصارى (لأنهم نازحو الكرمك وقيسان ويتصفون بالجهل والبساطة).

ولاية شرق السودان... مدينة القضارف:

تبعد حوالي ٤١١ كم من العاصمة الخرطوم، وأغلبية السكان فيها مسلمون، ولكن للنصارى مراكز ضخمة في وسط المدينة في أرقى الأحياء: (ديم حمد ، والسوق الرئيس).

* ديم حمد: أ ـ الكنائس:

١ ـ مركز الكنيسة الكاثوليكية: يقوم بالإشراف على

كافة نشاط الكاثوليك بالولاية. ٢ ـ مركز الكنيسة الأسقفية. هذا المركز مسؤول عن كافة نشاط الكنيسة الأسقفية بالولاية.

* السوق: الكنيسة الإنجيلية + مركز ثقافي تعليمي تابع للكنيسة وتوجد كنائس عشوائية في كل من : (كسارة + سلامة البيئة + جبل كارقو).

أبرز المنظمات: ١ ـ المنظمة الإفريقية لرعاية الأمومة والطفولة: ٢ ـ منظمة الأغذية العالمية.

* كل نشاط المنظمات الأخرى يدار عبر الكنائس.

مدينة كسلا: تقع في أقصى شرق البلاد في الحدود السودانية الإرتيرية، وتبعد حوالي ٥٦٠ كم من العاصمة الخرطوم، وأغلب سكانها مسلمون، ويتركز نشاط النصارى في منطقة (واونور) التي معظم سكانها من النصارى، بينما ينتشر الأحباش النصارى في مناطق متفرقة من المدينة.

أ ـ الكنائس: ١ ـ الكنيسة الكاثوليكية توجد بالمربعات: مربع ١٦ وتعتبر أكبر مركز تنصيري بكسلا. أسس هذه الكنيسة حبشي وكل اللجنة التنفيذية من الأحباش بينما للنصارى الجنوبيين المناصب الهامشية (أفادنا بهذه المعلومة: محمد مرسليو يعقوب « رئيس شباب الجنوب وأمين الدائرة الاقتصادية للمؤتمر الوطني» بكسلا.

٢ ـ كنيسة قبطية بحي الميرغنية. ٣ ـ كنيسة + مدرسة أساس بمعسكر ود شريفي جنوب شرق المدينة.

توجد نحو خمس كنائس في منطقة نهر عطبرة: ثلاث منها في خشم القربة، واثنان في حلفا (المصنع + حي الثورة) بالإضافة إلى مدرسة كميوني واحدة.

ب ـ أبرز المنظمات: ١ ـ منظمة سودان بلان: لها مكاتب في كل من كسلا، خشم القربة، معسكر ود شريفي؛ حيث تشارك في مشاريع المياه والعلاج وبناء المدارس وكفالة الأيتام. ٢ ـ منظمة أكوور: لها مكتب رئيس بحي الترعة، وأبرز نشاطها يتمثل في دعم الصناعات الصغيرة، والغالب على تعاملها التعامل الربوي. ٣ ـ منظمة الأغذية العالمية: تقوم بتقديم إغاثات للنازحين.

مدينة بورتسودان: تقع في منطقة البحر الأحمر بشرق السودان، وغالبية سكانها مسلمون، ولكن مؤسسات النصارى تحتل مواقع استراتيجية في قلب المدينة ومشيّدة بصورة ضخمة وتتوزع كالآتي:

أ ـ الكنائس: ١ ـ الكنيسة الكاثوليكية: يتبعها مدارس كميوني + تمهيدي + أساس + ثانوي. ٢ ـ الكنيسة الإنجيلية: بها مدرسة أساس + روضة. ٣ ـ مطرانية الأقباط: ملحق بها كنيسة السيدة العذراء مدرسة أساس+ روضة + ثانوي+ النادي القبطي. ٤ ـ الكنيسة الأسقفية. ٥ ـ كنيسة كبيرة تقع جنوب هيئة توفير المياه ـ الآن مغلقة ولا نشاط لها، وقد حاول الشيخ محمد الحسين عبد القادر ـ رحمه الله ـ رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بالولاية الشرقية ـ في عصره شراء هذه الكنيسة وتحويلها إلى مسجد لولا تراجع النصارى (مصدر هذه المعلومة شاهد عيان الرقاق عبد الرحيم).

* النشاط النصراني في المنطقة الطرفية:

١ ـ منطقة فليب: فيها ثلاث كنائس ومدرستان ومنظمة. ٢ ـ أم القرى: بها كنيسة واحدة. ٣ ـ منطقة سلالاب الامتداد مربع ٣ الريفي: توجد كنيسة ومدرسة. * المناطق الأخيرة توجد فيها قبائل الجنوبيين والنوبة بكثرة.

المنظمات: ١ ـ أوكسفام Your Acation يور أكشن: يقومان بدعم الصناعات الصغيرة والأسر المنتجة «قروض ربوية». ٢ ـ Canda Fation : تنظيم دورات مجانية لمحو الأمية خاصة للاجئين، ودورات لأساتذة مرحلة الأساس بالتعاون مع وزارة التربية. ٣ ـ منظمة الأغذية العالمية: إغاثات ومشاريع خيرية.

ولاية نهر النيل: مدينة شندي:

معظم السكان مسلمون، والنصارى أقلية بهذه المدينة وينحصر نشاطهم في أركويت ومربع ١ ومحطة السكة حديد الرئيسة في منطقة أركويت حيث تنتشر قبائل اللاتوقا والسلك والدينكا والنوير والزاندي، وتوزيع النشاط فيها كالآتي: ■ في مربع ٣٨ توجد أكبر مدرسة للنصارى وكميوني ـ حديث الإنشاء بميناء سلح وعلى مساحة كبيرة جداً «لم يكتمل التأسيس بعد» ■ في مربع ٣٧ يوجد كميوني للأساس + روضة للأطفال يقومون في هذه المنطقة بتوزيع إغاثات وكتب نصرانية وعروض فيديو ومعارض دورية. ■ مؤخراً في

نهاية عام ١٩٩٩م قاموا بتصديق أربع كنائس أخرى لإنشائها بمنطقة أركويت متجاوزين السلطات المحلية؛ ووراء هذا الأمر القائم بأمر النصارى بالمنطقة ويدعى (غيري) قاضي مديرية قائم بالمنطقة. هذه الكنائس الآن قيد التنفيذ مع اعتراض المحافظ الحالي الأستاذ عبد الله التهام والغيورين على دينهم من أهل المنطقة. ■ في مربع ١٢: توجد كنيستان (إنجيلية، وأرثوذكسية) في منازل عادية (ربما تكون مستأجرة أو مشتراة).. وبالمربع مسجد واحد. ■ الأقباط: ولهم أكبر مركز بالمدينة في محطة السكة الحديد الرئيسة بمدينة شندي، ويضم المركز: ١ ـ كنيسة. ٢ ـ مكاتب. ٣ ـ مركز اجتماعي وتعليمي.

كما يمتلكون نادياً باسم الشباب المسيحي بمربع ١ غير مشيد. ويتركز الأقباط في المربع ١؛ إذ يمثلون نحو ٥٪ أو أكثر من سكان المربع وعدد كبير منهم رأسمالي، واشتهروا بامتلاك مصانع الفرات وعدد من المحلات التجارية بالسوق.

مدينة عطبرة:

أ ـ **حي السيالة:** أكبر مجمع للأقباط الأرثوذكس ويضم:

١ـ مطرانية الأقباط الأرثوذكس + التربية المسيحية وكنيسة السيدة العذراء. ٢ ـ مستوصف الأقباط الخيري: أسس عام ١٩٩٠م ومعه صيدلية أسست عام ١٩٩٦م. ٣ ـ نادي المكتبة القبطية. ٤ ـ المدارس القبطية (أساس + ثانوي). ٥ ـ الكنيسة الإنجيلية ومدارسها (أساس + ثانوي) ولديهم روضة بالمربعات جنوب السوق الرئيس، بالسابق كانت مدرسة متوسطة.

ب ـ **منطقة السوق:** يوجد أكبر مجمع للكاثوليك والذي يضم الآتي:

١ ـ كنيسة على مساحة كبيرة جداً. ٢ ـ مكاتب إدارة في مربع منفصل. ٣ ـ روضة + مدرسة أساس. ٤ ـ مدرسة ثانوية. ٥ ـ ورشة حدادة ملحقة بالمدرسة.

ج ـ **منطقة الوحدة:** تقع في شرق المدينة ومعظم سكانها من النوبة أو القبائل الجنوبية التي كانت تسكن في امتداد نهر عطبرة.

أ ـ الكنائس: توجد كنيستان: ١ ـ الإنجيلية: في مربع في وسط الوحدة تقريباً ومعظم روادها من النوبة. ٢ ـ الكاثوليكية: تقع في المنطقة العشوائية وروادها من الجنوبيين والزاندة؛ ولديهم روضة للأطفال في ثلاثة مرابيع.

الولاية الشمالية: مدينة مروي: انحصر مراكز النصارى في منطقتين وهما دار السلام (الكميو) والمربعات.

أ ـ دار السلام: منطقة عشوائية جنوب مروي، وأصبح تخطيطها وشيكاً. سكانها من النوبة والجنوبيين وقليل من الزاندي ـ الأغلبية مسلمون، ولكن ليس لديهم غير مصلى واحد وغير مهيأ ولا تقام فيه (جمعة).

بالمنطقة كنيستان: ١ ـ كاثوليكية + روضة. ٢ ـ إنجيلية غير مكتملة التشييد.

ب ـ المربعات: يوجد بها منظمة إدرا الأمريكية (وكالة الأفنتست للتنمية) تقوم هذه المنظمة بنشاط كبير جداً خاصة في وسط العرب الرحل ـ كتقديم إغاثات ـ تنظيم دروس ـ محو الأمية ـ ودورات الإسعافات الأولية والإرشاد الصحي وتوفير الخيام.. إلخ».

كما تقوم بدعم الأسر الفقيرة بأغنام، وتنشئ مخيمات علاجية، وتستغل أندية الأحياء وزوايا الصلاة في عمل برامجها المختلفة.

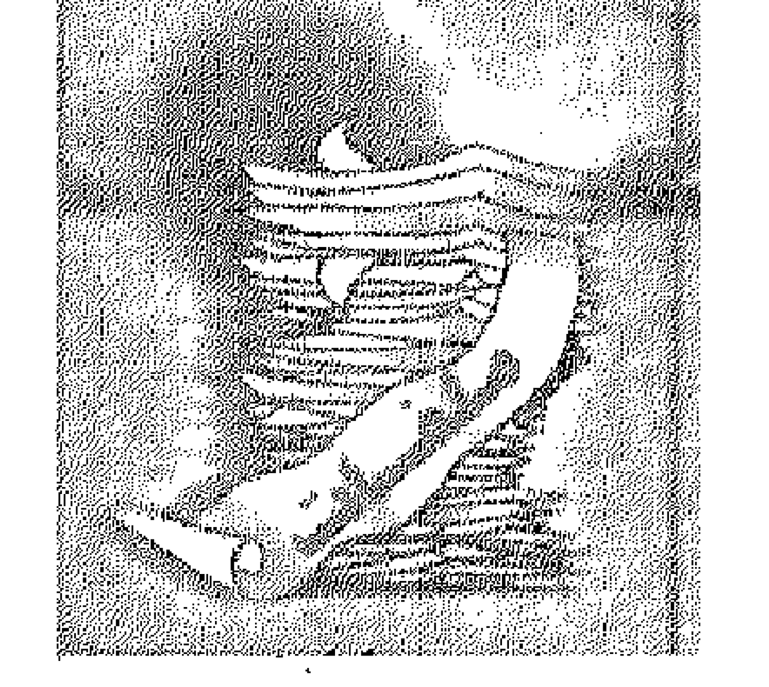
مدينة كريمة: انحصر وجود مراكز النصارى بالسوق والكميو (دار السلام).

* السوق: توجد فيه الكنيسة الكاثوليكية وهي مسؤولة عن كافة أنشطة النصارى بالمنطقة.

* دار السلام: منطقة عشوائية في شمال شرق المدينة بها نحو ١٢٠ أسرة. ـ توجد بها كنيسة إنجيلية وبها روضة للأطفال. ـ يوجد مسجد واحد من المواد المحلية. ـ توجد أنشطة متفرقة في كل من:

* مربع ٢: نادي الوحدة خاص بالنصارى من النوبة والجنوبيين.

* مربع ٣: منزل (علي سعيد) من النوبة الدلامة ـ كان مسلماً وتنصر.



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٣ ـ ٣)

المنصرون في جنوب الجزيرة

بشير البعداني

توطئة:

الجزيرة العربية آخر أرض هبط عليها الوحي من السماء.

وهي القلب النابض لمليار ومائتي مسلم يمتدون عبر امتداد الكرة الأرضية؛ ولذا فهي تمتاز بخصائص وسمات تميزها عن بلاد الدنيا مجتمعة؛ ففيها بيت الله الحرام، وإليه يحج الناس كل عام، وإليه يتجهون في صلواتهم. هذا الارتباط بين الإسلام ديناً والجزيرة العربية مكاناً وبين ساكنيه من جهة أخرى أدركه المنصرون قديماً في الحروب الصليبية التي استمرت زهاء ثلاثة قرون، وحديثاً قالوا: «لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة..!»[1]، من أجل هذا كله ركز منصرو اليوم على الجزيرة وعلى من يسكنها ومن يحيط بها. وقد وجدوا بغيتهم في جنوبها؛ وبالتحديد في بلاد اليمن البوابة الجنوبية المطلة على المحيط الهندي، حيث التقت هنا المصالح السياسية - الاقتصادية - الدينية، واجتمع النصارى وتداعوا لغزو جديد هدفه تحطيم بوابة العمق الاجتماعي للجزيرة بأسرها.

وأستطيع القول إن أهم الأسباب التي هيأت لعملية التنصير في اليمن هي:

١- اندثار بعض شعائر الإسلام وعدم الدعوة إليها، لإحساس الجميع بأنهم مسلمون وكفى.

٢- الجهل والأمية؛ حيث بلغت نسبة الملمين بالقراءة والكتابة من البالغين ٣٨٪ وهي من أدنى المعدلات في العالم[2]. وأشارت آخر الدراسات إلى أن نسبة الأمية قدرت بحوالي ٥٠٪ من السكان.

٣- التردي في الجانب الاقتصادي، وضغوط البنك الدولي؛ حيث أشارت بياناته إلى أن أكثر من ١٩٪ من سكان اليمن يعيشون تحت خط الفقر، وعلى سبيل المقارنة فقد بلغت نسبة من

---

(١) الزحف إلى مكة، د. عبد الودود شلبي. (٢) اليمن إلى أين؟ د. يحيى صالح محسن.

يعيشون تحت خط الفقر في مصر ٦٪، وفي إيران ٩٪ من السكان، ونسبة تقل عن ٣٪ في كل من الجزائر وتونس والمغرب[١].

٤- النظام الديمقراطي المفتوح والدعم المعنوي التي تتلقاه المنظمات التنصيرية من بعض الجهات والشخصيات النافذة في البلد.

٥- عدم وجود أهداف ثابتة واستراتيجيات واضحة للدعوة بين كثير من فصائل العمل الإسلامي.

٦- الأوضاع الصحية التي تعد من أشد الأوضاع تدنياً في العالم؛ فالفقر والحمل المتقارب، وانخفاض الوعي الصحي، وارتفاع معدلات سوء التغذية وتزايدها المطرد؛ حيث وصلت إلى ١٥,٩٪ لعام ١٩٩٦م. وتشير البيانات الرسمية لوزارة الصحة إلى أن مجموع المواطنين المصابين بوباء الڤيروس الكبدي يزيد عن ٣,٥ مليون مواطن[٢].

٧- ضعف الجانب العقدي وغياب عقيدة الولاء والبراء لدى فئات كثيرة في المجتمع.

٨- حسن معاملة النصارى للبسطاء والمتعاملين معهم في الشركات والمؤسسات.

٩- إعجاب بعض أبناء المسلمين بمدرسيهم النصارى، والشعور بالفخر والاعتزاز لدى زيارة بعض النصارى لبيوت المسلمين.

١٠- تعدد واجهات العمل النصراني بين: معاهد دراسية - هيئات إغاثية - مراكز صحية - مراكز دراسات - مراكز ثقافية...

١١- ضعف دور المؤسسات الإسلامية وانشغال كثير منها بقضايا داخلية أو جزئية.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: متى بدأ التنصير في اليمن؟ ومن هي الجهات التي تقوم بذلك؟ وما هي أشكال هذا التنصير وصوره؟ وهل استطاع أن يحقق شيئاً من أهدافه...؟

تشير التقارير إلى أن أول عمل تنصيري منظم بدأ بعد خمسينيات هذا القرن، وتركز أساساً في مدينة عدن وبلاد العرب الجنوبية، واستمر العمل حتى عام ١٩٧٢م، كما بدأ العمل في شمال اليمن من عام ١٩٦٩م إلى أوائل عام ١٩٨١م.

هذا النشاط يتبع منظمة نصرانية تدعى: (فريق البحر الأحمر الدولي) الذي أسسه المنصر (ليونل قرني) في عام ١٩٥١م، والذي قضى سبعة عشر عاماً قبل هذا التاريخ في أعمال التنصير في الشرق الأوسط.

كما يطلق على هذا الفريق مسمى آخر وهو: (الخيَّامون) وهم النصارى القادمون للعمل في البلاد الإسلامية في مجالات مختلفة كالطب والهندسة والتعليم والتمريض... الخ.

وشعار هذه المنظمة: (الإسلام يجب أن يسمعنا)، وهدفها نشر إنجيل الرب عيسى بين المسلمين. والمنظمة تعرِّف بنفسها أنها فريق البحر الأحمر الدولي RSTI منظمة عون دولية غير حكومية ذات خلفية نصرانية مركزها الرئيس في إنجلترا.. وتحصل على الدعم من الكنائس والأفراد ومنظمات العون النصراني؛

(١، ٢) المصدر السابق.

ويدعم الفريق حالياً مشاريع تنموية في كل من جمهورية مالي، وجيبوتي، وباكستان، واليمن، وتنزانيا؛ وكل المشاريع خاضعة لموافقة الحكومة المضيفة، وتمتد الأنشطة على نطاق واسع في مجال التنمية الريفية والتعليم والصحة والدعاية الصحية الأولية والتعليم الأولي..[1].

واستناداً لما سبق فإن التعريف الخاص بالمنظمة يلقم حجراً لكل من يحاول التقليل من خطر المنظمات النصرانية أو إنكار أن لها أعمالاً تنصيرية.

تُرى هل نستطيع الآن أن نتعرف على أشكال التنصير وصوره داخل بنية المجتمع اليمني؟

بالتأكيد الإجابة: نعم! فأماكنه متعددة ومتشعبة وهي كما يلي:

أولاً: الكنائس ودور العبادة:

١ - الكنيسة الكاثولوكية بالتواهي:

تعتبر الكنيسة الكاثولوكية الواقعة في مدينة التواهي وعلى مقربة من القاعدة العسكرية البحرية اليمنية أهم موقع كنسي نصراني تم افتتاحه في بداية الخمسينيات إبان الوجود البريطاني في محمية عدن، ويتبع حالياً المجمع الكنسي الكاثولوكي في مدينة لارنكا بقبرص، ولكنه يدار مؤقتاً من الإدارة الأنجليكانية بمدينه دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وربما تكون هذه الكنيسة هي أهم كنيسة على الإطلاق تم بناؤها في جنوب الجزيرة العربية، ولقد سعدت الإدارة الأمريكية كثيراً بإعادة افتتاحها في عام ١٩٩٥م، وتم ذلك بمساعدة السفارة الأمريكية بصنعاء ودعمها؛ وذلك من خلال جهود سفيرها السابق السيد ديفيد نيوتن؛ حيث افتتح المركز الطبي الكنسي الملحق بها والذي يقدم خدمات لكثير من طالبي الخدمات الطبية من أبناء المنطقة المحيطة بالكنيسة؛ كما أن التقارير ذكرت أن الصلوات تقام بها بشكل منتظم عصر كل يوم أحد، وقد اهتم الرهبان والراهبات الذين يعملون في العيادة الصحية كثيراً بالمقبرة النصرانية في منطقة المعلا التي تضم رفات الكثير من النصارى ممن توفوا في مدينة عدن.

٢ - الكنيسة المعمدانية بكريتر - مدينة عدن:

توجد كنيسة معمدانية في مدينة كريتر بعدن لا تبعد كثيراً عن سوق الخضار، ولكن تم إلغاؤها وتحول المبنى إلى مبنى حكومي. وكانت الكنيسة تدار من قِبَلِ الكنيسة الأنجليكانية المعمدانية التي تتخذ من لندن مقراً لها؛ وسبب ذلك إهمال أعضاء تلك البعثة وتقصيرهم.

٣ - دور العبادة النصرانية بصنعاء:

قامت بعض العناصر الإنجيلية النشطة وبدعم غير مباشر من السفارة الأمريكية بصنعاء باستئجار مبنى يقع في الحي السياسي؛ وذلك لاستخدامه داراً للعبادة يوم الأحد، ولأداء بعض القداسات النصرانية كلما دعت الحاجة لذلك، كما يقام قدّاس يوم الأحد في المعهد الكندي - في مدينة حدة في إحدى الشقق المستأجرة لهذا الغرض في المجمع السكني.

٤ - دُور العبادة النصرانية بإب:

تقوم البعثة النصرانية المعمدانية الأمريكية من خلال مستشفى جبلة المعمداني بمدينة جبلة بمحافظة إب بدور كبير سواء فيما يتعلق بالدعوة للتنصُّر، أو القيام بأداء صلوات يوم الأحد

---

(١) مجلة الأسرة العدد ٨٣.

بالكنيسة المعمدانية الملحقة بالمستشفى. ويقوم القساوسة والراهبات بدور إنساني - على حد زعمهم - وتنصيري من خلال زيارة النساء والفقراء ودور الأيتام والسجون. وقد استطاعت البعثة وخلال سنوات عملها الطويل إدخال بعض الأشخاص إلى الديانة النصرانية؛ إذ بلغ عددهم ما يقرب من ١٢٠ يمني.

ثانياً: النشاط الصحي:

-المركز السويدي بمدينة تعز في شارع الدائري.. له نشاط تنصيري، ويحمل ترخيصاً من وزارة التربية والتعليم باسم تعليم اللغة الإنجليزية، وله نشاط خيري يتستر وراءه لأعماله النصرانية، كما يقيم دورات لتعليم النساء التدبير المنزلي والخياطة.

- جمعية من طفل إلى طفل.. مركزها الرئيس مدينة تعز، ولها نشاط في صفوف الأطفال المصابين بالعمى والخرس؛ حيث استطاعوا أن يؤثروا عليهم عن طريق تغيير الإشارات لديهم تهيئة لدخولهم في النصرانية من دون أن يشعروا بذلك.

- منظمة أدرا في منطقه حيس «تهامة» وهي نشيطة جداً، وقد استطاعت أن ترسل كثيراً من الشباب إلى دول نصرانية مثل سنغافورة والفلبين وبانكوك باسم الحصول على شهادات في اللغة الإنجليزية؛ كما يقومون بزيارات منظمة للمناطق النائية مثل مديريتي العدين والقفر؛ حيث يخيم عليها الجوع والفقر والمرض والجهل، ولك أن تتوقع النتيجة!

- المركز الصحي بالحديدة في شارع شمسان، ودار العجزة في شارع زايد؛ حيث يقوم المبشرون بدور رهيب في الاختلاط بالبسطاء وتقديم العون والمساعدة لهم.. كما امتد نشاطهم إلى جامعة الحديدة خاصة في قسم اللغة الإنجليزية؛ حيث قاموا بوضع المنهج الذي يشوه الإسلام ويخدم التنصير.

- جمعية رسالات المحبة «بعثة الإحسان»: يمتد نشاطها الواضح في صنعاء وتعز والحديدة وخصوصاً بين المصابين بالجذام والأمراض العقلية، وكان لها ارتباط مباشر مع المنصِّرة الهندية الأم تريزا، وتقوم الجمعية حالياً بالعناية بأربعمائة مريض ومسن، وخمسة وثلاثين معوقاً، ولهم مقر ثابت عبارة عن مبنى ملحق بالمستشفى الجمهوري بصنعاء يضم حوالي عشر راهبات.

- داران لرعاية العجزة بصنعاء وتعز وتشرف عليهما راهبات بعثة الإحسان التابعة للأم تريزا.

- جمعية أطباء بلا حدود وتتستر بالإغاثة ولها نشاط تنصيري.

- معسكر اللاجئين الصوماليين بالجخين بمدينة أبين، وتقوم المنظمات النصرانية بالدور ذاته بين هؤلاء الفقراء المسلمين؛ حيث نسيهم إخوانهم المسلمون.

- منظمة ماري ستوبس وهي نشطة في مجال رعاية الأمومة والطفولة، وتدعم مشاريع تنظيم النسل.

ثالثاً: المنظمات المانحة:

- منظمة أوكسفام: وتدعم العديد من المشروعات المتعلقة بالتنمية والتعليم والصحة والقات.

- منظمة اليونسكو: وتدعم مشاريع البنية

التحتية، وهدفها إزالة الخلاف بين المسلمين والنصارى.

- منظمة رادا بارنر: وتدعم المشاريع التي تتعلق بالطفولة.

رابعاً: النشاط السياحي:

نشرت صحيفة الثورة - كمثال - في عددها رقم ١٢٥٤٢ بتاريخ ١٥ / ٣ / ١٩٩٩م عن وصول ٨٠٠ سائح إلى عدن فيما تصل ٢٧ سفينة سياحية تستقبلها الموانئ اليمنية حتى نهاية شهر ٣/١٩٩٩م.

وهؤلاء يقومون بالعديد من الأنشطة في تجوالهم داخل اليمن منها:

١- توزيع الإنجيل في المدن المختلفة ومنها الحديدة؛ حيث وزع الإنجيل في السوق المركزي، كما أقيمت الصلوات وحضرها السياح.

٢- توزيع مجلة بالعربية تسمى FISHERS وهي تدعو إلى اعتناق النصرانية.

٣- توزيع القصص المصورة النصرانية.

٤- توزيع بعض الهدايا والتقاويم التي تحمل شعار النصرانية في صور مختلفة لكنائس عالمية.

٥- النزول إلى أماكن التجمعات في الأسواق ومحاولة كسب قلوب الناس بالتصوير معهم.

٦- ومن أبرز نشاطهم ما حدث في منطقة الحسينية؛ حيث وزع بعض السياح شريط فيديو وكاسيت يدعو للنصرانية، وفي ختام الشريط يقوم المحاضر بتلقين المستمع الصلاة والترانيم النصرانية للحصول على بركة المسيح.

خامساً: النشاط التعليمي الثقافي:

وأتذكر هنا رئيس الجامعة الأمريكية الأسبق هوارد ويلس حين قال: «التعليم في مدارسنا وجامعاتنا هو الطريق الصحيح لزلزلة عقائد المسلم وانتزاعه من قبضة الآلام».

المعهد الكندي بصنعاء:

يتستر هذا المعهد خلف تعليم اللغة الإنجليزية، ويتميز بقلة التكلفة مقارنة بالمعاهد الأخرى وقوة منهجيته، وإقامة الرحلات والاحتفالات بنهاية كل دوره، ولا تزيد إعارة المدرس عن عام واحد في اليمن، ويستمر المدرسون المغادرون بالتواصل مع طلابهم.. ومن مناهجهم: التعامل الخلاق مع طلابهم، وإثارة الشبهات بشكل فردي لبعض الطلاب، ولا يدخلون في مواضيع خلافيه مع الطلاب مجتمعين.

كما تزيد نسبة الطالبات عن الطلاب في المستويات الدراسية المتقدمة.

- أما المعهد البريطاني - المعهد الأمريكي - المعهد الفرنسي.. فكلها تقوم بالمهمة نفسها، ومقرها صنعاء. ناهيك عن مراكز الدراسات التابعة لهم التي تيسر للمنصرين مهمتهم، وتتيح لهم التجول في اليمن بغرض البحث العلمي.

وتشترك كافة المعاهد في بعض الأعمال، منها:

١- توزيع بعض نسخ من الإنجيل هدايا.

٢- منح دورات مجانية للمتفوقين ورحلات تعليمية إلى أوروبا؛ حيث قدّمت الحكومة الهولندية ثلاثين منحة في عام ١٩٩٧م لطلبة من الجامعات اليمنية، وبعدها قدمت الحكومة البريطانية ثلاثين منحة للكليات المختلفة.

٣- مساعدة الطلاب الذين يقعون في مشاكل مالية أو نفسية.

٤- القيام بالرحلات المختلطة لطلابهم.

٥- إثارة الشبهات عن الإسلام.

من هنا نخلص إلى أن أخطر المهام التي يقوم بها الخيَّامون الجدد هي زعزعة القيم والمفاهيم لدى أبناء المسلمين؛ وبالتحديد عقيدة الولاء والبراء، وغرس قيم الحب والألفة والولاء مع المجتمع النصراني، وهذا - في رأيي - أخطر من عملية التنصير نفسها؛ فالتنصير يمكن اكتشافه والحد من انتشاره أما الأولى فإن نتائجها ستظهر في الأجيال القادمة من أبناء أمتنا الإسلامية، هذا ما قاله مريض جبلة : «أشهد بأنهم مسلمون، وأننا مسيحيون» هذا القول أعاد إلى الذاكرة قول مالك بن نبي - رحمه الله - عندما زار أوروبا : «وجدت إسلاماً ولم أجد مسلمين، وعدت لأجد مسلمين ولم أجد إسلاماً».

وقبل كل هذا بل بعد كل هذا.. ألا يحق لنا أن نطرح سؤالاً أخيراً : كيف كانت ردة فعل الأفراد والمؤسسات والحكومة تجاه ما جرى وما سيجري؟

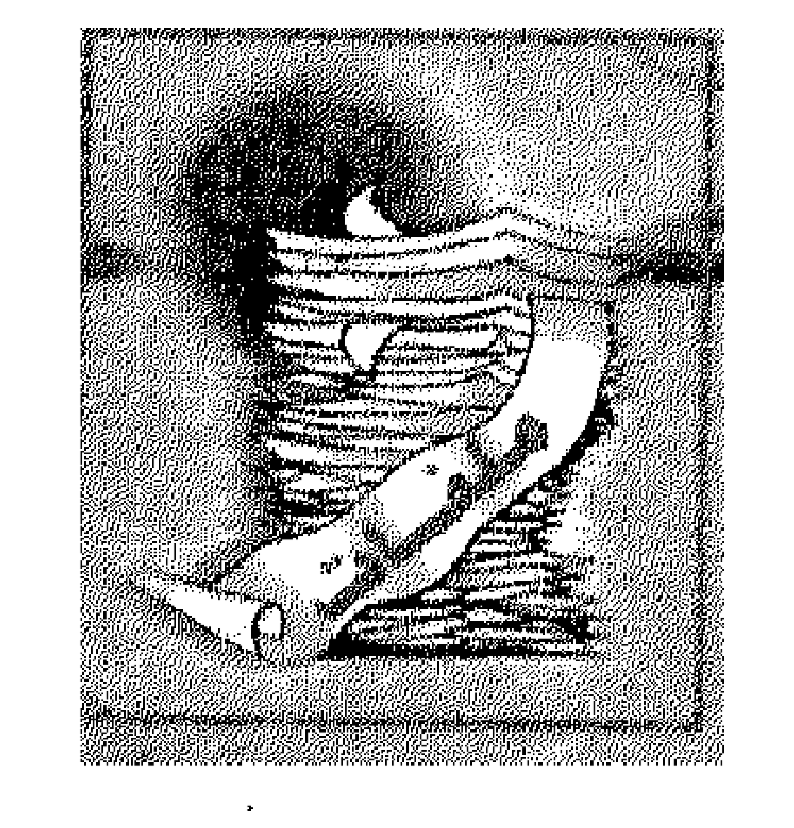
ولعل ما حدث من مقتل الراهبات الثلاث في مدينة الحديدة عام ١٩٩٨م نذير بتصرفات فردية لا يعلم مداها إلاَّ الله.

أما دور المؤسسات فهو نشاط خجول يحتاج إلى إذكاء كالجمر تحت الرماد، ومنه الأنشطة التي قام بها مركز الدراسات الشرعية بمدينة إب؛ حيث أصدر في العدد الخامس من نشرته معلومات عن وسائل التنصير، وكذَّب ادعاء المنصرين، وأبرز أنشطتهم ووسائلهم.. كما قام بعض الدعاة في مدينة عدن بإقامة العديد من المحاضرات وتوزيع المطويات التي تحذر الناس من خطر التنصير.

أما موقف الحكومة اليمنية فيوضحه لنا تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن خلفية بعض الشؤون المهمة في اليمن للعام ١٩٩٨م الصادر عن مكتب شؤون الجزيرة العربية والخليج الفارسي بدائرة الشرق الأوسط في ٣٠ مايو ١٩٩٨م « .. لكن نتيجة الغموض الذي يكتنف الدستور في اليمن فيما يتعلق بالسماح بفتح دور للعبادة النصرانية بالرغم من وجود النص الدستوري الذي يؤكد على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر كل التشريعات؛ إلا أن السلطات التنفيذية اليمنية المختصة كثيراً ما تغض الطرف عن كافة الأنشطة الكنسية والنصرانية في عموم اليمن».

ختاماً.. لم يقف المسلمون قديماً مكتوفي الأيدي أمام الحملات الصليبية التي استهدفت تدمير المدن وإراقة الدماء وقتل الأطفال والنساء واغتصاب الشريفات العفيفات من بنات المسلمين.. والدور المطلوب اليوم من العلماء وطلبة العلم والمؤسسات التعليمية الإسلامية وهيئات الإغاثة والجمعيات الخيرية جد كبير؛ فيجب أن تتوحد الجهود وتخلص النيات، وأن يعلم الجميع بأن وسائل المواجهه هي ذاتها أساليب الدعوة؛ فهدفنا نحن المسلمين ليس مجرد المواجهة والصد بل يتعدى الأمر أكثر من ذلك وهو الدعوة إلى الله بحيث نسعى إلى هداية هؤلاء المنصِّرين أو بعض منهم - وهذا مشاهد ولله الحمد - في الوقت نفسه الذي نحمي فيه مجتمعنا من هذه الهجمة.

والله من وراء القصد.



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٣-٣)

٣٧ نصيحة للمنصرين في الجزائر

ترجمة: مركز التنوير الإسلامي، القاهرة
الإعداد والتحرير: أبو إسلام أحمد عبد الله
رئيس [illegible]

في تقرير أصدرته لجنة التنصير بكنيسة كليفلاند البروتستانتية في أمريكا، مكون من ٩٤ صفحة، حول تجربة التنصير في عدد من قرى دولة الجزائر ومدنها، على مدى خمس سنوات متتالية، ختمت اللجنة تقريرها بتلخيص لما تضمنته الدراسة في ٣٧ نصيحة، تحت عنوان: (اقتراحات نهائية)، تدور كلها حول أسلوب التنصير بين عوام المسلمين الجزائريين الذين أسمتهم الدراسة: (المسلمين الشعبيين).

اعترف التقرير في صفحاته الأولى بصعوبة التنصير بين المسلمين، إلا إذا كانوا طائفة من ثلاث على وجه التحديد: أن يكونوا من جماعات صوفية، أو أن يكونوا تابعين لمذهب شيعي، أو تابعين لطائفة القاديانية؛ إذ إن هذه الطوائف الثلاث تشترك مع عقيدة النصارى في قبول ما يعرف بالحلول الإلهي في الإنسان، وهو ما يمهد الطريق أمام المنصر لقبول عيسى المسيح ابناً لله.

فماذا عن عوام المسلمين في الجزائر؟ وإلى أي مدى استطاعت الإرسالية التنصيرية تحقيق أهدافها؟

يؤكد التقرير بأن ثوابت المسلم الجزائري، حتى المسلم الشعبي - حسب تعبيره - ليس من السهل تحريكها، أو قبول المساومة حولها، أو التنازل عنها.

ولذلك لم تكن هذه النتيجة المفجعة للإرسالية - مع رجل الشارع الجزائري - هي نهاية المطاف، ولم تكن هي الصخرة الوحيدة التي تحطمت عليها طموحات الإرسالية؛ إذ استطرد التقرير قائلاً: «أما المسلم الجزائري العلماني الذي تأثر بالأفكار الأوروبية وموجة الإلحاد التي تجتاح الشارع المغربي اليوم، فإنه لم يتخلص بعدُ من تأثيرات الجانب الإيماني في الإسلام، إلى الحد

الذي يمكن وصفه أحياناً بالخصم الروحاني.. لقد سلَّموا أنفسهم جميعاً للغيب، لعدالة الله التي وعدتهم آيات القرآن، فجعلت الواحد منهم مطمئناً وراضياً بما هو فيه ومؤمناً تمام الإيمان بما أُخبر به».

إن الذي يحير البعثات التنصيرية تلك الثوابت الراسخة في حياة المسلمين، خواصهم وعوامهم، فكانت الإشارات واضحة للجنة التنصير إلى ضرورة «الحذر من مواجهة المسلم الجزائري - أي مسلم جزائري بدءاً من الأطفال وانتهاءاً بالشيوخ والعجزة - بأن يسوع ابن الله أو أنه الله المنقذ المخلص؛ لأن المسلمين في الجزائر مثل الوهابيين السعوديين والأصوليين المصريين، يعتقدون بيسوع آخر غير الذي عندنا (عند النصارى) والذي يعني (المنقذ). هؤلاء الأصوليون لا يعرفون غير عيسى المسيح بأنه نبي واحد.

واختصاراً لصفحات طويلة، نصل إلى خلاصة تجربة لجنة التنصير الإنجيلية - التي مارست عملها في قرى الجزائر ومدنها لمدة خمس سنوات متتالية - في سبع وثلاثين نصيحة، جاءت على الترتيب الآتي، وقد زدنا عليها العناوين الجانبية لمزيد من التوضيح والبيان:

غيِّروا ملابسكم واحتشموا:

١ - غالباً ما تكون الملابس الغربية التي يرتديها المنصرون موضع انتقاد ونفور من المسلمين، ولذا فمن الأفضل للمنصر أن يرتدي زي المنطقة التي يعمل بها، وكذلك زوجته أو العاملات اللائي يساعدنه في الإرسالية، كما يجب على المبشر ألا يرتدي شورتاً في زيارته للمسلمين، ومن الخطأ جداً على البنات أو النساء المشاركات في البعثة، أن يرتدين ألبسة قصيرة، تسبب لهن الحرج عند جلوسهن على حصائر مع النساء المسلمات[١].

لا يجلس خلفكم أحد:

٢ - عند جلوسك بين المستمعين لدعوتك، يجب أن تختار مقعدك وموقعك بعناية شديدة، فيكون الجميع أمامك، تراهم وتنظرهم بعينيك، فلا تسمح لأحد أن يحدثك من مستوى أعلى أو من نافذة علوية أو طابق علوي، كما عليك أن تحذر من أن يجلس واحد خلفك لئلا يسمح له موقعه بعمل إشارات تطعن فيما تقول[٢].

حادثوا فرادى المسلمين:

٣ - ليس من الحكمة أن تتحدث مع مسلم عن إيمانه أو إيمانك الشخصي في حضور مسلم آخر؛ فذلك يجعله على الفور مدافعاً بحرارة ومرتقياً بدينه، خاصة إذا كان في القرية سكان غير مسلمين يشاركونهم في الأرض وفي السيادة[٣].

زوروهم وأنتم فرادى:

٤ - من الحكمة أن يكون معك في دعوتك رجل

(١) وغالباً ما يجذب احتشام النصرانيات ود المسلمات وإلفهن لهن.

(٢) وهذا إسلوب عفوي يسهم كثيراً في إفساد النتائج المرجوة.

(٣) والمأمول الا تغيب هذه الحمية والغيرة عن المسلم دائماً.

آخر واحد أو امرأة واحدة فقط منعاً للاستثارة.

اخلعوا أمامهم أحذيتكم:

٥ - في سلوك المسلمين عامة وفي الجزائر خصوصاً، كثير من الاحترام والتبجيل وكرم الضيافة لضيوفهم، حتى لو كان الضيوف من غير دينهم؛ فربما يحضرون لك كرسياً عند زيارتك لهم ويرغبونك في الجلوس عليه وهم جلوس على الأرض، فلا بد أن تتجنب ذلك مهما كان قدر الضغط عليك. دعهم يرونك مجرد إنسان، تكون كما يكونون، ولا تنس أنهم يستعملون الحصير الذي يجلسون عليه في صلاتهم، ولهذا فهم يخلعون أحذيتهم قبل الجلوس عليها، ولا بد أن تفعل مثلهم.

قف أو اجلس مثلهم:

٦ - لا بد أن تراعي قانون المكان في مجلسك، فتكون جالساً أثناء الوعظ إذا كان الكل جلوساً، وتكون واقفاً إن كنت في مكان عمل أو سوق أو في مكان مسموح فيه بالاجتماع.

خزعبلات ولكن إياك أن تعاديها:

٧ - اللغة العربية عند المسلمين تسمى (لغة الملائكة) وهم يبدون الوقار والاحترام للنص العربي ويعتبرونه صكاً مقدساً، في مواجهة النص الفرنسي الذي يذكّرهم بالاحتلال، وتستطيع أن تستفيد من هذه الخزعبلات، مبيناً لهم أننا أيضاً نحب الحروف العربية ونجد المتعة في قراءتها، واحذر أن تقرأ نصاً بلغتك غير العربية، حتى لو أن تلجأ لكتابته على لافتة دون أن تقرأه[1].

صلِّ من أجلهم:

٨ - صلِّ قبل لقاء المسلمين، وصلِّ وأنت بينهم، وبعد أن تتركهم، أن يسكن سيدنا قلوبهم.

الاستعداد للنقاش:

٩ - قبل اللقاء اكتب أهم النقاط التي سيدور حولها النقاش، واستخدم كثيراً كتابك المقدس، وضع خطوطاً تحت المواضع التي تناسبك، لتجدها سهلة ومريحة.

احذر من السقوط:

١٠ - اعتمد على الروح القدس لتهديك إلى هدفك، فربما تُقتاد نحو هدف آخر.

التمهيد للرسالة:

١١ - ابدأ وعظك لعشر دقائق حول التقاء الأديان والبشر في المولد والموت، وفي لقاء الله بعد الموت.

الموضوع الواحد:

١٢ - تعامل مع موضوع واحد طوال الوقت؛ فإن حقيقة واحدة تكون كافية للقاء واحد.

المسلم يحترم شجاعتك:

١٣ - يعجب المسلمون بالرجل الذي يتحدث بشجاعة عن معتقداته، فلا تخش أن تتكلم بالحقيقة كاملة، ولا تحذر إلا أن تجرح دينهم

(١) إن مما يثلج صدور المسلمين تلك المواقف الدقيقة التي رصدوها، وأبسط الطبائع التي أستلفتت انتباههم في حياة المسلم العادي، حتى يعرف دعاة الإسلام مواطن الخير في أهلهم، فيرعوها وينموها ويجيدوا حصاد ثمارها التي من أزكاها تلك العلاقات الربانية بين المسلم ولغة القرآن.

ومعتقداتهم أو تسيء لقرآنهم ونبيهم وعبادتهم.

الاعتذار وسيلة للهروب:

١٤ ـ لو سئلت سؤالاً لا تعرف إجابته أو استشعرت في الإجابة ما يعوق أهدافك، فإن من الأفضل أن تعتذر بعدم علمك وترجئ الإجابة لوقت آخر؛ وتشغل سامعيك بسرعة بموضوعك أنت الذي تعظ فيه.

الأرضية المشتركة:

١٥ ـ قاعدة أساسية للوعظ أن تذكر بين الحين والآخر ما هو متفق عليه بينك وبين المسلمين.

احذر من السقوط:

١٦ ـ استعن دائماً بأحد الكتب التي تهتم بالرد على اعتراضات المسلمين، واحتفظ بصفحة واحدة لكل اعتراض، واحذر أن تُستدرج لمناقشة اعتراض لم تُعِدَّ نفسك لمناقشته.

لا تناقش الثالوث:

١٧ ـ من الحكمة[١] تجنب مناقشة عقيدة الثالوث ولو للحظة واحدة، ولو كان ذلك بإيضاحات مثل: إن الثالوث كالرجل الذي له ثلاث وظائف، أو كالشمس متعددة الأشعة والوظائف، فإن تلك الإيضاحات تناسب العقل الغربي) لكنها لا تقنع العقل المسلم[٢].

أقنع المسلم أنه مخطئ:

١٨ ـ تذكر أن المسلم لن ينحني أبداً ليسوع، سيداً منفرداً عن الروح القدس، فلا تحاول إقناعه بذلك، واحرص أن تقنعه به في لقاء آخر.

لا تستخدم العفاريت:

١٩ ـ لا تحاول أن تستخدم مواهب الروح القدس[٣]، مثل التكلم بألسنة غريبة أو عمل معجزة أمامه[٤]؛ لأنه سوف ينسب ذلك إلى الأرواح الشريرة، ولن يقبل المسلم إلا ما تتحدث به إلى عقله، وبلغته التي ينجذب إليها.

بِع له الإنجيل ولا تهده:

٢٠ ـ تذكر أهمية الكتاب المقدس ولا تحاول أن تهديه إلى مسلم إلا بثمن، واعلم أنه سوف يرفض شراءه منك؛ لأنه لا يحمل الاصطلاح الإسلامي: «بسم الله الرحمن الرحيم»[٥] فذكِّره بأنه حينما يشتري خبزاً فلن يجد عليه هذا الاصطلاح، إنما هو يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم» ويأكل، فلِمَ لا يفعل الشيء نفسه مع كلمة الرب[٦]، التي هي خبز الحياة؟

---

(١) تلك واحدة من القضايا الشائكة التي يواجه عوام المسلمين بها كبار النصارى، بل كانت واحدة من أشد الاختلافات التي أورثت صراعات بين طوائف النصارى المختلفة، ولم يجدوا حلاً حتى اليوم، لذلك أوصت لجنة الإرسالية التنصيرية بتجنب المناقشة في هذه المسألة.

(٢) الذي لم يذق حلاوة التوحيد حتى يميز بينها وبين ما عليه من ضلال.

(٣) مصطلح كنسي يدل على استخدام الجن والشياطين.

(٤) كإظهار هالة ضوئية يتمثلون فيها ـ وهماً ـ صورة العذراء مريم عليها السلام.

(٥) وهذه رؤية اختزالية لحقيقة رفض المسلم.

(٦) بتأليف متى ومرقص ولوقا ويوحنا!!

احترم إنجيلك كاحترامهم للقرآن:

٢١ ـ المسلمون في الجزائر مثلهم مثل كل المسلمين يتعاملون مع القرآن بكثير من الاحترام والتقديس والرهبة، فحاول أن تتعامل مع الكتاب المقدس بنفس القدر أمامهم، فلا تحط من قيمته.

استفد من جوع المسلمين:

٢٢ ـ كثير من المسلمين الشعبيين تائهون عن الحقيقة، يبحثون عن المنقذ الذي يواجهون به حالات الطرد والتشريد والجوع والاضطهاد التي أصابتهم حتى الموت خلال السنوات الأخيرة، ومن الواضح أن الرب يهيئهم حتى تعمل برسالته بينهم[١].

ربكم يبارك دعوتكم للمسلمين:

٢٣ ـ إن السيد ينادي الشباب أن يخدموه بين المسلمين بكثير من الصبر الذي يأتي بالعظمة للرب يوم نقف أمام العرش ويصيح رجل بصوت عال: «الخلاص لربنا الجالس على العرش ومعه الخروف»(!!).

شاركوا المسلمين دهشتهم لتعدد كتبنا:

٢٤ ـ المسلمون يدهشون عندما يجدون أن الكتاب المقدس هو كتابان، أولهما العهد القديم المعروف بتوراة موسى والذي يضم تسعة وثلاثين كتاباً، وثانيهما العهد الجديد المعروف بإنجيل عيسى، لكنهم سيدهشون أكثر إذا عرفوا أن العهد الجديد يضم أربعة أناجيل، والأناجيل الأربعة سبعة وعشرون كتاباً، ولذا فإنه من الأهمية بمكان أن نقترب من المسلمين بمشاركتهم الدهشة، وإنكار أن لدينا عدة كتب؛ لأنها جميعاً عبارة عن بشارات سارة وليست هي الكتاب الذي نزل على المسيح من السماء.

حذارِ أن تنسب الإنجيل لله:

٢٥ ـ لسوء الحظ[٢] أن أناجيلنا تنتسب إلى مَتّى ولوقا ومرقص ويوحنا، وهي إساءة لا يمكن حذفها؛ فاحذر أن تنسبها إلى الله؛ لأن كلام الله عند المسلمين هو شريعة وقانون.

لا تذكروا اسم بولس:

٢٦ ـ حاول كثيراً أن تتجنب في مناقشتك اسم بولس الرسول، فإما أنهم لم يسمعوا عنه من قبل وهذا يثير حفيظتهم لذكر رسول لم يسمعوا عنه، أو أنهم قد سمعوا عنه؛ حيث يعتبرونه أسوأ رجل في تاريخ النصرانية؛ لأنه اخترع[٣] مفاهيم لم يجئ بها المسيح، وهذا في الحقيقة ما قرأه أئمة المسلمين قديماً في كتب كبار النقاد الغربيين لتاريخ عقيدة النصرانية.

---

(١) يعتبر هذا الباب من أخطر الأبواب التي يحاول النصارى أن ينفذوا منها إلى حياة القلة النادرة من المسلمين الذين يمكن أن يُفتنوا في دينهم، إلا أن الوثائق والتقارير والأرقام أكدت إخفاقهم فيه، وراجعت الكنيسة حساباتها في استخدامه بعشرات المراكز التنصيرية، غير أنهم لم يفقدوا الأمل بعد في إمكانية استخدامه في بعض قرى الجزائر.

(٢، ٣) هكذا بنفس التعبير الصريح.

لا تقل إن المسيح ابن الرب:

٢٧ - حاذر أن تقول إن المسيح ابن الرب؛ فأنت بذلك تفعل شيئاً مزعجاً يعتبرك به المسلمون «مشركاً بالله»، وهذا يعني — في اللغة العربية — أسوأ الخطايا التي يمكن أن يرتكبها بشر تجاه الله.

المسلمون وثنيون ضالون فلا تصفهم بحقيقتهم:

٢٨ - تبعاً لبولس الرسول فإن المسلمين جميعاً يمارسون الوثنية التي هي مكروهة عندهم لتصديقهم القرآن واتباعهم محمداً [ﷺ] باعتباره رمزاً لخطيئة البشر التي ترفض كفارة ربنا يسوع وفداءه، فاحذر أن تصفهم حسب وصف بولس (الضالين) ولا تعوِّل على قناعتهم بدخول الجنة إذا نفَّذوا شريعة قرآنهم وإنكارهم لفداء المخلِّص.

نؤمن بقانون الله وإيماننا بيسوع أعظم:

٢٩ - المسلمون يصدقون أن الله لديه سلطة كافية لكي يسامح أي إنسان على أخطائه، وأنهم سوف يكونون على الصواب إذا ما نفذوا قانونه وشريعته، بينما نحن نعتقد بأننا نكون على الصواب إذا ما كنا نؤمن إيماناً كاملاً بيسوع المسيح ربنا وسيدنا، وليس بفعل ما يأمر به القانون، فهل يعني هذا أننا نرفض القانون أو نبتعد عنه؟ إننا نهتم مثل المسلمين بالقانون وبالشريعة، ولكن إيماننا بالمسيح الرب المنقذ المخلِّص الفادي يكفينا لأن نحقق كل الصواب الذي يريده الرب، وكل خطايانا قد بذل روحه فداءاً لها؛ لأن ربنا[1] يجعل المذنب الذي يؤمن به، بريئاً من كل ذنوبه.

أبو الأنبياء كان خطَّاءاً فلا تذكروا هذا للمسلمين:

٣٠ - إن إبراهيم [عليه الصلاة والسلام] لم يحيَ حياة مستقيمة[2]، وقد فعل أخطاءاً كثيرة، لكنه عند المسلمين «أبو المؤمنين» ويعتبر مثالاً لهم، وهذا ما يجب أن نوضحه للمسلمين بشجاعة، دون أن ننقد القرآن الذي جعل إبراهيم أباً للأنبياء.

المسلمون لا يضمنون الجنة ونحن بيسوع نضمنها:

٣١ - يتباهى المسلمون بقدسية قرآنهم التي لا ترقى إليها أناجيل النصارى، فلا تحاول أن تقلل من أهمية هذه القداسة، ولكن يكفي أن تطرح عليهم سؤالاً:

- هل يوجد مسلم واحد على وجه الأرض يؤكد له القرآن أن زيارته لمكة لأداء فريضة الحج مقبولة عند الله أم لا؟ بالطبع سوف تكون الإجابة بالنفي؛ لأن القرآن ينص على أن الجزاء عند الله يحدده بعد الموت، أما عندنا، فيكفي الإيمان بيسوع[3]، لنضمن أن كل أعمالنا مقبولة، فأي الطريقين تختار؟

---

(١) ولم يوضح أي رب من الأرباب الثلاثة.

(٢) نعوذ بالله من ذلك.

(٣) وكأننا نبال على بضاعة في مزاد للبيع.

إشكالية حروف الجر:

٣٢ ـ لا يستطيع مسلم أن يقول أنا أعرف الله، إنما دائماً يقول: «أعرف عن الله»، «أعلم عن الله»، «أتحرك بعون الله» فهناك حرف جر يفصل بين المسلم وربه؛ لأنه يظل يبحث طوال حياته «عن» معية الله، لكننا [النصارى] بإيماننا بالرب نعرفه بدون حرف جر[١].

سماوية الإسلام والنصرانية:

٣٣ ـ من الصواب أن تقدم وعظك بما هو مشترك بين الإسلام والنصرانية؛ فكلا الديانتين سماويتان، ونحن مثل المسلمين نحترم قوانين السماء [يقصد الله] باعتبارها بياناً لإرادته، ونعتقد في سيادته على المخلوقات، وأنه قادر على كل شيء.

ثقافة المسلمين أقوى:

٣٤ ـ إن كثيراً مما يرفضه المسلمون من عقيدتنا هو رفض آلي[٢] من العقلية الإسلامية، فعليك أن تتسلح بالصبر، خاصة أن ثقافتنا لا تساعدنا على منازلتهم، ووجودنا في بلاد المسلمين لا يحقق لنا نتائج سريعة، ولا تصدمك كثيراً الكلمات الدينية[٣] التي سوف تصل إلى أذنيك في كل مكان تذهب إليه؛ لأنها لا تعني شيئاً كثيراً عندهم وهم يرددونها[٤].

لا تخجل من يهوذا:

٣٥ ـ سؤال يسأله المسلمون دائماً: لماذا كان اختيار يسوع ليهوذا الخائن أن يكون أحد تلامذته الحواريين؟ المسلم يقول إن المسيح كان رسولاً وعلى ذلك فهو يؤمن بضرورة أن يكون لديه موهبة معرفة الغيب، ولذلك فالمسلم يصر على هذا السؤال، والحقيقة أن السؤال أكبر من ذلك بكثير؛ فهو ليس فقط: لماذا يهوذا؟ ولكن لماذا خلق الرب العالم لو أنه يعلم أن الإنسان سوف يخطئ؟ إن الإجابة جزء من مشكلة أكبر تقع تحت عنوان: «مشكلة الشر»، ويجب ألا نكون خجولين أبداً عندما نقول: إن هناك أشياء معينة ليس لدينا الإجابة عنها الآن، ولسنا وكلاء للدفاع عن ربنا[٥].

مسيحنا أعظم من محمدهم[٦]!

٣٦ ـ سؤال مهم يمكن أن تبادر به المسلمين من حولك، ولكن ليس في اللقاءات الأولى، وربما يكون ذلك قبل الخطوة الأخيرة التي قد يؤمن فيها المسلم

---

(١) لكن الإشكالية الفاضحة أنه لم يوضح المرة تلو المرة، أي رب من الأرباب الثلاثة لديهم؛ إذ يقتضي صدق القول انفراد كل واحد منهم بمعرفة متميزة، لاختلاف الطبيعة والإرادة والكينونية والهوية، فأي معرفة غير النصب ـ لا الجر ـ يقصدون؟.

(٢) بل هو فطري.

(٣) التي يستخدمها المسلمون في حياتهم العادية.

(٤) بل هي تعني التداخل والانسجام التام بين العقيدة والسلوك، دون انفصام أو تكلف أو تكليف.

(٥) وربنا وربهم لا يحتاج لوكلاء، إنما الذين عينوا أنفسهم وكلاء هم المحتاجون أن ينزهوه ـ سبحانه وتعالى ـ عن شركهم بجلاله ووحدانيته.

(٦) ومع النصيحة قبل الأخيرة، تغير لجنة التنصير من تكتيك الحركة والمبادرة بما يظنون أنه سلاح هجومي.

بيسوع المسيح، وهو: إذا كان المسلمون يؤمنون بأن المسيح لم يمت ورفعه الرب إليه، في الوقت نفسه الذي يؤمنون فيه بأن محمداً ﷺ قد مات ويزورون قبره في المدينة، ألا يجعل ذلك من المسيح رسولاً أعظم من محمد؟

الخروج من مأزق الصليب:

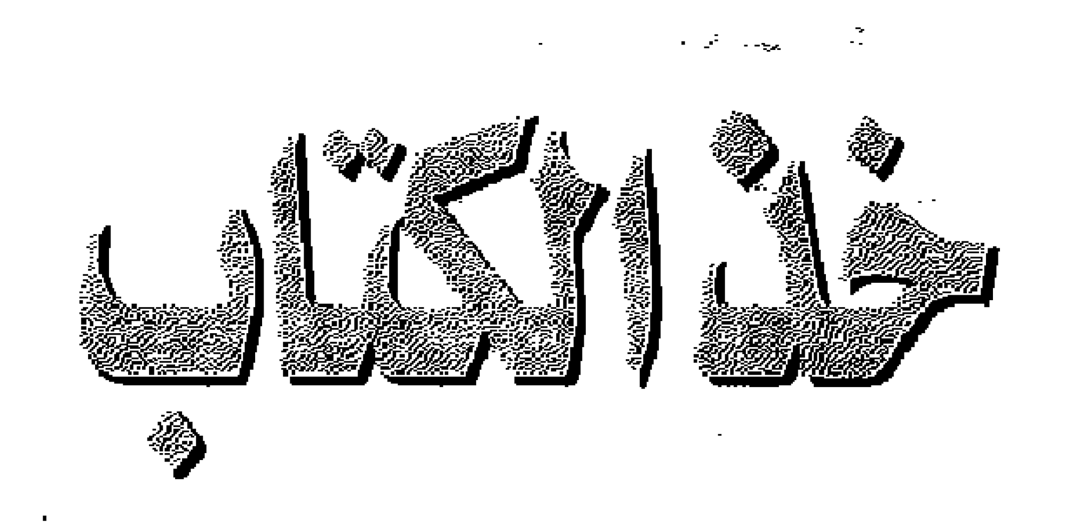
٣٧ ـ إذا وجه المسلمون إليك سؤالاً حول صلب المسيح واعتبار النصارى أن ذلك كان فداءاً منه؛ فلماذا يذهب هو للصليب بداية ويعفي نفسه من الإهانة واللطم والأذى وحمل الصليب والركل بالأقدام والسب؟ ولماذا كان يحاول الهرب أصلاً من القبض عليه وتقديمه إلى الصليب؟

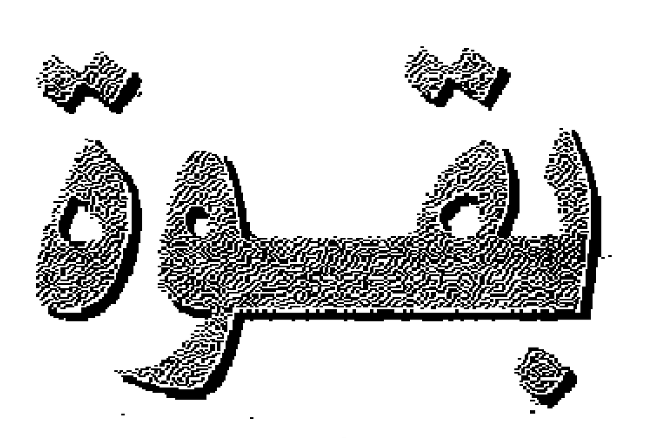
في البداية يجب أن نقول إن المسيح كان بشراً وكان إلهاً، ويجب ألاَّ نقلل من طبيعته البشرية حينذاك، وبطرس الرسول نفسه قد وجد صعوبة في تقبل عملية الصليب، وأنكر ألوهية ربنا المسيح، مع أنه كان أكبر حوارييه وأقربهم إليه، ولذا يجب أن نكون متعاطفين مع المسلمين في هذا السؤال، ولا بد أن نصبر عليهم حتى يتفهموا قول المسيح عندما اقترب موته: «ليس ما أريد ولكن ما تريد» قالها ثلاث مرات ليظهر أنه بقبول الصلب قَبِلَ رسالة الرب الذي هو الأب، لكي يصبح ممثلنا وفادينا.

❁ ❁ ❁

تلك هي النصائح الـ ٣٧ التي أوصى بها مركز التنصير الإنجيلي أعضاءه المنصرين العاملين في دولة الجزائر المسلمة، بعد جهد ولأْيٍ لمدة خمس سنوات كاملة بين قرى أرض الجزائر وأزقتها وحاراتها، وسط الخراب والدمار الذي تمارسه ميليشيات فرنسا الصليبية وأعوانها داخل البلاد باسم الإسلام والمسلمين الذين لا يملكون حق الدفاع عن أنفسهم، في ظل هيمنة النظام الدولي الجديد، وهزيمة نفسية باغتت الصحوة الإسلامية التي أخطأت المسار حيناً، وزلت في أوحال العنف أحياناً أخرى.

وبرغم ذلك، والأجواء مهيأة تمام التهيؤ أمام الإرسالية الإنجيلية، لم يكن الحصاد حسبما رغبوا فيه، ولم تكن الثمرة هي ذاتها التي ذهبوا إلى الجزائر من أجلها؛ فبرغم محاولات الاحتلال الفرنسي في صبغ حياة الجزائريين بآداب وأدبيات وطبائع ولغة وعادات وتقاليد فرنسا، فإن ما تصوروه من غبار علا وجوه المسلمين، كان هذا الغبار جلاءاً للبصائر والقلوب، ولم تجد الإرسالية الكنسية ما تقنع مرسليها به غير تقديم هذه النصائح التي تضمنها هذا التقرير، معبرة عن خيبة الرجاء، وقلة الحيلة، وسوء العاقبة، وفساد الفهم، وضخامة الأنا، وخلل العقيدة، إلى أن تستعيد الجزائر الجريحة عافيتها، وتضمد بزاد الشريعة جراحها.





أحمد بن عبد الرحمن الصويان

هجرة المسلمين واستقرارهم في البلاد الغربيـة حقيقة واقعة منذ سنين طويلة، إلا أنها ازدادت زيادة مطردة في العقد الأخير خاصة، وإن كان لهذه الهـجرة مـا يسوّغـها شـرعاً عند بعض الناس، إلا أن الغـالبيـة من هؤلاء المهـاجريـن لم يستـوطنوا في بلاد الغـرب لحـجج شرعـيـة، وإنما لأهواء وظروف شخصية واجتماعية.

ودراسة الأحـوال الفكرية والاجتمـاعيـة والأخلاقيـة والنفسيـة لهؤلاء المهاجرين ينبغي أن تكون من أولى أولويات عمل المراكز الإسلامية في بلاد الغـــرب، لتكون هذه الدراســـات ـ بإذن الله ـ الأســـاس الذي تنطـلق منه البرامج الدعوية والتربوية.

ولعل من أبرز الظواهر الاجتـماعية الســائدة في كثير من أبناء الجـالية الإسلامـية ضـعف التمـيُّز الإســلامي أو انعدامـه فكراً وسلوكاً؛ فـأثر البيـئة الغربيـة يظهر بجلاء علـيهم، وخاصـة الأجيال الجـديدة التي وُلدت ونشأت وتعلمت في الوسط الغـربي. وهذه الظاهرة نتـيجـة حتـميـة لا تحتـاج إلى استقـصاء أو بحث وإثبات[1]. ولكن الأمر الذي يستـحق التأمل والنظر هو حال الإسلاميين خصوصاً؛ فكثير منهم لم يَسْلم من أثر البيئة السلبي، ولعلّي أكتـفي هنا بمثل واحـد، وهو ضعف التـمسك بكثـير من الأحكـام الشرعـية، والتفريط بأحكام الهدي الإســلامي الظاهر، وخاصة في شؤون المرأة. ولست أعني هنا الإشارة إلى الخـلاف المشهور بين الفـقهاء في كـون الوجه والكفين عورة أو ليسا بعورة، بل الأمر أبعـد غوراً من هذا؛ حيث أصبح الحجاب عند بعضـهم ـ مع الأسف الشـديد ـ معنى لا حـقيـقة وراءه؛ فهـو لون من ألوان التجديد والتمدن، ولم يبقَ منه إلا منديل رقيق يغطي بعض شعر الرأس، مع لبس البنطال الضيق، والظهور بألوان الزينة والعطور. أمـا قضايا الاختلاط ومصافحة الأجانب، بل والمشاركة الرياضية، فحدث عنها ولا حرج.

وإن تحدث في ذلك متحدث اتُّهم سريعاً بالتنطع والتكلف والتشديد، ورُمي بالجهل بالواقع الغربي والظروف الاجتماعـية التي يعيشها الناس، وأنه ينظر إلى أمـريكا وأوروبا بمنظار الأعـــرابي الســـاذَج الذي لا يعـقل ولا يبصـر..!!

وقـد سمـعت أحد المفكريـن المستنيـرين يهزُّ يـديه أمام جـمع من الإسلامـيين،

---

(١) أجرت الكاتبة الأمريكية (إيفون حداد) دراسة إحصائية عن الأجيال المسلمة المقيمة في أمريكا ومدى قبولها أو رفضها لفكرة العلاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج، فوجدت أن الجيل الأول من المهاجرين يرفض بشدة هذه العلاقة، أما الجيل الثاني من المسلمين الذين ولدوا في أمريكا فقد ظهر أنه أقل رفضاً للفكرة بدرجة كبيرة، أما الجيل الثالث من المسلمين فقد رأى ١٣٪ منهم فقط أن هذه الفكرة غير شرعية! ثم استنتجت الباحثة: أن ثلاثة أجيال تكفي لذوبان المسلم في البيئة الغربية. (انظر: مجلة الصراط المستقيم، عدد (٦٨) ١٤١٨هـ).

ويأمرهم بالرقي الفكري والتجاوب الفاعل مع المعطيات الحضارية المعاصرة، ويحذرهم من الجمود والوقوع في رواسب التخلف والظلامية.. قال كل ذلك لَمَّا سمع أحدهم يتلو حديث النبي ﷺ: «إني لا أصافح النساء»(١)!

والعجيب أنك تجد من بعض المنتسبين إلى الفتوى من المفكرين والدعاة من يسوّغ هذا التمييع ببعض الأدلة المتكلَّفة. وأذكر أن أحد الأشياخ المحاضرين في أحد المؤتمرات الإسلامية في أمريكا بدأ محاضرته بهجوم صارخ على إدارة المؤتمر التي فصلت الرجال عن النساء، وينعي هذا التخلف الفكري والعقلية البدائية التي لا زالت تسيطر علينا حتى ونحن في أمريكا (!!)، وفي نهاية المحاضرة قام مدير المؤتمر معلقاً، وكنا نظنه سوف يدافع عن موقفه، وإذا به يعترف بالخطأ ويعتذر للإخوة والأخوات، ويذكر أن سبب الفصل سبب فني وليس سبباً فكرياً، ووعد بإصلاح الوضع في اليوم التالي، ثم وفّى بما وعد..!!

إن اندماج المسلمين في البيئة الغربية أدى إلى ذوبان مذهل في الشخصية الإسلامية، وميوعة شديدة في تلقي الأحكام الشرعية، وميل ظاهر إلى البحث عن الرخص بدون فقه ولا بصيرة، ويصدق في وصف كثير منهم قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]. والطريف في الأمر أن المسلمين حديثاً من الغربيين الأصليين ربما يكون بعضهم أكثر جرأة وصدقاً في الالتزام بالأحكام الشرعية والاعتزاز بها وعدم التحرج من إظهارها أمام الملأ..!

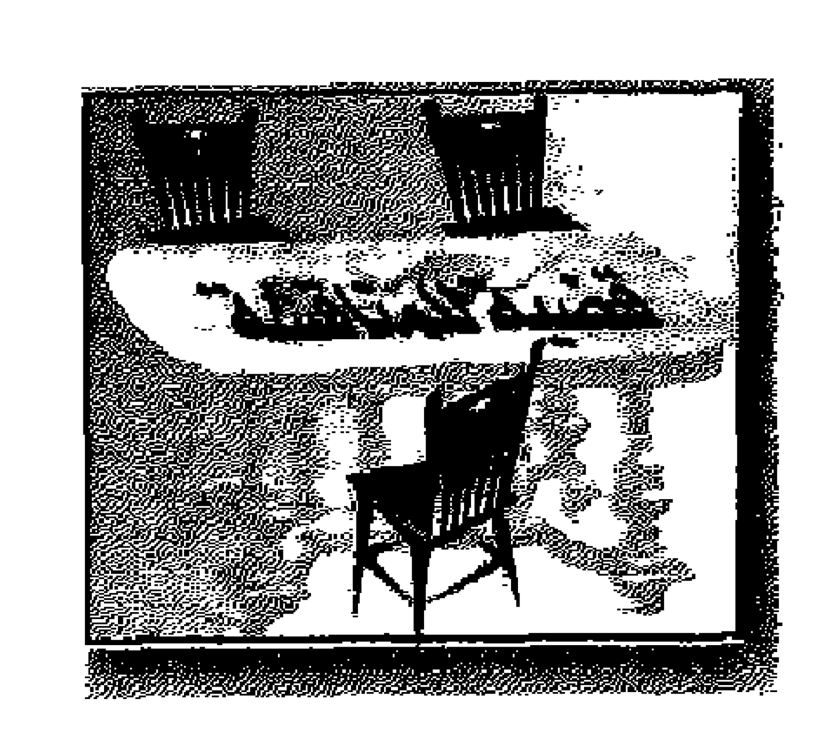
وأذكر أنني زرت في الولايات المتحدة الأمريكية منطقةً تنتشر فيها طائفة من طوائف النصارى البروتستانت تسمى بـ (الآمش) يرون أن من أسباب البلاء الذي تعيشه الإنسانية تلك الحضارة المادية التي سيطرت على الإنسان الغربي، وجرته إلى مستنقع الرذيلة والانحطاط، ولهذا انعزلوا عن المجتمع وتركوا كل ألوان الحضارة، وامتنعوا عن استخدام كافة المخترعات التقنية الحديثة، وأسسوا مجتمعهم الخاص بهم بما في ذلك مدارسهم التي ترعاها الكنيسة، وراحوا يشتغلون بالزراعة وتربية المواشي بوسائلهم البدائية المتاحة وامتنعوا عن شرب الخمور والزنا..! والعجيب أن نساءهم لا زلن يلبسن اللباس الطويل الساتر، ويضعن منديلاً على الرأس، ولا يختلطن بالرجال، وعلى الرغم من ازدراء بعض إخوانهم الأمريكان لهم إلا أنهم فخورون بمبادئهم، ومعتزون بمسلكهم..!!

ولست ها هنا في صدد تحليل ظاهرة (الآمش) هذه، ولكنني أشير هنا إلى أن هؤلاء القوم على الرغم من أنهم رأوا أن بلادهم وصلت إلى قمة التقدم المادي المعاصر إلا أنهم انعزلوا عنهم، وراحوا يمارسون معتقداتهم الفكرية والسلوكية بكل اعتزاز. أفلا نقوى ـ نحن المسلمين الذين نعتقد يقيناً بحمد الله تعالى أننا نملك الدين الحق ـ أن نعتز بديننا، ونتمسك بشرائعنا، ونعض عليها بالنواجذ، ونشمخ برؤوسنا أَنَفَةً وافتخاراً بعقيدتنا وآدابنا السامية..؟!

إن التكليف بالأحكام الشرعية باب من أبواب الابتلاء الذي يمتحن فيه دين الإنسان، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢]. وهذا الدين جدّ ليس بالهزل، وإن من أسوأ ما نجنيه على أنفسنا أن نتخذ شرائع الإسلام العوبة نلهو بها، ونأخذ منها بمقتضى أهوائنا، أو أن نجعل الواقع الفكري أو الاجتماعي المنحرف يضغط علينا، ويملي علينا ما يشاء، وها هي ذي دلالات القرآن العظيم واضحة بيِّنة لا تردد فيها ولا خفاء، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. والهزيمة في الهدي الظاهر آية عظيمة على الهزيمة القلبية؛ ولهذا شدّد النبي ﷺ في التحذير من ذلك، وقال: «من تشبه بقوم فهو منهم»(٢).

(١) رواه النسائي، ح/ ٤١١٠.

(٢) رواه أبو داود في اللباس، ح/ ٣٥١٢.



العمل الإسلامي بين ضرورة المراجعة وخطورة التراجع

عبد العزيز كامل

بينما تستقبل الدعوة الإسلامية عقدها الثالث من القرن الخامس عشر للهجرة النبوية الشريفة؛ تتزامن بشكل لافت في بلدان مختلفة موجة مشتركة من الدعوات إلى إجراء مراجعات شاملة لمناهج العمل الإسلامي وإداراته وممارسته بأطيافه المتنوعة.

والدعوة الإسلامية إذ تعبُر إلى هذا العقد مثخنة بجراح كثيرة؛ لا يخلو صدرها - مع ذلك - من العديد من أوسمة النور التي حازتها عبر بضعة عقود ماضية، منذ بدأ الانبعاث المبارك لصحوتها التي انتعشت في بدايات القرن الهجري الحالي، تصديقاً للسنة الإلهية التي أخبر عنها رسول الله ﷺ في قوله: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»[1] ويجيء هذا الإقبال على (المراجعات) في ظروف تكاد تتشابه فيما يتعلق بالعمل الإسلامي في العالمَيْن العربي والإسلامي؛ إذ إن العقدَيْن الماضيين - على وجه التحديد - شهدا ممارسات وتجارب كاملة أو شبه كاملة لتيارات إسلامية انتقلت خلالها من التنظير الفكري إلى الممارسة الواقعية. فمنها من صدمتها التجارب، ومنها من عركتها مرارة المحن، ومنها من أنضجتها حرارة الاحتكاك بالواقع، ومنها كذلك مَنْ أقعدتها الإحباطات والإخفاقات، وذلك على المستويين: الفردي، والجماعي، وكانت الثمرات المقتطفة من ذلك كله

(١) رواه أبو داود في الملاحم، ح/ ٤٢٩١، والبيهقي في معرفة الآثار والسنن، ١/١٣٧، وأخرجه الحاكم في المستدرك، ٤/٥٢٢، وابن عدي في الكامل (المقدمة/١٨١)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة، ٢/١٥٠)، ح/٥٩٩.

تجمعها سلة واحدة أمام الناظرين، لا يكاد بادي الرأي يفرق بين اليانعة منها والمعطوبة، ولا نشك في أن مجموع تلك الثمرات إنما جاء نتاجاً لتفاعلات التجديد المختلفة في اتجاهاتها ومجالاتها، والمتنوعة في سلبياتها وإيجابياتها، فمن شأن التجديد دائماً أن يستخرج الزُّبْد ويلقي بالزَّبَد.

وبرغم أن المرحلة الحالية تكاد (المراجعات) تكون عنوانها الرئيس، إلا أن لتلك المرحلة سمات أخرى تفصيلية من أهمها: أنها مرحلة توقف متردد عند مفترق طرق محيِّر، يعود بالدعوة لدى بعض الفصائل إلى الوراء نحو خمسة عقود عندما كان شعار المرحلة وقتها: (من أين نبدأ؟) والمرحلة أيضاً يميزها حماس فاتر بعد نشاط متوقد استمر طوال العقد الثاني من القرن الرابع عشر، ويتخلل تلك المرحلة هبوط ملحوظ في أسهم كثير من الرموز الدعوية التي كان لها رنين وطنين، بعد سلسلة متصلة من معارك هدم الرموز، ومباريات تصفية الآخرين معنوياً، كما أن كثيراً من الشعارات البراقة والمفرطة في الطموح، قد خبا ضوؤها إلى حدٍ ملموس.

ولكن هذا كله لا ينفي أن هناك قفزات نوعية للدعوة الإسلامية قد أُنجزت بالفعل، وهناك منها ما ينتظر الإنجاز. ومع ذلك، فالشعور الثابت لدى غالبية المهتمين؛ أن إمكانات المسلمين في نصرة الدين لم يُستغل منها إلا القليل، ولهذا يصح القول بأن إنجازات الصحوة تبدو كبيرة عملاقة باعتبار، وتبدو صغيرة متواضعة باعتبار آخر، فهي عملاقة باعتبار التحديات التي تواجهها والعقبات التي توضع في سبيلها والظروف الاستثنائية التي تعمل فيها، وهي متواضعة باعتبار إمكانات المسلمين الجبارة التي حباهم الله إياها مادياً ومعنوياً، فلم يوظفوا منها لخدمة الدين إلا القليل.

إن هناك اضطراباً تتسم به المرحلة، وإذا رحنا نبحث عن الأسباب التي أدت إلى وصول الدعوة لتلك المرحلة المتشابهة المعالم في أكثر بقاع العالم الإسلامي، فإننا نعثر على أبرزها بين ثنايا خارطة دعوية شديدة التداخل والتعقيد، فمن تلك الأسباب:

١ - استطالة بعض فصائل العمل الإسلامي لمرحلة الاستعداد لإقامة الكيان الإسلامي الممكَّن له في الأرض؛ حيث تواصلت عقود قامت خلالها دول وكتل عالمية وسقط بعضها، دون أن يقوم للإسلام في المقابل كيان أو كتلة قوية تمهد لإعادة الخلافة الضائعة.

٢ - تكرار الإحباطات في أمكنة كثيرة على

صعيد محاولات الوصول إلى إقامة كيانات إسلامية خالصة عبر وسائل متنوعة سلمية - كما في التجارب البرلمانية - أو غير سلمية - كما في التجارب الجهادية - مع تطوير الأنظمة العلمانية الدائم لطرق مواجهتها لأي نهضة إسلامية متوقعة.

٣ - تضاعف حدة الصراع بين الحركات والدعوات الإسلامية ومناوئيها بعد أن انضمت إلى هذا الصراع بشكل سافرٍ قوىً دولية كانت تتخفى بالأمس وراء الأنظمة العلمانية، ثم هي اليوم تنبذ إلى المسلمين على سواء، وتسعى إلى (عولمة الصراع) مع الإسلام في كل البقاع.

٤ - انضمام شريحة من الإسلاميين إلى خندق المواجهة المعادي، بقصد أو بغير قصد، وتحت تأويلات أو تَعِلاَّت تصب في النهاية في قناة تمد المعسكر المناوئ بأسباب القوة والبقاء، وتخلط الأوراق الدعوية والتربوية في قضايا الولاء والبراء، والحكمْ والتحاكم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها.

٥ - اتساع الخرق على الراقع بشأن الخلافات العلنية والسرية بين زعامات فكرية وأخرى حركية، مما أوقع كثيراً من الأتباع في حيرة لم يجدوا منها مخرجاً إلا بالخروج من دائرة الهم الإسلامي العام.

٦ - استمرار غياب الدور القيادي للعلماء العاملين في أكثر بقاع العالم الإسلامي، وانسحابهم من الميدان لصالح زعامات من علماء غير عاملين أو عاملين غير علماء، مما أوقع العمل الإسلامي في دوامات (التجربة والخطأ) المتكررة التي تستهدف اكتشاف الأخطاء بشكل عملي بدلاً من تجنبها ابتداءاً بتأصيل علمي.

٧ - استشعار بعض القيادات أنها بذلت ما في وسعها، بل أكثر مما في وسعها دون الوصول إلى نتائج مرضية، ولسان حال أحدهم يقول: (آن للمقاتل أن يستريح) وهو شعور مخدِّر، أوصل إلى حالة من الاسترخاء ظهرت آثاره في انصراف قطاع عريض من شباب الأمس المتحمس إلى التشاغل بالأمور المعيشية التي قد لا تمتُّ لأعمال الدعوة بصلة، وهذه الظاهرة تؤدي بصورة متكررة إلى تصدع في بنيان العلاقات والصلات التي لا بد منها لاستمرار أي عمل ناجح متواصل.

٨ - التهام نار المواجهة في بعض البلدان للعناصر المتميزة أولاً بأول، بالقتل أو السجن أو التوقيف أو التجميد أو الاحتواء، مع قلة توافر الظروف التي يمكن في ظلها تعويض العنصر الفاقد أو ملء المكان الشاغر.

٩ - اكتشاف كثير من العاملين للإسلام

أنهم كانوا يقعون بشكل منتظم ضحية العمل الارتجالي الذي لا يدري إلى أين وصل، كما لم يكن يعلم من قبل من أين بدأ، وافتقاد بعض آخر لتوازنهم الفكري نتيجة صدمات واقعية أفاقوا منها بعدما اكتشفوا أنهم كانوا يكمّلون النقص الخطير في معالم لوحة الصراع من مخيلاتهم ويملؤون فراغاتها بظنونهم.

١٠ - وصول الكثيرين إلى قناعة ببُعد البَوْن بين الآمال والأعمال، أو بين الواقع والخيال، أو بين الإمكانات والطموحات، أو بين الحقائق والمثاليات، وبدلاً من إعادة النظر في محاولة تقريب هذا البون، كان اللجوء إلى الهروب هو الحل الأسهل والأمثل لدى بعض من تعتمد الجماهير على توجيهاتهم وتنتظر تنظيراتهم.

ومع أهمية الاعتراف بوجود تلك الأسباب التي مرَّ ذكرها وغيرها؛ فإن المراجعات ووقفات التأمل من الأمور البالغة في أهميتها حد الضرورة؛ فهي واجبة على فصائل العمل الإسلامي قبل أن تكون حقاً لها في ظل المتغيرات المتلاحقة التي تتتابع على ساحة الدعوة الإسلامية، ولا أظن أن أحداً من المهتمين بأمر المسلمين يشك في أهمية المراجعة في هذه المرحلة، ولو من باب تقويم ما مضى من مراحل النشاط الإسلامي في أشكاله كافة، وإذا كان ذلك كذلك، فإن التشارك في التشاور من أجل هذا تحتمه الفريضة الإسلامية المحكمة في النصح لله ورسوله وللمؤمنين خاصتهم وعامتهم؛ فالمراجعة أو المحاسبة أصل إسلامي أصيل؛ وخاصة إذا سارت الرياح بما لا تشتهي السفن.

وهذا الأصل مستمد من قوله - تعالى - لأصحاب رسول الله ﷺ بعد أن دهمتهم نازلة أحد: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقوله - تعالى -: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وفي سياق التنقل بين محطات المحاسبات والمراجعات، هذه وقفات تأملية نأمل منها أن تفتح آفاقاً لحوار أوسع وأعمق:

أولاً: بين المراجعة والتراجع خيط رفيع، ومع ذلك فهو لا يُرى إلا عن بُعد، وهو أشبه بالمعْلَم المطموس عند مفترق الطرق، من لم ينتبه إليه التبست عليه السُبل، وربما رجع القهقرى، وهو ينشد الشد في المسير.

ثانياً: مثلما تتحول المراجعات - في بعض الأحيان - إلى تراجعات، فإن التراجعات قد تتطور إلى انتكاسات، والانتكاسات المنهجية منها أخطر من الانتكاسات الحركية؛ فالحركات تضعف

وتقوى، وتقع وتقوم، أما المناهج فقلما تنهض بعد سقوطها على مستوى الفرد والمجموع.

ثالثاً: محطات الإقبال على المراجعة قد تكون في لحظات ضعف منسحب ـ وهذا على الغالب ـ أو لحظات اندفاع غير محسوب، وفي كلا الحالتين فإن المراجعة وقتذاك قد تقع تحت وطأة ظروف نفسية غير مستقرة، أو نظرات شخصية عجْلى، تختصر التأمل وتبتسر النتائج. واستصحاب هذا الملحظ مفيد عند أي مراجعة حتى لا تخضع لمؤثرات خارجية ضاغطة.

رابعاً: لا يحدث الإقبال على التراجع ـ في الغالب ـ إلا تحت مسمى المراجعة، ثم تنتحل تلك التراجعات أسماء براقة، وشعارات خدّاعة، تتسربل بالحكمة طوراً وتتلفع بالواقعية تارة، وترتدي أثواب زور من العلم والتعقل والأناة مرات أخرى.

خامساً: كثيراً ما يحدث التورط في مستنقعات التراجع، بدفع من أوهام تضخم (التجربة) ومبالغات تفرد (الرمزية) التي تخلع ألقاباً وأوصافاً على أشخاص قد يكونون بالفعل رموزاً أو أصحاب تجارب، ولكن التفويض المطلق لبعض (الرموز) وأصحاب التجارب في المراجعات هو الذي يفتح الأبوب وسيعة أمام التراجعات التي تتسلل سلِسةً على ألْسنة مَنْ لا يفكر أحد في مناقشتهم أو مراجعتهم.

سادساً: التواصل بين الأجيال عامل مهم في إكساب عمليات المراجعة شيئاً من العصمة النسبية، وكما أن رصيد سابقة الابتلاء أو التجربة لا يكفي لإفراز مراجعات ناجحة في كل الأحوال، كذلك فإن الأجيال الجديدة بدمائها الجديدة لا يصلح لها أن تستغني بجدتها وفتوتها عن خلاصات (تجربة العمر) لمن سبقوهم على الطريق فعرفوا منحنياته الخطرة، وخبروا معالمه ومراحله.

سابعاً: من أخطر مزالق المراجعة، الانشغال باجترار مرارات الماضي، أو التلمظ بحلاواته، وأخطر من ذلك الاحتراب في ميدانٍ مَّا قد كان، حيث ينشغل بعضٌ بتقاذف التهم في تلاوم ضار غير نافع. وعندها يكون حرص قوم على نفي الآخرين وتصفيتهم معنوياً هو بوابة الولوج والخروج في أي حوار يستهدف المراجعة، ولهذا لا يرجعون من ذلك بشيء.

ثامناً: عندما تحل المناطحة محل المناصحة، والجدال بالتي هي أخشن بدلاً من التي هي أحسن، فإن نزغات الشيطان وتحريشاته تتسوّد الموقف، وتتصيد الفرص للإيقاع في انتكاسات التراجع التي لا يفرح الشيطان بشيء فرحه بها في صفوف المؤمنين، وإذا كانت الحزبية صفة قبيحة مقيتة، فالعنصرية أقبح وأشد مقتاً، ولهذا لا ينبغي أن يكون لهما موضع شبر على بساط النقاش والتقويم.

تاسعاً: جل المراجعات تنصب على أمور

عملية تطبيقية مع أن الأصل هو الأمور المنهجية التي لو سلمت لسلمت الأعمال والتطبيقات، والتركيز على اتهام التطبيق العملي لا ينبغي أن يدفع التهمة عن التنظير المنهجي، بل الأصل أن يُبدأ بمقدمات الشيء لا بنتائجه.

عاشراً: هناك من المناهج ما تم وضعه في عجلة قبل استكمال شروطه من النضج العلمي والفهم الواقعي، ومن الجناية على الدين أن تعاد مراجعته بالنَّفَس المتعجل نفسه.

حادي عشر: هناك أشكال من التأصيل المنهجي أشبه بالتفكير بصوتٍ عالٍ، ومع هذا تلتقط هذه السوانح الفكرية العابرة، وتقتطف فجة غير ناضجة، ويحاول بعض الناس أن يصنع منها (بخة) سائغة، لمجرد أنها فكرة فلان أو سانحة علان، وبعضها يطلق كأنه شعارات، مع أن التأصيلات لم تكن يوماً بالشعارات.

ثاني عشر: قد تكون المراجعات (محطة) يتوقف عندها القطار توقفاً نهائياً على مستوى أفراد أو مجموعات، قد يكون بعضهم مهيأً نفسياً ليحط رحاله في أقرب المنازل تعللاً بالنوازل، وفي هذه الحالة لا تكون تلك المحطة إلا خطة، أعد لها الشيطان بمكر وحيلة تورّطوا فيها في لحظات ضعف وغفلة.

ثالث عشر: ومن المناهج ما أملتها ظروف نشأتها الزمانية أو المكانية؛ فلا ينبغي تجاهل ذلك عند التقويم، بحيث تقوَّم سلع الماضي في سوق الحاضر أو المستقبل، وكذلك لا يصلح تقويم كل تجارب العالم بالمقاييس المحلية لبلدٍ مّا، فالمعايير المحلية لا تصلح للتعميم في التطبيق فضلاً عن التقويم.

رابع عشر: هذه الظروف الزمانية والمكانية المختلفة لا يصح معها استعارة المناهج (في غير الثوابت) لتطبيقها في غير زمانها أو في غير مكانها، فتلك مزلة أقدام قد لا ينتبه إليها كثير من الناس، وقد لا يكون العيب في جزئية معينة في المنهج، بقدر ما يكون في ملاءمة الزمان أو المكان له.

خامس عشر: من المعلوم أن الأمور القدرية لا تحكم على الأمور الشرعية؛ فعدم التحقق قدراً لا يستلزم عدم الصحة شرعاً؛ فلا يصلح أن يقال: كل التجارب البرلمانية لم تنجح فهي غير شرعية، أو كل الحركات العسكرية قد أخفقت فهي لذلك غير شرعية. ومن الأخطاء المنهجية في تقويم المناهج ومراجعتها: التعميم والإطلاق، كأن يتخذ من رأوا الإخفاق في أعمال جهادية معينة - مثلاً - موقفاً رافضاً لأي عمل جهادي، حتى يتحول ذلك إلى شعار، خاصة عندما يطلق على الجهاد لفظ (العنف) لتسهيل نبذه على النفس الضعيفة أو المترددة، وبشكل يُراد له أن يُعمم على كل الساحات التي قد تكون ظروف بعضها مختلفة ومستوجبة لمثل هذا الجهاد. والعكس أيضاً قد يحدث، عندما

تنجح تجربة جهادية ما، فيطلب من المسلمين في كل ساحات العمل الإسلامي أن ينقلوها بحذافيرها إلى مواقعهم، وقس على ذلك في قضايا سرية العمل أو علانيته، وسلمية المواجهة أو عسكرتها، والموقف من الحكومات والأنظمة، وطريقة التعامل مع الشعوب، وأساليب التعاطي مع القوى الكبرى ونحو ذلك.

سادس عشر: للتأصيل العلمي أهميته وخطورته في وضع المناهج الدعوية أو تقويمها أو مراجعتها، وكذلك الفهم الواقعي للقضايا الكبرى. وهناك جفاء قد طال من بعض فصائل العمل الإسلامي لأحد الأمرين أو كلاهما، وذلك ناتج عن موقف غير متوازن من العلماء، فبينما تُقطع الأواصر والوشائج مع العلماء في بعض الأماكن بما يحرم الدعوة من خير ما عندهم، فإن هناك أماكن أخرى تبالغ في ربط الدعوة الإسلامية كلها بفرد أو ببضعة أفراد من العلماء، بحيث تُرهن قضايا الأمة كلها بكلمات منهم، قد لا تأخذ حقها من النظر والتدقيق، أو قد تكون خارج نطاق تخصصهم أصلاً.

سابع عشر: عندما تقتصر عمليات المراجعة على رموز التجربة نفسها، فإن ذلك يعرض المناهج والتطبيقات لتكرار الأخطاء؛ لأن عين الإلف والعادة ربما تعشي عن المعايب والخروق، وهذا يمكن تلافيه بإخضاع المراجعات لمتفحصين جدد، وذلك أحرى بتخليص الدعوات من حظوظ النفس ونزوعها الدائم نحو الدفاع وتحسين الصورة تشبثاً بنظرية: «ليس في الإمكان أحسن مما كان».

ثامن عشر: الظروف النفسية المتقلبة عامل خطير في اتخاذ المواقف العملية، وربما العلمية؛ فكم من طروحات ومواقف اكتست أردية دعوية، وهي في حقيقتها ردود فعل نفسية ربما نشأت عن مواقف شخصية، لمحبة مفرطة أو بغض غير متوازن، وهذا أمر ليس من السهولة منعه، ولكن ليس من الصعوبة رصده والحذر منه.

تاسع عشر: التراجع ليس قريناً للمراجعة في كل الحالات، فقد تكون المراجعة - أو هكذا يجب أن تكون - نقطة انطلاق نحو تجديد جديد، ينفي الخَبَث وينقِّي المعادن، وللنية الصالحة في ذلك دور كبير ﴿**إن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ**﴾ [**الأنفال**: ٧٠].

وأخيراً نقول: المناهج أبنية، تتفاوت في سلامة قواعدها، وصلابة أعمدتها ورحابة مرافقها، وهي تحتاج بشكل دائم إلى صيانة وتجديد، وإلى إشراف وتقويم. وتقويم الأبنية الدعوية وترميمها وإصلاحها أوْلى من التوالي في هدمها بعد بنائها، فتلك طريقة مَرَضيَّة غير مَرْضية، يولع بها بعض المعجبين بعادة (خرقاء مكة)[1] التي أنزل الله - تعالى - في أمثالها قوله

(١) هي امرأة كانت معروفة بمكة تقوم بغزل الخيوط في نسيج محكم ثم تنقضه؛ ثم تنسجه ثم تنقضه، انظر تفسير الطبري، ج ١٤، ص ١١٠.

ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢]. فهذا الإنكاث هو أخطر مظاهر الانتكاس والارتكاس.

وحتى لا يكون الكلام ملقىً على عواهنه، أذكر بعضاً من مظاهر الانتكاس الدعوي الذي تتعرض له بعض القضايا والمفاهيم والثوابت بشكل متدرج، تحت مسمى: المراجعات، وسأكتفي الآن بالإشارة إليها اختصاراً، حتى تتيسر الفرصة ـ بإذن الله ـ للتعرض لها أو لبعضها تفصيلاً، فمن ذلك:

- الاضطراب الجديد في المواقف من النظم العلمانية ورموزها وأحزابها وطروحاتها الفكرية وأساليبها العملية.

- التغير المتردد في المواقف من الفرق المبتدعة ومفاصلتها ورفضها وطرق التعامل معها.

- التحول المتسلل إلى مفهوم الجهاد، ومحاولات تفريغه من مضمونه الشرعي إلى مضامين أخرى قد تصلح لغيره ولا تصلح له.

- التخلي المتزايد عن التعاطف العملي مع قضايا المستضعفين والأقليات بدعوى السآمة من إضاعة الجهود فيها.

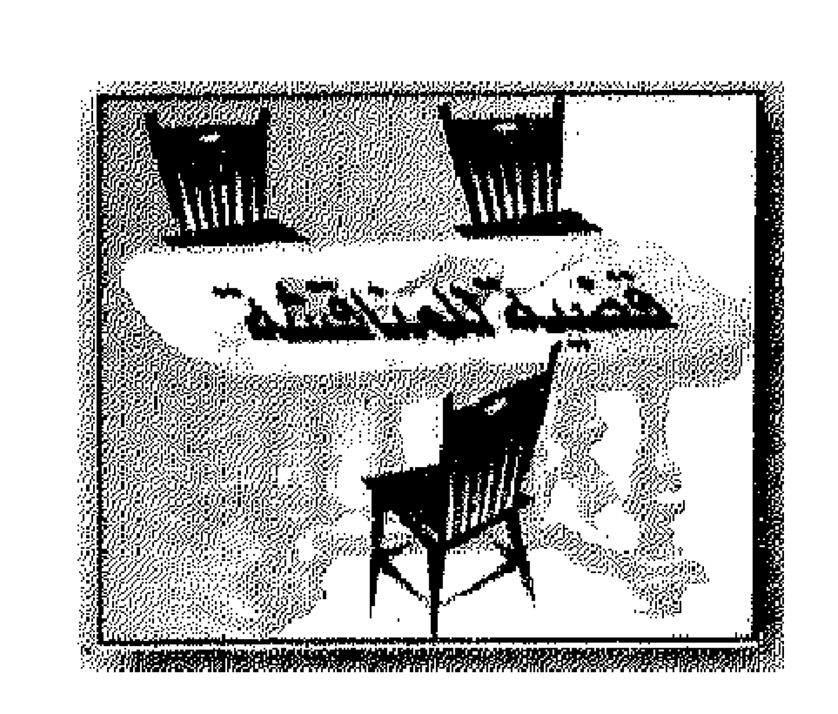
- التميع الطارئ في التعامل مع كثير من المسائل الكبرى التي كانت تمثل أهدافاً استراتيجية لدى الكثيرين حتى وقت قريب، مثل: السعي إلى الوحدة الإسلامية، أو توحيد فصائل أهل السنة، أو السعي لإقامة كيان حقيقي لهم تمهيداً لإقامة أو إعادة دولة الخلافة.

- التراجع المستمر أمام هجمة الإعلام الشرسة ضد الإسلاميين، إلى حد تحرج بعضٍ من الانتساب لمنظومة العمل الإسلامي، أو الخجل من استعمال المصطلحات الشرعية التي تزعج أعداء الدين مثل: الموالاة والمعاداة، والإيمان والكفر، والمعروف والمنكر، والتحاكم لله، والجهاد في سبيل الله، ونحو ذلك.

- وأخيراً: تعريض قضايا حساسة جداً في العمل الإسلامي لفوضى التصريحات والشعارات والطروحات غير الناضجة، وإعادتها إلى نقطة البدء، بعد أن كانت قد استقرت إلى وضع مقبول بين غالبية الفصائل العاملة للإسلام، مثل قضايا الحكم والتحاكم، والموقف من العلمانية، ومسألة العمل الجماعي ومشروعيته، ووسائل الدعوة وأساليبها، ومسائل الهدي الظاهر وضوابطها، والموقف من وسائل الإعلام المعادية للدين، والموقف من علماء السلطة ورموز ما يسمى بـ (التنوير) ونحو ذلك من المسائل والقضايا.

ولعل الله ـ تعالى ـ ييسر على صفحات (البيان) الغراء، تجاذب الحديث حول هذه القضايا، قضايا المراجعات، في مطارحة لا تخلو من المصارحة....

والله من وراء القصد.



رؤية في مسيرة العمل الإسلامي

خالد أبو الفتوح

abulfutoh@hotmail.com

بعد أكثر من سبعين عاماً من عمر الحركة الإسلامية المعاصرة حققت فيها الحركة إنجازات وإخفاقات لا يستهان بها.. لا تزال التساؤلات مطروحة والرؤى متعددة حول مسيرة العمل الإسلامي، منها: منهجية التغيير التي ينبغي سلوكها، ويدخل تحت ذلك: جدلية العلاقة بين القيادة والقاعدة، وإطار العمل الأكثر حيوية وإفادة، وكذا: دور الفرد العادي والوعي الشامل في هذه المسيرة.

فالناظر في واقع الأمة الإسلامية وكذلك في واقع الصحوة يرى معالم واقعية تعطي النقاط السابق ذكرها أهمية متنامية.

فالمتربصون بالأمة وبالصحوة كثيرون، والصراع بين الأطراف معقد، والمصالح متشابكة إن لم تكن متعارضة.. كما أن عدم الوعي الذي قد يؤدي إلى الانحراف بمسار كثير من التوجهات التي قامت عليها الدعوات الإصلاحية ودعا إليها روادها الأوائل، أو استخدام بعض هذه الحركات من غير وعي منها في ضرب الدعوة عامة لخدمة أهداف الأعداء في المدى البعيد ثم الانقضاض على هذه الحركات المستخدمة بعد ذلك، أو الإصرار على المضي في مسار خاطئ رغم ظهور خطئه بسبب صعوبة القبول بمظهر المتراجع على القائد أو ضغط الأتباع للمضي في هذا المسار، أو شيوع السلبية انتظاراً للمنقذ المخلِّص الذي سيقلب المعادلات الاجتماعية والسياسية، أو سرقة جهود الإسلاميين وقطف غيرهم ثمار جهودهم... إلى غير ذلك من مظاهر ملموسة في تاريخ الأمة والصحوة وواقعهما.. كل ذلك شائع متكرر، ولك أن تنظر في بدايات ومآلات نماذج، كثورة الجزائر، والمقاومة الفلسطينية للاحتلال الصهيوني، وكذلك الجهاد الأفغاني، وتطور الأحداث في الجزائر قبل الانتخابات الشهيرة وبعدها، وحركة التحرير الفلبينية[1]... لتتأكد أن القائمة طويلة ومفتوحة لتكرار هذه الحالات المؤسفة.

فلماذا ينجح الأعداء في تملك زمام المبادرة وتحويل المسار حيث مصالحهم، بينما يخفق أصحاب التوجه الصحيح في الحفاظ على مكاسبهم والتنبه لانحراف المسار أو لسرقة الآخرين لجهودهم؟

إذا اعتبرنا النماذج المذكورة سابقاً خلفية لهذا التساؤل فإن الإجابة عليه تدعونا إلى مناقشة شأن مهم في تاريخ الأمة ومسيرة الصحوة، أعني بذلك: جدلية العلاقة بين القيادة والقاعدة، ومكانة تأثير كل منهما في الآخر، وأهمية ذلك التأثير، وأيضاً: أهمية

(١) هناك نماذج أخرى لم تكن إسلامية خالصة، ولكن تحولت مساراتها أيضاً نحو تفريغ أهدافها واستغلال عدم وعي الأتباع: كالثورة العربية الكبرى، وثورة سنة ١٩١٩م بمصر، والثورة الإريترية...

تنمية وعي الأمة وتفعيل إرادتها(1).

جدلية العلاقة بين القيادة والقاعدة:

أما الأمر الأول، وهو: جدلية العلاقة بين القيادة والقاعدة، فكثير من فصائل الحركة الإسلامية شخّص الأزمة التي تمر بها الأمة على أنها أزمة في القيادة، سواء في توجهاتها أو في قدراتها أو في شرعيتها، ومن ثم: توجهت جهود الإصلاح - حسب هذه الفصائل - إلى التأثير في هذه القيادة، سواء في إرشادها، أو في إنمائها، أو في قلبها واستبدالها، كما توجهت بعض هذه الجهود نحو إيجاد كيان جماعي بديل يخرج من تحت ظل القادة والمقودين، في الوقت الذي ركزت أدبيات بعض فصائل الحركة الإسلامية على الدور المحوري لـ (القائد) وضرورة العمل من خلال إطار تنظيمي عضوي، في مقابل تهميش دور الفرد في التغيير والإصلاح... وعليه: فقد قامت تصورات متباينة عن آلية حركة التغيير، ثم تشتت جهود السعي إلى التغيير مناحيَ شتى حسب تصور كل حركة عن مكمن الداء.

مجال النقاش:

وبدايةً فإن أحداً لا يستطيع إنكار أهمية وجود القيادة والعمل الجماعي، ولكن ما درجة هذه الأهمية؟ وهل يتوقف العمل المثمر على ذلك العامل؟ وهل مجرد وجود هذه القيادة الواعية المخلصة والعمل التنظيمي العضوي يذلل الصعاب، ويحل المشكلات تلقائياً؟ وما القيادة والعمل الجماعي المقصودان؟ وما مدى الأضرار التي قد تسببها قيادة غير واعية أو غير مخلصة؟ وإذا غابت القيادة الموجِّهة والإطار الجماعي التنظيمي، أو لم يتفق عليها، ألا من سبيل للتغيير؟

مرة أخرى نحرر محل النقاش، وهو أننا لا نناقش أهمية القيادة والعمل الجماعي؛ فهذا أمر مفروغ منه، جاء الإسلام بالحث عليه نصاً وإشارة، ولكن الذي نناقشه هو: إذا كان من هذه الإشارات الترغيب في أداء الصلاة جماعة، فهل أوقف الإسلام أداءها على هذه الصورة بحيث لو لم تتحقق لسقط العمل بها؟ وهل ندب إلى الجماعة في أركان الإسلام الأخرى إذا لم تحدث اتفاقاً، أم تركها لتمارس بوصفها عملاً فردياً؟

نطرح هذه التساؤلات بشكل آخر: **هل تعيش مجتمعاتنا أزمة قائد أم محنة أمة؟**

قائد عظيم، ولا إقلاع:

- نجيب على هذا التساؤل: أولاً، بإيراد نماذج لقادة لا يُختلَف على عظمتهم، ولكن متبوعيهم لم يكونوا على المستوى المطلوب من التجرد والوعي والإرادة، فلم يستطع هؤلاء القادة الإقلاع بهم نحو الهدف المنشود:

● فموسى - عليه السلام - كان رسولاً نبياً، بل من أولي العزم من الرسل، وكان كليم الله، وقد شد الله أزره بأخيه هارون - عليه السلام - واستطاعا بتوفيق الله أن يواجها الطاغية فرعون وينقذا بني إسرائيل من القهر والذل الذي كانوا يعيشونه، ولكن الخروج بهم من مصر لم يتبعه خروج إلى حمل الرسالة المنوطة بهم من تقديس الله - عز وجل - وبسط سلطانه في الأرض المباركة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، فلننظر إلى مواقفهم بعد خروجهم من مصر ومعاينتهم للآيات البينات:

- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١].. ارتباط بالأرض والشهوات.

- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].. تطاول وجرأة على الله ورسله، واشتغال بما لم يكلفوا به.

- ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً

---

(1) لن نتطرق في هذا المقال إلى الحديث عن اختيار أصحاب القدرات القيادية وتنميتهم، أو ما يعرف بـ (فن صناعة القائد)، فذلك مجال آخر يستحق إفراده بالكتابة، وعسى أن يكفينا بعض أهل التخصص والخبرة عن الخوض فيه.

جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨].. انبهار بالمظاهر، وعبادة غير الله.

- ﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].. دونية وتبعية نفسية للآخرين، واستهانة بأقدس مقوماتهم وهو توحيد الله عز وجل.

- وعندما أمروا بالتحرك للتمكين لهذا الدين، وقال لهم موسى - عليه السلام -: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]، كان رد فعلهم أن: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].. جبن، وسوء خلق مع الله ورسله.

ولكن بني إسرائيل دخلوا الأرض المقدسة بعد نحو أربعين عاماً تحت قيادة نبي آخر هو يوشع بن نون، فما الذي تغير؟ لم تكن القيادة الجديدة أفضل من موسى وهارون - عليهما السلام - ولكن الذي تغير هو خروج جيل جديد أثناء سنوات التيه (أربعين سنة في دروب الصحراء) في بيئة مختلفة عن بيئة القهر والذل والارتباط بالدنيا وعبادة الأوثان التي عايشتها الأجيال الأولى تحت سلطان فرعون[1]؛ فالذين خرجوا من مصر كانوا في الحقيقة أمة معوِّقة وحملاً مثقلاً لقائد عظيم، بينما انطلق من أرض التيه فئة متيقنة بلقاء الله تعرف سنن الله في تدافع الناس، وتطلب منه وحده الصبر والثبات والنصر.. انتصرت هذه الفئة رغم قلتها ومع قائد على درجة أقل من سابقه.

أي: كانت المعوقات التي في بني إسرائيل أكبر أثراً في التغيير من عظم إمكانات قيادة موسى وهارون - عليهما السلام - بينما نهض وعي الفئة الجديدة، وإخلاصها لله، وإرادتها الجازمة، بإمكانات يوشع بن نون الأقل في العظمة مقارنة بموسى وهارون عليهما السلام.

● ومن ذلك: حالة النجاشي بعد إسلامه؛ فقد كان محققاً لما يطمح إليه كثير من فصائل الحركة الإسلامية المعاصرة، كان ملكاً يسيِّر دولة وفي يده مقاليد الحكم، ولكنه لم يستطع القيام بدور يتناسب مع حجم سلطاته؛ وذلك لأن قومه لم يكونوا مؤهلين لقبول هذا التغيير.. وقد يقول قائل: إن قومه كانوا نصارى لا يؤمنون بهذا الدين، ولكن هذا ليس محل تأثير في موضوعنا؛ فقوانين النهوض، والإرادة في حمل رسالة، والدفع بالسنن التي يتم بها التغيير.. لا تتبدل بمجرد تغير دين الأفراد، ونحن نبحث في العامل المؤثر في التغيير من خلال جدلية العلاقة بين القائد والأمة، ولكي يتضح هذا العامل أكثر نذكر نموذجاً لا يتطرق إليه احتمال هذا الاعتراض المذكور.

● هذا النموذج هو ما سجله التاريخ الإسلامي في الفتنة التي وقعت بين المسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، وأعني بذلك: المواجهة التي حصلت بين أهل العراق بقيادة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وأهل الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - فعلي لم يكن أقل إخلاصاً ولا كفاءةً ولا شجاعة من معاوية، بل كان أفضل منه وأسبق، ولكن الفارق كان في الأتباع؛ فقد شاع في غالب معسكر علي - رضي الله عنه - روح التفتيت والخروج من الصف والتطاول وعدم الطاعة، فكانت حياته معهم محنة شاقة رغم ظهور رغبتهم في الاستقامة وطلبهم للإصلاح بدعوى الحرص على الدين، ولكن ذلك شكَّل صورة ونموذجاً للوعي الزائف، بينما امتاز معسكر معاوية بالانتظام والسمع والطاعة، فصبت روافد جهودهم في نهر واحد جرى في نهاية الأمر لصالحهم، وهذا ما أشار إليه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بقوله - مخاطباً أتباعه -: «وإني والله لأحسب أن هؤلاء القوم

(١) أشار إلى هذا المعنى أيضاً ابن خلدون في مقدمته، انظر المقدمة، جـ١، ص ١٥٠، ط. المكتبة التجارية.

سيظهرون عليكم، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم إمامكم وطاعتهم إمامهم، وخيانتكم وأمانتهم، وإفسادكم في أرضكم وإصلاحهم...»[1]، وهكذا لم يغن القائد العظيم عن أتباعه غير المؤهلين شيئاً في إحداث التغيير والتمكين[2].

قيادة، ومثالب:

- ونجيب على التساؤل: ثانياً، بإيراد بعض نتائج غياب الوعي في الأمة، وتعلق آمال التغيير على مجرد وجود قائد مخلص فذ، ثم الالتفاف حوله وانتظار توجيهاته، فمن هذه النتائج:

● سلبية الأفراد ووقوفهم حائرين مكتوفي الأيدي نتيجة استصغارهم لدورهم والإمكانات التي في طاقتهم؛ وذلك لأنهم ينتظرون توجيهات القائد المنتظر، بينما لا يعملون حتى على الارتقاء بأنفسهم ليكونوا مؤهلين للقيام مع هذا القائد بالدور المطلوب منهم في التغيير.

● وجود أرضية خصبة للمتاجرة بالشعارات التي تحلم (الجماهير) بتحقيقها، ثم إفراغ هذه الشعارات من مضمونها بعد إجهاض الدعوات الأصيلة التي ترفع الشعارات نفسها، وبعدها يمكن السيطرة على الجماهير غير الواعية وتحويلها نحو المضامين المنحرفة المستهدفة.

● تهيئة نفوس الأفراد لقبول قيادة أي فرد يحمل تطلعات الوصول والزعامة ويستطيع ملء الفراغ الموجود، بإشباع تعطش الأفراد للانقياد، وذلك يتحقق بقفز أفراد يملكون موهبة التصدر والظهور وارتداء ثوب الزعامة مع عدم تحقق مقوماتها فيهم، وأحياناً مع عدم إخلاصهم، فيسهل قياد هؤلاء القادة وتوجيههم - وخلفهم أتباعهم غير الواعين - إلى الوجهة التي يريدها الخصوم، أما في حالة كون الأتباع على ما هو مطلوب من وعي وإرادة فإنهم يكشفون مبكراً زيف هذه القيادات ويرفضونها ويضعونها في حجمها الحقيقي.

● إيجاد المناخ الملائم للاستبداد والانفراد بالرأي والتوجيه والقرار، والعمل على مصادرة الآراء الأخرى، وتحجيم أي كفاءات غير إمَّعيَّة تبرز في الساحة، أو قمعها بدعوى المحافظة على وحدة الصف، ومن ثَمَّ: يفقد الجميع إمكانات هذه الكفاءات بدل استيعابها، وذلك فضلاً عن إهمال تكوين صفوف من الكوادر القيادية المؤهلة والبديلة التي تستطيع شغل الفراغ بشكل صحيح عند غياب الصفوف الأولى لأي ظرف من الظروف.

تكوين الأمة وانحراف مسارها:

- ونجيب على هذا التساؤل: ثالثاً، بمدارسة التكوين الطبيعي للأمة صاحبة الرسالة، وعلاقة القائد بذلك التكوين، وذلك من خلال النظر في نشأة الأمة الإسلامية على يد رسول الله ﷺ، ومن ثم: نستطيع رصد الانحراف الطارئ حالياً على هذا التكوين وهذه العلاقة.

فالرسول ﷺ بعد صدعه بالحق في مشركي مكة التف حوله المؤمنون به، فأخذ يحوطهم برعايته وتربيته حتى كونوا نواة صلبة (فئة مؤمنة) لأمة واعية متماسكة، ولما كان المجتمع المكي حينها مستعصياً على التغيير المنشود اتجهت الأنظار إلى يثرب، حيث استطاع رسولُ رسولِ الله ﷺ مصعب

---

(1) البداية والنهاية، لابن كثير، جـ7، ص 328.

(2) قد يرد على هذه الأمثلة حالات أخرى يتوهم معارضتها لما تدل عليه الأمثلة المذكورة، كما في التغيير الذي حدث بتأثير قادة عظام مثل عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -، أو صلاح الدين الأيوبي، ولكن عند التأمل نجد أن مثل هذه النماذج تؤيد ما تشير إليه الأمثلة المذكورة عالياً ولا تعارضها، وذلك من حيث عودة الأحوال إلى سابق عهدها - أو أشد - من المظالم والتفلت أو التشرذم والتناحر بمجرد موت هذا القائد النموذج أو غيابه أو انحرافه، وتدبير هذا الأمر (بالاغتيال أو المؤامرات أو الإغراء) ليس بمستبعد من أصحاب المصلحة في ذلك كما حدث في موت عمر بن عبد العزيز مسموماً (انظر أخبار ذلك مسندة في سير أعلام النبلاء، 5/139 - 140) والمقصود هنا أن وجود القائد الصالح لا يمثل وحده صمام أمان ضد انحراف الأمة، بعكس وعي أفراد الأمة - أو مجملهم - الذي يمثل صمام أمان ضد انحراف القائد أو غيابه.

ابن عمير ـ رضي الله عنه ـ العمل على تكوين قاعدة قوية تصلح لانطلاق مجتمع (الأمة/ الدولة) من أرضها، وحينها هاجر المسلمون ومعهم الرسول ﷺ إلى هناك، فكانت (الأمة/ الدولة) الناشئة بقيادة الرسول ﷺ في الوطن الجديد (المدينة).

وفي ذلك نلاحظ:

● أن قيادة الرسول ﷺ لصحابته في مكة لم تكن من منطلق الزعامة السياسية والحق القانوني، بل كانت بتأثير (القرآن)، عن طريق الدعوة والتربية؛ فعلى الرغم من وجوب طاعته ﷺ المطلقة، وعلى الرغم من توجيهه ﷺ لصحابته بما يدفع بالدعوة والمؤمنين بها في المسار الصحيح، إلا أننا نلاحظ أن الرسول ﷺ لم يضع نفسه في موقع صاحب السلطات في هذه المرحلة، فلم ينقل عنه ﷺ أنه أمر العبيد المسلمين بالتمرد على أسيادهم المشركين أو اغتيالهم، وإنما كان يأمرهم بالصبر، ويعمل على رفع البلاء عنهم بالوسائل المتاحة والمتعارف عليها في المجتمع المكي، كما لم ينقل عنه ﷺ أنه أمر الأزواج المسلمين بالانفصال عن أقرانهم...، وكان الخط العام في هذه المرحلة أقرب إلى عدم السعي للانفصال العضوي عن المجتمع، كما أنه ﷺ لم يستخدم نفوذه في تطبيق نظم تتسم بصفة السلطة على المؤمنين به حينها، فلم ينقل عنه ﷺ أنه أمر بالتزامات مالية تؤدى في هذه المرحلة، كما لم ينقل عنه ﷺ أنه سعى في رد عبيد الله بن جحش أو معاقبته عندما ارتد إلى النصرانية أثناء هجرة المسلمين إلى الحبشة، وكذا: لم ينقل عنه معاقبة من ارتد بعد الإسراء والمعراج(1)، فلحكمة ما اقتصر الرسول ﷺ على التوجيه من خلال تأثير الإيمان والتربية (القرآن) ولم يستخدم (سلطات) القائد في هذه المرحلة.

كما أن سيرة المصطفى ﷺ توضح أنه خاطب الأفراد عندما كان فرداً، وخاطب الطوائف والجماعات عندما كان فئة، وخاطب الدول والملوك عندما كان للمسلمين دولة، فلم نجد له ﷺ خطاباً إلى ملك من الملوك في المرحلة المكية رغم أنه بُعث للعالمين بالنص القرآني المكي ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1](2)، وفي ذلك إشارة إلى أهمية عدم القفز على المراحل وتخطيها قبل نضوجها.

● كما يلاحظ أن انتقال رسول الله ﷺ والمسلمين إلى المدينة لإقامة مجتمع (الأمة/الدولة) الإسلامية لم يكن خارقاً لسنن التغيير، بل جاء بشكل طبيعي وفق سنة من سنن الله الكونية في التحول من مرحلة وسيطة إلى أخرى، هي سنة البرزخية؛ حيث توجد بين المرحلة المنتقل منها والمرحلة المنتقل إليها مرحلة وسيطة لا تنتمي إلى هذه ولا إلى تلك، وفي الوقت نفسه: تحمل بعض ملامح المرحلة السابقة وبعض ملامح المرحلة التالية، والبرزخية (الزمانية أو المكانية أو الفيزيائية.. أو الاجتماعية) سنة كونية سارية في شتى نواحي الحياة التي تتعلق بالانتقال، فالوقت بين طلوع الفجر وشروق الشمس برزخ بين الليل والنهار، والوقت بين المغرب والعشاء برزخ بين النهار والليل، والربيع برزخ بين الشتاء والصيف، والخريف برزخ بين الصيف والشتاء، ووادي محسر برزخ بين منى ومزدلفة، وعرنة برزخ بين عرفة والمشعر الحرام، والنعاس برزخ بين اليقظة والمنام، وسكرات الموت برزخ بين الحياة والموت، والقبر برزخ بين الدنيا والآخرة، والشبهات برزخ بين الحلال والحرام، والتمييز برزخ بين الطفولة والبلوغ، وغليان السوائل

---

(1) خبر ارتداد بعض المسلمين بعد الإسراء والمعراج جاء في أحاديث صحيحة، فمن ذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرك (3/62-63) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح/306.

(2) هذا الملمح في سيرته ﷺ هو ما دعا بعض المستشرقين للزعم بأنه ﷺ أضاف إلى دعوته صفة العالمية بعدما وجد الفرصة مواتية، وكتبوا في هذا الزعم بالنص القرآني المكي المذكور، والصحيح: أن هذا السير في خطوات الدعوة والدولة هو ما تمليه طبيعة سنن التغيير والتمكين للدعوات.

برزخ بين الحالة السائلة والحالة الغازية.. ويطول الأمر إذا أردنا رصد حالات البرزخية باعتبارها سنة من سنن الله الكونية في التغيير، ولكن الذي يهمنا هنا أن تحول المجتمعات من حال إلى حال يخضع أيضاً لبرزخية اجتماعية، وهذا ما نراه في تكوين المجتمع الإسلامي في المدينة، فقد تمثلت هذه المرحلة البرزخية في الفترة الممتدة من بيعة العقبة الثانية وحتى الهجرة النبوية المشرفة؛ حيث أثمرت جهود الرواد الأوائل من المسلمين بالمدينة - رضي الله عنهم - في تغلغل الإيمان والتربية الصحيحة في هذا الوطن الجديد للمسلمين، حتى إنه لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، أي: أصبح في المدينة مجتمع يحمل رسالة في الحياة، يتطلع إلى قائده الطبيعي للانطلاق به نحو تطبيق هدف هذه الرسالة، وهنا انتقل الرسول ﷺ والمهاجرون إلى المدينة لتأسيس المجتمع الجديد على الأسس الجديدة بعد التهيؤ لهذه المرحلة.

● الملحوظة الثالثة نستخلصها من الملحوظتين السابقتين: وهي عن رصد آلية تكوين الفئة[1] ثم تحولها إلى مجتمع أمة/ دولة، وعلاقة ذلك التكوين والتحول بموقع القائد من القاعدة.

فالأمر يبدأ بدعوة داعية - أو دعاة - إلى مبدأ يؤمن به ويضحي من أجله، ويكون في هذا الداعية من مؤهلات التأثير ومقوماته ما يمكنه من جذب بعض الأفراد للإيمان بما يدعو إليه، وهنا تبدأ مرحلة تكوين الفئة، حيث يربي صاحب الدعوة المؤمنين بها تربية مكثفة، وغالباً ما يكون هؤلاء المؤمنون على درجة عالية من الإخلاص والإرادة، وهذا ما مكنهم من الإيمان بشيء جديد غريب يخالف المألوف ومواجهة الملأ أصحاب المصلحة في استمرار هذا المألوف القديم، ويكون موقع القائد (الداعية) في هذه المرحلة هو موقع القطب صاحب التأثير والجاذبية، فتنجذب حوله عناصر القاعدة (الفئة) وتتلقى منه راغبة مختارة؛ فالقيادة هنا قيادة طبيعية غير مفتعلة، والسلطان الذي تحمله هو سلطان الإيمان وأثر التربية.

في حالة نجاح الدعوة وانتشارها فإن المؤمنين بها يتطلعون إلى تجسيد ما يؤمنون به والانطلاق بالرسالة التي يحملونها، وهنا يبحثون عن فئة أخرى تنصرهم وتؤازرهم، أو عن وطن يستوعب تحولهم الكامل من فئة أخرى إلى أمة، إن لم ينصرهم مجتمعهم ولم يستوعبهم وطنهم الأصلي، كما أنهم يعملون على إقامة نظمهم ومؤسساتهم التي يطبقون عن طريقها المبادئ التي آمنوا بها، فيقيمون في مجتمعهم الجديد دولتهم المأمولة، وعند ذاك تظهر حاجتهم إلى قائد بصلاحيات جديدة (صلاحيات الدولة) يحمل سلطاناً إضافياً هو سلطان السلطات[2]، فيذعنون لأقدر من يمثل مبادئهم وينطلق بالرسالة التي يؤمنون بها (الذي كان في صدر التاريخ الإسلامي: رسول الله ﷺ [3]، والخلفاء الراشدون الأربعة).

عندها تتحد الدعوة بالدولة (القرآن بالسلطان) ويكون معيار النجاح هو قدر المزج المنضبط بينهما للمحافظة على استمرار المجتمع كـ (أمة/ دولة) صاحبة رسالة، حيث لن تحمل الأجيال اللاحقة الزخم نفسه من الإيمان والتربية التي تربى عليها الجيل الأول من المؤمنين، كما أن الانتشار

---

(١) يقول أبو هلال العسكري: الفرق بين الجماعة والفئة: أن الجماعة هي الجماعة المتفرقة من غيرها... ثم قيل لجمع كل من يمنع أحداً وينصره فئة، وقال أبو عبيدة: الفئة: الأعوان، (الفروق في اللغة) ص٢٧٢.

(٢) أشار ابن خلدون إلى هذا المعنى، حيث يقول: « ... وهذا التغلب هو المُلك، وهو أمر زائد على الرئاسة؛ لأن الرئاسة إنما هي سؤدد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في أحكامه، وأما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر».(المقدمة، ج ١، ص ١٤٨)، وهذا بالضبط ما يطلق عليه القانونيون المحدثون: سلطة القهر، وهي عندهم من خصائص الدولة.

(٣) يلاحظ أن حقد رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ ابن سلول على رسول الله ﷺ، كان أحد أسبابه أن هجرته ﷺ إلى المدينة سلبت من ابن سلول المكانة والصلاحيات التي كانت تهيأ له باعتباره ملكاً على الأوس والخزرج.

السريع والواسع سيضخم كتلة الأمة بإضافة عناصر كثيرة لم تتح لها فرصة التربية الكافية، وربما لم تنهل من الإيمان الصافي بالقدر الكافي، وهذا ما حدث في الفتوحات السريعة الواسعة في العصور الإسلامية الأولى.

وفي هذا السياق نستطيع فهم القول المنسوب إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»، فلقد قالها - إن كان قالها ! - في وقت هو قائد أمة / دولة، وليس في مرحلة تكوين فئة / أمة، فكان لا بد أن يحافظ على هذا التوازن ليسير المجتمع المسيرة الصحيحة.

وهنا نفهم أيضاً لماذا لم يستخدم - رضي الله عنه - سلطات السلطان في فتنة مقتله ومنع الصحابة الذين حوله من التصدي بالقتال لمن يحاصرونه؛ فليس ذلك لمجرد حقن دماء المسلمين فقط؛ فهو أول من يعلم - رضي الله عنه - أن قتال الفئة الباغية من الدين، ولكن هذا المنع - في نظري - لأن ذلك التقاتل كان سيؤدي إلى سقوط من تبقى من صفوف القيادات المستقبلية للمسلمين، وهو أمر سيقضي على الدولة (السلطان)، وهذا واضح من إصراره الشديد - رضي الله عنه - على خروج كبار الصحابة من داره وطلبه عدم اشتباكهم مع المتمردين، ومن قوله لمندوب المتمردين: «أمّا خلعي، فلا أترك أمة محمد بعضها على بعض» [1]، كما أن آفة جماهير المتمردين عليه كانت نقص أثر (القرآن) وعياً وتربية فيهم، وهذا واضح في سيرتهم، وهو ما مكن اليهودي ابن سبأ من استغفالهم وقيادهم، فآثر عثمان - رضي الله عنه - أن يضحي بنفسه على أن يضحي بالأمة والدولة.

مسيرة الانحراف:

ولنرصد الآن الانحراف الذي طرأ على هذا التكوين وهذه العلاقة:

- أثقلت الأمة بتضخم كتلتها البشرية فجأة، ولم تسعفها الإمكانات ولا الوقت لتربية المسلمين الجدد التربية الإيمانية المطلوبة.

- نشأ عن ذلك تضاؤل نسبة الوعي بالرسالة وأهدافها وسنن التغيير والإصلاح، كما قلَّت نسبة المتحمسين أصحاب الإرادات والهمة العالية.. (تضاؤل أثر القرآن).

- تعويضاً لأثر ذلك التضاؤل: ارتفعت نسبة السيطرة والتوجيه عن طريق سلطات الدولة وأجهزتها.. (تعاظم شأن السلطان).

- بدأ ظهور ضمور وعي الأمة عند نقض عروة الحكم، وسوف يكتمل بنقض عروة الصلاة (لينقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن الحكم وآخرهن الصلاة)[2]، لأن الوعي ينحسر من الدائرة الأشمل إلى الدوائر الفردية الأضيق، بعكس نشأته وتكوينه.

- نتيجة تضاؤل الوعي (كمّاً وكيفاً) في الأمة: شاع فيها على نطاق واسع القابلية للاستغفال والاختراق والجمود.

- وحسب قاعدة (كما تكونوا كذلك يؤمر عليكم)[3] والنبوءة الصادقة (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..)[4] كان يتولى القيادة أمراء فيهم من نسبة التمثل بـ (القرآن / السلطان) بقدر ما في الأتباع من نسبة الإذعان لـ (القرآن / السلطان)، وكان هذا الخط يسير باتجاه الخلافة الراشدة، فالملك العاضّ، فالملك الجبري[5].

- كان يسير ملتحماً مع هذا الخط خط آخر

---

(١) انظر: العواصم من القواصم، لابن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، ص ١٢٩ - ١٣٤، وانظر تعليق الخطيب، ص ١٣٧.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي (٥/ ٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ح/ ٥٧٦.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (ح/ ٧٣٩١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (ح/ ٤٢٧٥)، وفي معناه قوله - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، وانظر في إيضاح ذلك كلام محمد رشيد رضا في تفسير المنار (٨/ ١٠٢)، وانظر أيضاً: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، ١٤/ ١٥٥.

(٤) أخرجه البخاري، ك/ الرقاق، ب: ما يحذر من زهرة الدنيا.

(٥) ترتيب هذه المراحل عن حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - الذي رواه أحمد بن حنبل (٤/ ٢٧٣) وحسنه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح/ ٥)، وأوله: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون... ».

باتجاه افتراق القرآن عن السلطان، إلى أن تم الاستغفال شبه التام، فحدث الافتراق شبه الكامل بين القرآن والسلطان على يد الدعاة على أبواب جهنم، في الوقت الذي انحدر فيه وعي الأمة وإرادتها نحو المرحلة الغثائية.

صور من مسيرة العمل الإسلامي:

وبعد أن ظهرت الصحوة وبدأت الرغبة في الخروج من هذه المرحلة الغثائية ظهر السؤال: كيف السبيل لإصلاح الخلل الذي حدث في هذا التكوين وهذه العلاقة؟

على أرض الواقع رأينا سبلاً عدة، ولكن الذي يعنينا هنا هو محاولة التغيير عن طريق التأثير في مركز القيادة الحالية؛ بناءاً على تصور مؤداه أن انحرافها هو الأكبر أثراً في الانحراف بالأمة، ومن ثَمَّ: فإن التأثير في هذه القيادة - بإرشادها، أو قلبها واستبدالها - سيكون نقطة التحول إلى التغيير الأفضل - حسب هذا التصور -، وترتب على ذلك: أن بعض الفصائل ركزت عملها في التغيير على أحد سبيلين: الأول: محاولة الوصول بالطرق السلمية و(المشروعة قانوناً) أو بالمنازلة السياسية إلى موقع يمكِّنهم من التأثير على مركز القيادة الحالية أو المشاركة في السلطات المؤثرة، والآخر: محاولة إزاحة أشخاص القيادات الفعلية أو الأنظمة بأساليب العنف والمنازلة العسكرية (الجهاد المسلح).

وإذا تجاوزنا البحث في مدى واقعية هذين السبيلين وسجل التجارب غير الناجحة فيهما فإننا لا نستطيع تجاوز الاعتبارات الآتية:

أولاً: أن البحث في سبل التغيير لا يقتصر على مجرد البحث في حلِّ عمل معين أو حرمته (كالمشاركة في حكومات علمانية أو دخول برلمانات أو القيام باغتيالات أو الاستيلاء على أموال..) فهو يشمل مع ذلك البحث: موازنة المصالح والمفاسد، واستقراء السنن الربانية في التغيير، واستجلاء المنهج النبوي في إقامة المجتمع المسلم، إضافة إلى دراسة خصوصية الواقع المعاصر دراسة موضوعية.

ثانياً: أن المسلم يتعبد لله - عز وجل - باتباع منهج نبيه ﷺ في التغيير، وكما أنه يعمل على عودة الخلافة على منهاج النبوة في تطبيق القيم والأحكام؛ فإنه ينبغي عليه أن يحرص على أن تكون عودة هذه الخلافة من خلال منهاج النبوة في النشأة والتكوين والتغيير أيضاً[1]، كما أن المسلم مطالب عندما ينفصل القرآن عن السلطان بأن يقترن بالقرآن (.. ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب...)[2].

ثالثاً: أن الاستمرار في هذه المحاولات للقفز إلى السلطة مع عدم التقدير الصحيح لإمكانات أطراف

---

(١) غالى بعض العاملين في الحقل الإسلامي في هذا الاتجاه، فتصور أننا لا بد أن نعيد المرحلة المكية بكل ما فيها، ولا شك أن ذلك خطأ ظاهر، فهو بذلك يهدر أربعة عشر قرناً من عمر الأمة، كما أن الواقع المكي يختلف بلا شك عن واقع المحنة الذي تعيشه الأمة الآن.

ولكننا في الوقت نفسه نسجل ملحوظتين تجعلنا نهتم بالبحث في طبيعة هذه المرحلة وما تلاها:

أولاهما: أن التشوهات العقدية والسلوكية التي أحدثتها على مدى السنين الفرق والمذاهب المنحرفة (القديمة والمعاصرة) في الأمة جعلت الدعوة إلى الإسلام النقي الشامل وكأنها دعوة جديدة؛ حيث لم يألف الناس العيش في ظل الإسلام ومن خلاله بلا دخن، فغربة الإسلام الصحيح قاسم مشترك بين المرحلتين الزمنيتين، وإن لم تكن بالدرجة نفسها.

ثانيهما: أن الدافع من وراء دراسة هذه المرحلة هو كشف طبيعة الحركة الصحيحة للدعوة عموماً، ثم بعد ذلك ينبغي أن نضع أنفسنا من هذه الحركة الصحيحة حسبما يقتضي الواقع، ومثل ذلك كقطار انطلق من نقطة ما، وبعد زمن أخذت مسيرته تتعثر إلى أن توقف، فمن قائل: إنه توقف لفساد قائده، وآخر يقول: لنفاد الوقود، وثالث: لعطب في أجزائه أو محركاته، ورابع: لثقل العربات التي يجرها... ولكي يستأنف القطار مسيرته فلا بد أن يكون فريق الإصلاح على علم كامل بأسرار وقوانين وخصائص سير هذا القطار التي بها تمكن من الانطلاق أول مرة، ومن ثم يبحثون عن موطن الخلل الحقيقي ثم يعملون على تداركه وإصلاحه.

(٢) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٩٠) والصغير (١/ ٢٦٤) ومسند الشاميين ١/ ٣٧٩ (ح/ ٦٥٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٢٨ و٢٣٨) وذكر أن فيه انقطاعاً، وذكره أيضاً ابن حجر في المطالب العالية (ح/ ٤٣٤٨)، وقال محققاه (٥/ ٩ ط.الوطن): «قال البوصيري (١٠/ ١٨ه رقم ٨٥٢٥): رواه إسحاق بن راهويه عن سويد بن عبد العزيز المديني، وهو ضعيف، ورواه أحمد بن منيع ورواته ثقات، ولفظهما واحد».

الصراع ومواقعها يستهلك جهود العاملين في الحقل الإسلامي مع استمرار قناعتهم بأنهم يبذلون تضحيات وجهوداً مشكورة في سبيل هذا الدين، بينما الحقيقة أنهم كمن يجري على سير جهاز للتخسيس، يحرق سعراته الحرارية ولا يغادر مكانه، وقد يغذي الأعداء هذه المحاولات بتخطيط ومكر بهدف إلجاء الحركة الإسلامية إلى الدخول في نفق (الإجهاد المفضي إلى الإجهاض)، وقد يحرصون على جر الدعاة وأتباعهم إلى محاور جانبيه وإثارة قضايا جزئية، تكون بمثابة الراية الحمراء التي يستثير بها مصارع الثيران الثور المتصارع معه؛ ليستهلك بها جهده ويوجهه الوجهة التي تمكنه من طعنه والقضاء عليه بعد هذه الاستثارة وهذا التوجيه.

رابعاً: أن في هذا المسعى محاولة لخرق سنن الله - تعالى - في التحول، وتجاوز لسنة (البرزخية الاجتماعية) كما أوضحنا سابقاً، وهذا غير مستطاع ولا ينبغي أن يطمح إليه ويعمل له؛ لعدم إمكانه وعدم واقعيته، فالواقع يشهد أن المجتمع الإسلامي في تحوله إلى حالته الراهنة مرّ بمرحلة برزخية اجتماعية طويلة، ولن يعود إلا من خلال برزخية اجتماعية معاكسة (قد تقصر وقد تطول)، هي التي نعيشها الآن، والتي قد تسمى عند بعض الكتاب (مخاضاً) وآخرون يطلقون عليها (إرهاصات) وغيرهم يسميها (يقظة) أو (صحوة)...

خامساً: أننا لو افترضنا جدلاً نجاح فصيل أو آخر في القفز إلى الحكم رأساً وتملك قيادة شعب ما، فإنه سيكون قائداً غريباً غير طبيعي، كما أنه لو أقام دولة فهناك شك كبير أن يحوِّل هذا الشعب إلى (أمة/دولة) لها رسالة تحملها وتضحي من أجلها؛ لأنه (أي: الشعب) سيعتبر أن هذه الرسالة تملى عليه، ومن ثَمَّ: سيسهل على المغرضين والمنافقين تضليل الجماهير واستعمالهم ضد هذه القيادة المفروضة عليهم؛ مستغلين أن هذه الجماهير لن تحمل الانتماء إلى قيادة لم تخرج منها، كما أن وعي هذا الشعب لن يكون في مستوى كشف الأساليب الملتوية للمنافقين.

ومن يقول: إن قيادة هذه الجماهير سهل لأنهم أتباع كل ناعق ينسى أنه قد يأتي من هو أكثر نعقاً منه فيسقطه وتتبعه الجماهير أيضاً.

بين النشوء الطبيعي والمصطنع:

وهذه النقطة تعود بنا إلى السؤال المحوري في هذا المقال: هل نعيش أزمة قيادة أم محنة أمة؟ وأيهما ينصلح أولاً: الأمة أم القيادة؟ وكيف يكون اتجاه التغيير: من أعلى إلى أسفل أم العكس؟

نبلور التطور الطبيعي لتكوين الأمة/الدولة في الآتي:

داعية ينشر دعوة تفرز طليعة (فئة) تكوِّن أمة ← تحمل رسالة ← وتقيم دولة ← تختار قائداً.

ونبلور تصور ← الشكل الآخر المخالف للتطور الطبيعي - والذي رأيناه في واقع تطلعات بعض الفصائل الإسلامية - في الآتي:

قائد يؤثِّر في نخبة ← تتحول إلى تنظيم ← يتميز عن الجماهير ← ويقفز على دولة ← تتبنى دعوة تملى على أمة.

- في الحالة الأولى: تظل جسور التواصل ممتدة بين الطليعة (الفئة) والجماهير، حيث تحرص هذه الطليعة على عدم التميز بغير ما تحمله من مبادئ وقيم[1]، لذا: فمجال الحركة أكثر انفتاحاً أمامها، كما أن أساليبها أكثر تنوعاً، وذلك رغم وضع العراقيل والعوائق أمامها، أما في الحالة الأخرى: فإن تميز التنظيم العضوي عن الجماهير - الذي يغذيه غالباً التعالي المصاحب للنفسية النخبوية - ينحرف

---

(١) في إلماحة ذكية أشار شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إلى أن مخالفة المشركين والكفار في الهدي الظاهر لا تكون إلا بعد ظهور الدين وعلوه، وأن هذا كان هدي رسول الله ﷺ، وأبان شيخ الإسلام - رحمه الله - أنه قد يعود الأمر في بعض الظروف فـ «يستحب للرجل أو يجب عليه: أن يشاركهم أحياناً في هديهم الظاهر، إذا كان في ذلك مصلحة دينية: من دعوتهم إلى الدين، والاطلاع على باطن أمرهم...» (اقتضاء الصراط المستقيم، ص١٧٦ - ١٧٧، ت/ الفقي)، وهذه الإلماحة في غاية الأهمية؛ لأن التميز بغير المبدأ الأهم في المراحل الدعوية الأولى سينشئ قضايا جانبية يدور حولها الاستقطاب أو الصراع بين الداعين والمدعوين، مما سيشوش على وضوح القيم والمبادئ الأساس التي يستهدفها الداعون، وهذا ما يساعد على الانحراف بمسار الدعوة إلى وجهة مخالفة لوجهتها الأصلية بأيدي الدعاة أنفسهم!.

بهذا التنظيم نحو **الانفصال عن الجماهير**، إما بانحراف مسار حركة هذا التنظيم، وإما بكيد الأعداء وتدبيرهم ومكرهم[1]، ومن ثَمَّ: تسهل ـ بعد التميز **والانفصال ـ المحاصرة ثم الاستئصال**، من غير أن تحس الجماهير بفقدان شيء منها، سواء أكان هذا الشيء هو عناصر النخبة والتنظيم أو المبادئ والقيم.

ـ في الحالة الأولى: تظل الطليعة متماسكة حتى وإن تعددت الرؤى داخلها؛ لأن روح التحزب والتشيع يصعب سريانها فيها، ولأن أكبر ما يهمها هو نشر الدعوة بين الناس لتعبيدهم لرب العالمين، أما في الحالة الأخرى: فلأن التنظيم عضوي قائم على الضم والطرد حسب معيار (الالتزام الحزبي) فإن الفرصة مهيأة لبروز تنظيمات أخرى تختلف مع بعضها نتيجة اختلاف الرؤى أو وجود الأهواء، ومن ثم: تكون الفرصة مهيأة أيضاً لانشغال هذه التنظيمات ببعضها، أو على الأقل: عرقلة عمل كل واحد منها لعمل الآخر من غير قصد، بل قد يستعمل الأعداء بعضها ضد بعضها الآخر.

ونود التنبيه هنا إلى أن مجرد وجود روح الحزبية المقيتة تؤدي إلى هذه النتائج السلبية نفسها، حتى مع عدم وجود هيكل تنظيم عضوي، ولكن الفرصة في ظل التنظيم العضوي تكون مهيئة أكثر لبروز هذه الروح.

علينا التذكر: أن من عوامل سقوط الأندلس: كثرة الإمارات والدويلات والتناحر بينها، وذلك ما أدى إلى ضعفهم جميعاً واستغلال الأعداء لذلك، فكان سهلاً استئصالهم دويلة إثر أخرى.

ـ قد يظهر أن الهدف (نشر الدعوة وتعبيد الناس لله سبحانه) بعيد والطريق طويل في الحالة الأولى، وهذا صحيح لأول وهلة، ولكن عند التأمل فيه نجد أنه طريق مستقيم، لذا: فهو أقصر طريق بين الهدف ونقطة الانطلاق، أما في الحالة الأخرى: فقد يبدو ـ بهذا الأسلوب ـ أن الهدف قريب والطريق قصير؛ وهذا صحيح أيضاً للوهلة الأولى، ولكن الحقيقة أن الهدف يخالطه السراب، والطريق إليه متعرج تكثر به المنعطفات والانتكاسات، لذا: فهو طريق أطول من الأول، كما أن نتيجته (القفز إلى السلطة) ليست هي المستهدفة في المقام الأول.

ـ في الحالة الأولى: يكون القائد إفرازاً طبيعياً ملائماً لأمة واعية متيقظة أثمرت فيها جهود الدعوة، فكان هذا القائد خارجاً من أسفل إلى أعلى، ومن ثَمَّ: تلتف الأمة حول اختيارها رغم الصعاب لتنطلق وتحقق الرسالة التي تحملها، ويصعب استغفالها أو سرقة خيارها أو التلاعب على مطالبها، بينما في الحالة الأخرى: يكون القائد مصطنعاً مفروضاً من القمة على القاعدة، ولذا: فهو يبسط سلطانه من خلال سلطاته فقط، ومهما كان هذا القائد فذاً فإنه لن يستطيع الانطلاق بأمة غير واعية أو ليس لها همة لتحقيق أهداف سامية، كما أن هذه الأمة يسهل استغفالها وسرقة خيارها؛ لأن فيها القابلية للاستغفال نتيجة اضمحلال الوعي.

لتوضيح ذلك نضرب مثالاً متخيلاً: فلو توهمنا أن (الحزب الشيوعي البريطاني!) استطاع أن يتسلل إلى الحكم بطريقة أو بأخرى، وأزاح الأسرة البريطانية المالكة ووضع الحكومة المنتخبة في السجون، ثم فرض تصوراته الماركسية وقمع الحريات في المجتمع البريطاني القائم على تقديس الحرية وشيوع روح الإيجابية والفاعلية المؤثرة والمشاركة في الحياة العامة...، كم من الأيام ـ بل من الساعات ـ نتصور أن يبقى في الحكم؟ ولماذا؟..

بعد التفكير في النتيجة والسبب قارن ذلك بما يحدث في بلدان أخرى من العالم!

فإذا كان الأمر كذلك فما هو البديل ـ أو الرديف ـ لأخطاء الواقع الحركي الذي نعيشه؟

دور لكل مسلم:

وهذا ينقلنا إلى الشق الآخر من الموضوع، وهو الحديث عن أهمية تنمية وعي الأمة وتفعيل إرادتها، فيمكن القول: إنه ينبغي ترسيخ مفهوم أن عمل أفراد الأمة المؤثر في التغيير غير مشروط بانتظار

---

(١) لعل هذا كان أحد أهداف مشركي قريش من وراء حصار المسلمين في الشِّعب، ولكن هذا الهدف لم يتحقق لأسباب عديدة، من أهمها: بقاء الروابط الاجتماعية القوية بين المسلمين وقومهم رغم التمايز العقدي، ووجود بقية من الأخلاق الإنسانية الراقية عند بعض كفار قريش ذوي المكانة في قومهم.

قائد أو الانضواء في إطار عمل تنظيمي عضوي، وذلك يتم إذا أمكن الارتقاء بوعي المسلم إلى المستوى الطبيعي المفترض، وهو أن للمسلم رسالة في الحياة تجاه نفسه وأسرته والآخرين لا يمكنه التخلي عنها، وأن له شخصياً دوراً ـ كبر أم صغر ـ في حركة التاريخ البشري، وأن حمل هذه الرسالة والقيام بهذا الدور ليس نافلة يمكنه التخلي عنها، بل هما من صميم الأمانة المكلف بها بصفته مسلماً؛ فالمسلم ـ بخلاف النصراني أو البوذي... مثلاً ـ لا يصح له لكي يستقيم على الجادة أن يكتفي بالاعتكاف أو الانزواء في معبد ويترك الحياة تسير كما يريدها شياطين الإنس والجن، كما لا ينبغي له حتى الاكتفاء بـ (التبشير) بالإسلام كعقيدة على مستوى الأشخاص من غير أن يكون لهذه العقيدة أثر في الواقع المعاش؛ لأنه في الحقيقة مأمور باتباع الدين كله، وفي الوقت نفسه: لأن هذا الدين يشمل الحياة كلها، كما أن عليه العمل على إظهار هذا الدين على الدين كله، وهذا لا يتأتى إلا بالحرص على التأثير في مجرى الأحداث.

وهذا ما رأيناه يحدث في سيرة الصحابة والصالحين جميعهم، ولكننا ننتقي بعض الأمثلة الواقعية التي تدلل على ما نحن بصدده، وهو العمل على رفعة هذا الدين والتغيير من أجله بما تسنح به الفرص وبالإمكانات المتاحة؛ لتصب في اتجاه رفعة هذا الدين حتى ولو غابت القيادة، **فمن هذه الأمثلة:**

ـ ما قام به أبو بصير ـ رضي الله عنه ـ عندما انفلت من مكة إلى المدينة فأرسلت قريش في إثره رجلين لرده من رسول الله ﷺ حسب بنود اتفاق صلح الحديبية، وهذا ما تم بالفعل، ولكن أبا بصير لم يستسلم ويستكن، بل تحايل ـ رغم صعوبة موقفه ـ واستولى على سلاح أحد الرجلين، ثم ضربه به بينما فر الآخر، وجاء أبو بصير إلى رسول الله ﷺ وقال له: «يا نبي الله! قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم»، قال رسول الله ﷺ: «ويل أمه، مسعر حرب لو كان له أحد!» فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف (ساحل) البحر، فكوّن مركزاً لإيواء وتجميع المستضعفين الهاربين من مكة من غير إحراج سياسي لدولة المسلمين في المدينة، ثم أخذ هذا التجمع الصغير يكبر ويغير على قوافل قريش التجارية، إلى أن أرسلت قريش إلى رسول الله ﷺ تناشده الله والرحم ضم هذا التجمع إليه، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فقدموا عليه في المدينة [1].

فأبو بصير ـ رضي الله عنه ـ ما استكان ولا رضي بواقعه، ولا استقل إمكاناته، ولا انتظر انضمامه الفعلي إلى جماعة المسلمين، ولكنه تحرك ـ وحده ـ بفاعلية وإرادة نحو هدفه.

ـ المثال الثاني وقع بعد إعلان سقوط إعلان الخلافة العثمانية على يد أتاتورك وزمرته من أعضاء حزب الاتحاد والترقي؛ حيث اندلعت في تركيا احتجاجات واسعة واجهتها الحكومة الجديدة بالقمع والتنكيل، ثم منعت تدريس الدين في المدارس، فحث الشيخ سليمان حلمي طوناخان الناس على مخاطبة الحكومة باستعدادهم لتحمل تكاليف تدريس الدين لأبنائهم، ولكن الحكومة رفضت وهددت وتوعدت، فانزوى المدرسون عن ذلك مقتنعين أن تعليم الدين غير ممكن في ذلك الوقت وأنهم ليس عليهم حرج في الاعتذار عن ذلك، إلا الشيخ سليمان الذي استعظم المسؤولية أمام الله ـ عز وجل ـ فكان يبحث عن أحد يعلمه فلا يجد لخوف الناس من الحكومة، فبدأ بتعليم ابنتيه في البيت على أن تقوما بتعليم زوجيهما وأولادهما، ثم استحدث دفع أجر لطلبته نظير تعليمهم، وكان يرعى تلامذته بنفسه حتى إنه كان يذهب بالمريض منهم إلى الطبيب، مما جعله يعيش على الكفاف، ولكي يخفي طلبته عن عيون الرقابة الأتاتوركية عمد دائماً إلى تبديل أماكن تدريسهم، فكان يدرسهم يوماً في غرفة مؤذن المسجد، وآخر في بيت أحد أتباعه، وثالثاً في قبو

---

(١) القصة بتمامها في: البخاري ومسلم.

مبنى، أو يستأجر مزرعة ويخبئ طلابه فيها في زي العمال، يزرعون الأرض صباحاً ويدرسون الدين مساءاً، أو يذهب بهم إلى قمة جبل، ورغم انكشاف أمره وتعرضه للاعتقال والتعذيب والملاحقة إلا أنه واصل مهمته التي انتدب نفسه لها بإصرار وإرادة وتضحية مستحضراً أن: «ليس التعب يضنينا، ولا الإزعاج يثنينا، سنسارع إلى نداء التعلم والتعليم والخدمة حتى وإن أدى بنا إلى الموت»[1].

- المثال الأخير في هذا الصدد مثال لحالة معاصرة عايشتها، وهي دليل على أن أي شخص - مهما تضاءلت إمكاناته وقدراته ومهما كان موقعه - يستطيع أن يساهم بعملٍ ما لنصرة هذا الدين وأهله؛ فقد ذكر لي أحد الأصدقاء (من غير ذوي الوجاهة عند الناس) أنه وزوجته يحرصان على عدم شراء ملابس مصنوعة في بلاد الكفر، وقد يطوفان هما وأولادهما على محلات عديدة ولا يشترون شيئاً رغم توفر المطلوب من هذه البلاد بأسعار مناسبة وجودة لا بأس بها، وذلك حتى لا يدعما بمالهما القليل أعداء المسلمين.

قد يكون أثر تصرف هذين الزوجين غير ملموس، وقد يشق عليهما الالتزام بذلك.. ولكنهما في النهاية فعلا ما يمليه عليهما ولاؤهما للمسلمين، وقاما بما في إمكانهما.. وقد يكون هذا هو الدور المطلوب من مثلهما.

فهذه النماذج - وغيرها كثير - توضح أن الشعور التلقائي بعد الإيمان بهذا الدين هو العمل على نصرته وظهوره، وأن الفرد - مهما كان علمه وقدره وموقعه - يملك من الإمكانات والطاقات ما يمكنه من لعب دور في حركة التاريخ، ولكن المهم هنا هو الكشف عن تلك الطاقات والإمكانات - من نفسه أو من الآخرين - وتجليتها وتفعيلها.

صحيح أن الإطار التنظيمي أو الجماعي أقدر على الاستفادة من هذه القدرات وتوجيهها في مصب واحد لخدمة هدف محدد، ولكن الإلحاح في التعويل على هذا الإطار يحمل أكثر من مخاطرة، منها - إضافة إلى ما ذكر سابقاً - محدودية القدرة على استيعاب جميع الأفراد، ومنها: الاقتصار على أفق القائمين عليه وتصوراتهم وأهدافهم، ومنها: الجمود عن العمل والحركة إذا فُقِدَ هذا الإطار أو شُلَّ أو عُطِّل.

فإذا كان الأمر كذلك فكيف تتحول رغبة الأفراد في النصرة إلى عمل مؤثر في حركة الأحداث تتجمع مفرداته لتصب في النهاية في الاتجاه الصحيح من دون انتظار لدور (الآخرين) أياً كانوا: قائداً أو تنظيماً أو جماعة أو أغلبية أو دولة؟

في اعتقادي أن ذلك يتم من خلال عاملين:

الأول: استيعاب فهم سنن التغيير في الأنفس والمجتمعات، ونشرها في الأمة ولو في صورة أولية غير معقدة.

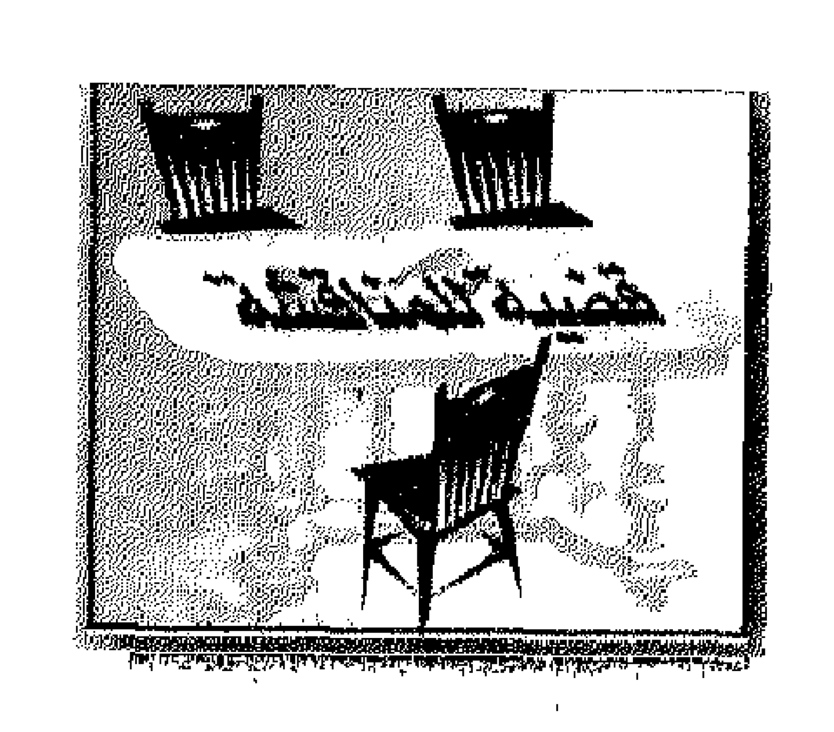
الثاني: توفر الإرادة الجازمة والتصميم التام على العمل لهذا الدين من أي موقع وبأي إمكانات، واستحضار ذلك في مواقف المسلم الحياتية مما ينشط فاعليته.

فهذان العاملان يكوِّنان سياجاً يحمي الأمة - من خلال أفرادها الواعين - من الوقوع في السلبية أو في الإيجابية العكسية، وبذلك تستطيع أن توظف طاقاتها للعمل على بصيرة خلف قائدها إن وجد، بحيث لا تكون عبئاً عليه، وفي الوقت نفسه: تمارس الرقابة بوعي صحيح على هذا القائد حتى لا ينحرف عن المسار المستهدف، كما تمارس الشهادة على الأمم الأخرى بأدائها الأمانة المنوطة بها، أما إذا لم يوجد هذا القائد الذي يستحق أن تجتمع عليه الأمة فإنها لا تقف مكتوفة الأيدي في انتظاره، بل يعمل كل فرد من موقعه بدافع ذاتي يغذه للتقدم إلى الأمام في طريق الخير والإصلاح.

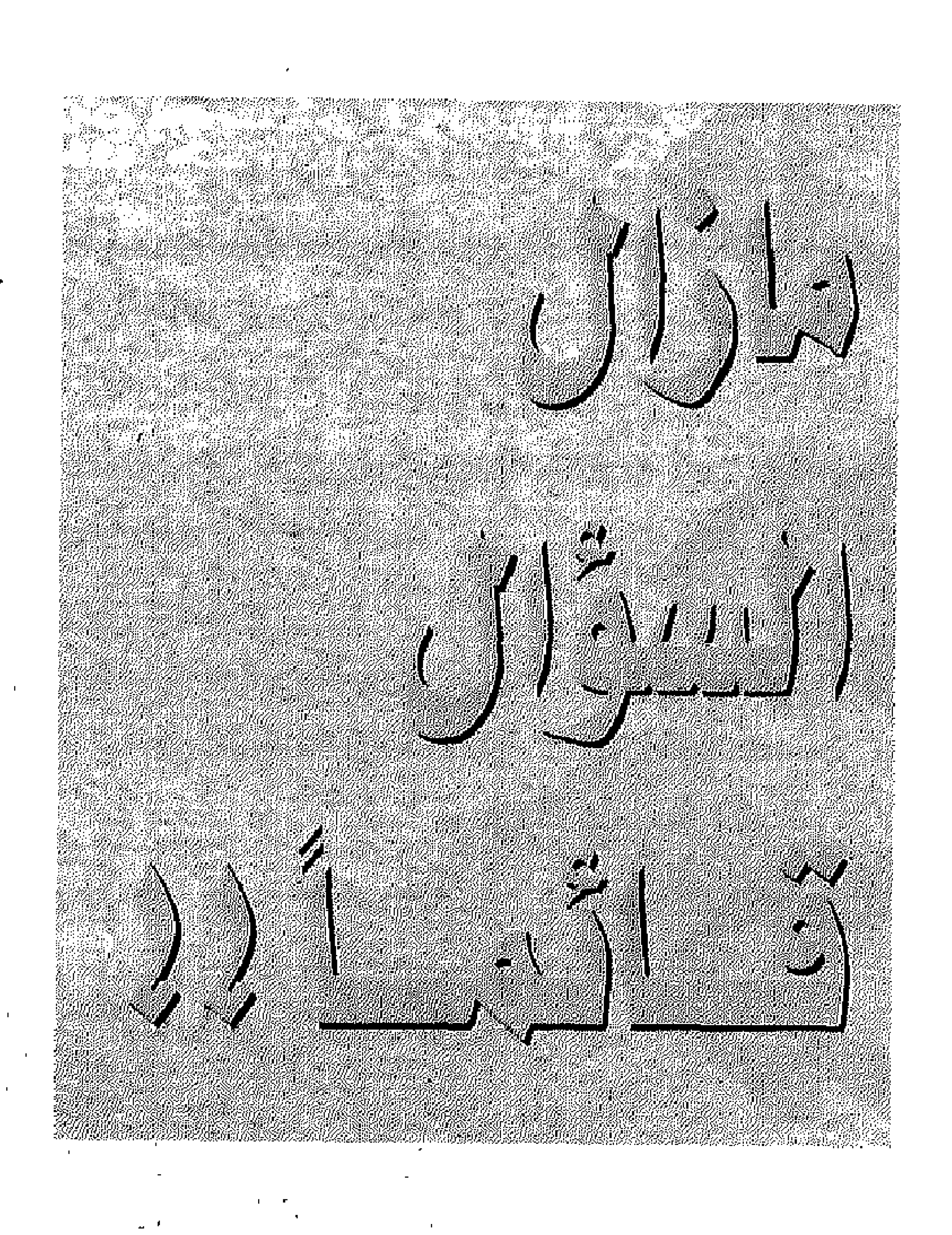
أخيراً: فإن نجاحنا في الإقلاع بالأمة مرهون بمدى أدائنا للبلاغ المبين، أي: البلاغ الواضح الناصع، القوي الواسع الانتشار، وذلك أداءاً لأمانة الدعوة، كما أنه مرهون أيضاً بمدى قدرتنا على تفجير الشارع الإسلامي بالوعي بالإسلام على الحقيقة وبالواقع دون تزييف، مع شحذ إرادته ودفعه نحو تفعيل دور أفراده في الاتجاه الإيجابي الصحيح..

كل ذلك مرتبط بأن يكون التيار فوق التنظيم، ليحل التواكب محل التشرذم والتنسيق محل الفوضى.

(١) انظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة، د. محمد حرب، والإسلاميون وتركيا العلمانية، هدى درويش.



التراجعات... والمراجعات



د. ماجد الإبياري

بدأ يظهر في الفترة الأخيرة الحديث عن (التراجع والمراجعة) في العمل الإسلامي، وأخذ المتحدثون يعرضون تصوراتهم، وتحليلاتهم حول القضية المثارة.

وهذه المناقشة للقضية الجديدة التي بدأت تأخذ أنماطاً مختلفة وصوراً متعددة، أثارت عدداً من النقاط الهامة التي ينبغي الوقوف عندها وتأملها و (مراجعتها).

النقطة الأولى:

كثر الحديث عن تراجع الحركة الإسلامية من الكتاب الغربيين، ومن العلمانيين العرب؛ وهؤلاء وأولئك ليسوا محل حديثنا؛ إذ شدة عداوتهم لدين الله وكل عمل لنصرته لا تخفى على أحد، لكن مجال حديثنا عن فئة من الإسلامين لا نقول إنها تابعت الغربيين والعلمانيين في تحليلهم للظاهرة، ولكنها تولت الحديث عن ذلك في الوسط الإسلامي.

إن الفئة التي تولت إظهار هذه المسألة - ولا زالت - فئة لها مكانتها ولها دورها الرائد في العمل الإسلامي، إنها فئة من أهل الفكر والثقافة. فلم تُثَر المسألة من عالم مشتغل بنشر العلم والتعليم، ولم تُثَرْ كذلك من داعية أو مربٍّ يشغله واقع العمل الدعوي (التطبيقي)، ولم نسمعها كذلك من خطيب أو واعظ مهتم بتوجيه الناس ونصحهم.

لم تُثَر القضية من أولئك جميعاً بالرغم من كونهم شركاء أهل الفكر والثقافة في العمل الدعوي، وإن أثيرت فليس بتلك الصورة.

ومع التقدير الشديد لأهل الفكر إلا أننا نخشى أن يكون ذلك طريقاً جديداً يراد توجيه الدعوة إلى سلوكه، خاصة أن هناك شبه تواصٍ به فيما بينهم، وكم سلكت الدعوة طرقاً وجَّهها إليها أفراد منها، لهم مكانتهم ومنزلتهم في الدعوة، ولم يُشرك في ذلك بقية أهل التوجيه والعلم والخبرة، وكانت النتيجة مرارة شديدة تجرعتها الدعوة.

أحد أولئك المفكرين، وفي وقت فورة العمل المسلح لعدد من الجماعات الإسلامية في عدد من البلدان، لم يكن يرى من سبيل لإخراج الأمة من أزمتها إلا ما تقوم به هذه الجماعات؛ فلا يفل الحديد إلا الحديد!! ثم ما لبثت الأيام تمضي وهدأت



الفورة - أو قضي على الثورة - حتى خرج علينا يسير في اتجاه معاكس يحاول إلزام الدعوة على السير معه، وذلك حين دعا إلى أن تلتزم الحركة الإسلامية خياراً استراتيجياً جديداً يقضي بإلغاء فريضة الجهاد!

وآخر راح - بعد تراجعه - يسفِّه كثيراً من الحركات الإسلامية ويتهمها بنقص الفهم وسذاجة العقل، مع أنه كان أحد الرموز الهامة في ذلك الفريق الناقص الفهم، الساذج العقل.

فهل يتوقع هذا أو ذاك أن تنخدع الدعوة بهم مرتين، أو أكثر من ذلك؟ وهل ما زالوا يتوقعون أن آراءهم الفردية وطروحاتهم الشخصية سوف تلاقي تجاوباً سريعاً كما كانت من قبل؟ ولهذا فلا عجب أن يكون أول المتأثرين بنتائج (موضة التراجع) السلبية الذين تولوا كبر تضخيمها.

ونعيد: مع تقديرنا الكبير لأهل الفكر والثقافة، ودورهم الاستشرافي لمتطلبات الدعوة بقراءة الماضي، ودراسة الحاضر، إلا أن التجارب التي مرت بها الدعوة الإسلامية تنبئنا أن مثل هذه القضايا الكبيرة تحتاج - لكي نسلِّم بها، وكونها قضية كبيرة توجه لها الجهود والطاقات - إلى أهل العلم والدعوة، مع أهل الفكر والثقافة، تحتاج لكي نخرج لها بحل يصلح الأمة وتبرؤ به الذمة، إلى اتفاق المنظرين مع التطبيقيين.

النقطة الثانية:

ما هو التوصيف الواضح لمصطلح (التراجع) هل يعنون به تراجع مستوى الأداء في العمل الإسلامي، علمياً كان أم عملياً: في الأفكار والتصورات، أم الأهداف والسياسات، في حجم العمل أم نوع العمل؟ أم يقصدون ذلك كله ومثله معه!؟ وإن كانوا يقصدون ذلك كله فإن التراجع لا يكون إلا عن مستوى أعلى ومتقدم، وإن كان ذلك كذلك فلماذا يُغرق أولئك في تفاصيل إخفاق العمل الإسلامي في كل مجالاته، ومنذ نشأته الحديثة، ولم نرَ في كتاباتهم الأخيرة حول هذه الظاهرة إلا النقد الشديد للحركة وإنجازاتها؛ فهي عندهم لم تعرف التخطيط وطرائقه، ولا المنهجية الحركية وسبلها، ولم تحقق شيئاً من أهدافها - إن كان لها أهداف - وحركة بهذا الوصف، هل يكون لها إنجازات تتراجع عنها؟ فعن أي تراجع يتحدث القوم؟!

النقطة الثالثة:

لم تخرج كتابات الخائضين في مسألة التراجع عن كونها توصيفاً لواقع مأزوم؛ فجُلُّ الكتابات تركز على بيان أهداف الدعوة الإسلامية الكبرى، وتعرض نماذج من صور الإسلام المشرقة في القرون المفضلة، وكيف واجه الرسول الكريم ﷺ الجاهلية الأولى، ثم تُعرِّج بعد ذلك على أسباب انتكاسة الأمة وتنكبها الطريق القويم، وسطوة أعدائها وتكالب الأمم على القصعة، ثم يأتي الحديث عن نشأة الحركة الإسلامية الحديثة، وكيف كانت البدايات ساذجة، ولم تكن مدركة للواقع العالمي، ولا حتى المحلي فضلاً عن الإقليمي، ثم تسهب الكتابات في أسباب الخلل الداخلي بشتى صوره... إلخ، وهذا كله صحيح في مجمله. ثم إذا عنونت عناوين أمثال: (كيف نخرج من الأزمة؟) أو (الخروج من التيه) أو غير ذلك من العناوين التي تُفرح كل مغتم ومتألم لحال الأمة، تجد بعد الشرح المستفيض الذي استغرق مئات الصفحات، يُقتضب الكلام، ويجمل الحديث إجمالاً: إنه (بالعودة الصادقة للمنهج الرباني) !! و (اتباع سبيل سلف الأمة الصالح في التربية والدعوة والجهاد)!! و(إدراك الحركة لمخاطر الكيد اليهودي والنصراني وقوى الشر المتكالبة على الأمة)!! و(ضرورة التكاتف والتآزر بين فصائل العمل الإسلامي، والاعتصام بالأخوة الحقة)!!، بل منهم من قال بعد عشرات الصفحات في بيان تقصير الأمة وتواكلها وتخاذلها عن العمل: (إن نصرة هذا الدين بيد الله عز وجل، ولا تحتاج إلى جهود بشرية؛ فإنه - عز وجل - إن قال للشيء (كن

مازال السؤال قائماً !!

فيكون) !! فعلامَ الحديث السالف إذن عن أثر الفكر الإرجائي والصوفي والتواكلي وخطورته على الأمة؟

إن كل ما قيل حق، ولا غبار عليه، وهو كلام جميل ورائع؛ ولكن يا أحبتنا! يا من سوّدتم تلك الصفحات في عرض حال أمة يعلمه الجميع، ويدركه الصغير والكبير! نشكر لكم هذه الحلول (العامة) التي نتفق وإياكم على صحتها، ولكن أخبرونا مأجورين عن تفاصيل ذلك! أفيدونا مشكورين عن برنامج علمي قابل للتطبيق العملي في وسط هذه الظروف الحوالك التي أظلمتم بها الدنيا في وجوهنا، كيف الطريق التنفيذي للعودة إلى المنهج الصافي؟

إن توحيد الصفوف وتراصَّها مطلب ملحٌّ للغاية، ولكن أخبرونا بالسبيل الذي يوحد به عشرات الألوف من الشباب الذين تربوا على تزكية النفس، وعلى التربية الروحية والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، تربوا على ذلك عشرات السنين، كيف يوحد هؤلاء مع ألوف أخرى لم ترَ من طريق لنصرة دين الله إلا مقارعة الباطل بكل ما تيسر لها، من تسفيه إعلامي، وتحقير سياسي، وحرق وقتل وتدمير، ويرون ذلك كله جهاداً وإعلاءً ونصرة لدين الله؟ كيف السبيل إلى رص الصفوف بين هؤلاء وأولئك بعدما كبر الصغير هنا، وشاب الكبير هناك على ما أُشربوه من مفاهيم؟ هذا مع فرض أن القادة والموجهين قد تآلفوا وتعاونوا؛ فكيف وقلوب رؤوس الناس لم تصفُ بعد؟!

إن طرق الحلول بهذه الوسيلة ليذكرنا بمن يعظ الناس في أهمية الخشوع في الصلاة؛ لأنها عماد الدين، ولأنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، ولأن الله - عز وجل - ربط الفلاح بذلك حين قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، والعبد إن صلحت صلاته صلح سائر عمله... إلخ؛ وهذا كله مسلَّم به، ولكن كيف نخشع في الصلاة؟ هذا جانب لا يتطرق إليه الناصح، وينقطع حديثه، أين هذا ممن يصنف في ذكر عشرات الطرق لكيفية الخشوع في الصلاة؟

إن التوصيف أمر هين، يحسنه أصحاب الأقلام، ومن لم يمسكوا الأقلام، والمريض بسهولة شديدة يصف أعراض مرضه للطبيب، ولكن الطبيب لا يزيده وصفاً آخر، قد يذكر له أسباب المرض حتى يتوقاها بعد ذلك؛ ولكن دوره لا يقف عند ذكر الأسباب، بل يصف له علاجاً لهذا المرض بعد معرفته بوصفه وسببه، ويحدد له موعداً لتعاطي الدواء وحجم الجرعات ومدة التناول، ويطلب منه مراجعته للتأكد من صحة سير العلاج وتحسُّن المريض، فإن لم يكن أهل العلم والفكر والدعوة أطباء الأمة، فأي دور يريدونه لأنفسهم؟!

ولا شك أن القضية المطروحة للنقاش جدُّ هامة، فهي واقع معاش، ولكن لا بد من وضع القضية في إطارها الصحيح، وحجمها الصحيح، وتقدير زمانها بشكل صحيح. إن تراجع العمل الإسلامي الحالي عما قدمه قبل ذلك حاصل بلا شك، والعودة لمراجعة ذلك التراجع خطوة صحيحة على الطريق، ولكن قضية التضخيم، والمبالغات، والتوريم السطحي لقضايا كبيرة تمس حياة الأمة، هو أمر ينبغي التنبيه عليه. وإنها لمهمة عظيمة وخطيرة في الوقت ذاته، تحتاج إلى أصحاب الأفهام والعلم الأصيل، وتحتاج إلى رجال يتحرقون لآلام أمتهم يبيعون أنفسهم لله.

ولكون محدثكم ليس من هؤلاء ولا أولئك فلا يستطيع تقديم صورة علمية قابلة للتطبيق العملي في هذا الواقع المأزوم، ولكن في الإمكان أن تكون هذه دعوة لرموز الأمة من علمائها الأبرار ودعاتها الأطهار، ومفكريها الأخيار الذين يستطيعون أن يجتمعوا ويأتلفوا، ويضعوا مسألة التوصيف جانباً؛ فقد وصفنا بما فيه الكفاية، ونحتاج إلى برامج عملية لحل إشكالات الأمة الكبيرة، وإلا بقي السؤال قائماً: كيف نخرج من الأزمة؟

المسلمون

- حل القضية الكشميرية بأيديناا .. ولكن؟
د. محمد طاهر حكيم

- كشمير وإرهاصات الحل النهائي
د. يوسف بن صالح الصغير

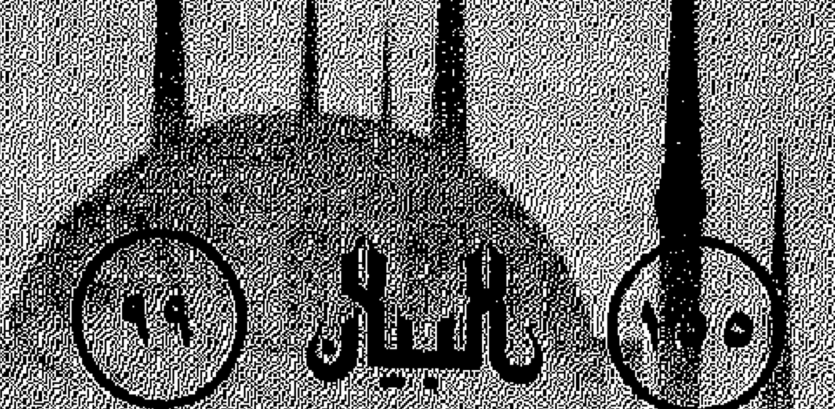
- النـزاع الإثيوبـي الإرتيـري
سعيد إسماعيل صابر

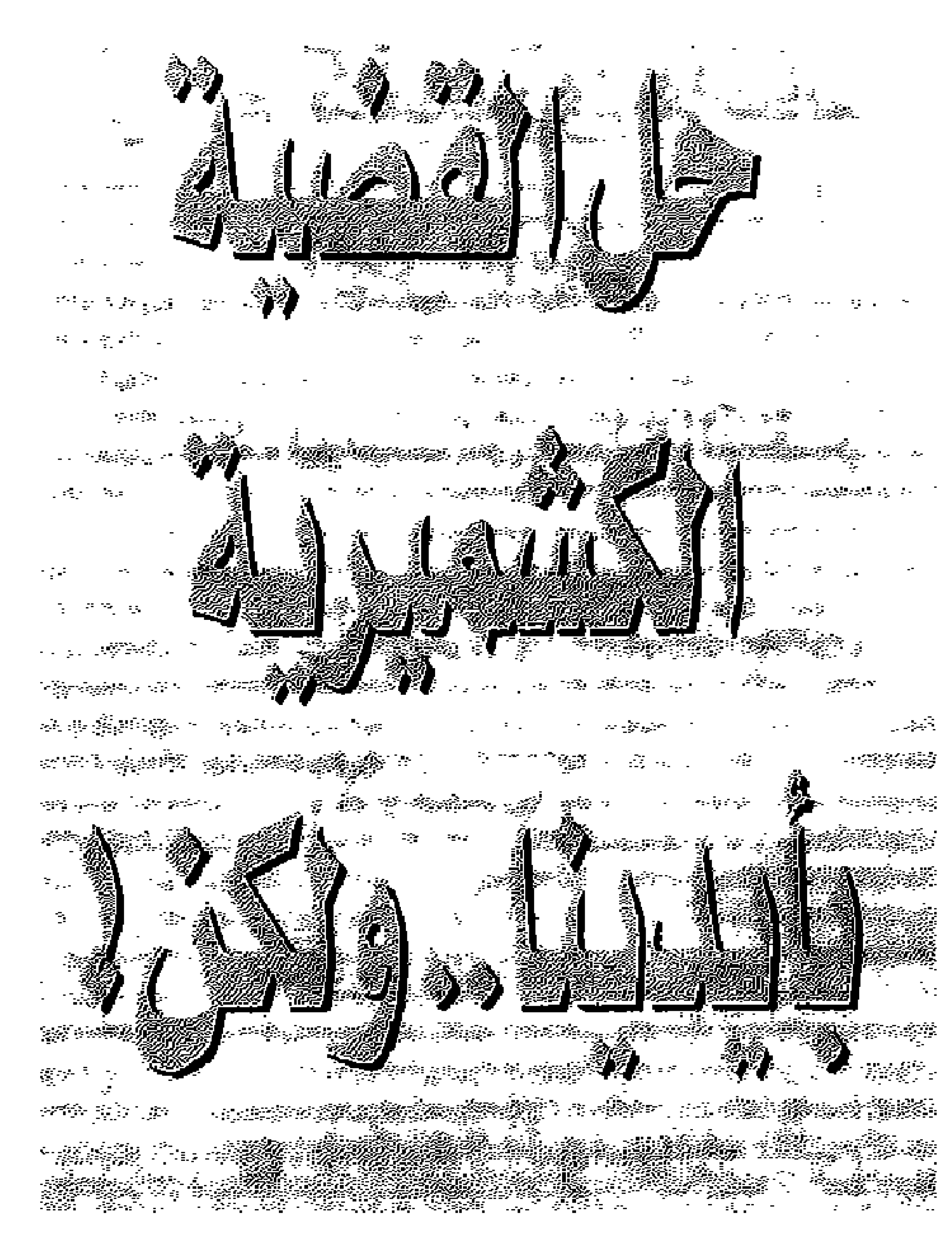
- دعوة الوثنيين في مالي
مكتب مالي

- مرصد الأحداث
حسن قطامش



والعالم





حل القضية الكشميرية بأيدينا.. ولكن!

د. محمد طاهر حكيم

كشمير جرح قديم من الجراحات الساخنة التي أصابت جسد الأمة الإسلامية الضعيف في هذا العصر الكئيب الذي يشهد تعرّض المسلمين لنكبات ومآسٍ وتداعي الأمم، وتكالب الأعداء عليهم من كل حدب وصوب.

كشمير المسلمة التي احتلتها الهند ظلماً وعدواناً في عام ١٩٤٧م ثم قامت بممارسة العنف والاضطهاد لمنع الشعب المسلم من المطالبة بتقرير مصيره وفقاً لقرار الأمم المتحدة الصادر في ٥ يناير ١٩٤٩م، ذلك القرار الذي كان وراءه الحكومة الهندية نفسها.

وقد بلغت الوحشية الهندوسية ذروتها منذ عام ١٩٩٠م حين أصدر البرلمان الهندوسي - (برلمان أكبر دولة ديموقراطية كما يزعمون) قراراً يسمح لقوات الاحتلال في الولاية والتي يزيد عدد أفرادها عن سبعمائة ألف جندي - وهو ما يمثل أعلى نسبة وجود عسكري في أي منطقة في العالم؛ إذ يبلغ عدد جنود الاحتلال الهندوسي في الولاية ١ : ٧ بالنسبة إلى السكان - بعملية استئصال المسلمين وقتلهم عشوائياً، والزج بهم في غياهب السجون ومراكز التفتيش والتعذيب، وذبح أطفالهم، وحرق شبابهم أحياءاً، وهتك أعراضهم، ونهب أموالهم، وإحراق بيوتهم ومنازلهم ومزارعهم حتى أصبح الشعب هناك يعيش تحت الإرهاب والحكم العسكري ونظام المعسكرات الذي يذكرنا بأساليب النازية والفاشية بحجة أنهم إرهابيون ولا ذنب لهم إلا أنهم يطالبون بتقرير مصيرهم الذي وُعدوا به من المنظمة الدولية.

وقد قدّم الشعب الكشميري خلال هذه المدة التضحيات

الضخمة لتحقيق هدفه السامي؛ حيث بلغ عدد الشهداء أكثر من سبعين ألف شهيد وعدد الجرحى أكثر من ثمانين ألف جريح، ووصل عدد المعتقلين إلى أكثر من سبعين ألف معتقل إلى جانب عشرات الآلاف من المنازل والمتاجر والمساجد والمدارس التي دُمرت وأحرقت، والآلاف من النساء المسلمات اللاتي تعرضن للاغتصاب على أيدي الجنود الهندوس. وبلغ عدد العوائل التي نكبتْ في فَقْد عائليها نحو نصف مليون عائلة[1].

ويزداد الوضع سوءاً يوماً بعد يوم في الوادي الجميل، وتحمل لنا الأخبار يومياً أنباء الاعتقالات والاغتيالات والمداهمات، ويتساقط الشهداء الواحد تلو الآخر، والعالم الإسلامي صامت لا يفعل شيئاً، ولم ينطق بكلمة فاعلة تجاه هذا الجرح النازف. وأما العالم الحر فإنه يبدو وكأن صرخات النساء والأطفال والشيوخ لم تصل إلى سمعه ولن تصل أبداً؛ لأنه صنع من الهند النووية التي تحرس له شرق آسيا من المد الإسلامي عملاقاً عسكرياً وبطلاً بوليسياً مهمته تأديب الدول الإسلامية في المنطقة.

وقد دفع هذا الإرهاب الهندوسي المسلمين في كشمير إلى مواجهة الاحتلال والقيام بعمليات فدائية بطولية ضده؛ وذلك بعد وصولهم إلى حد اليأس في معاناتهم وعدم وجود بصيص من الضوء في نهاية النفق.

وقد وقعت في الفترة الأخيرة جملة أحداث ومتغيرات جعلت قضية كشمير في بؤرة الاهتمام الدولي، ومن هذه الأحداث:

١ - إعلان كل من الهند وباكستان امتلاك الأسلحة النووية والصاروخية في مايو عام ١٩٩٨م. ولا شك في أن امتلاك الدولتين هذا النوع من السلاح المدمر له أثر كبير على الأحداث الجارية والمشحونة بالتوتر الشديد في كشمير، وإذا علمنا أن حربين من الحروب الثلاثة وقعت بين البلدين كان سببهما كشمير ظهر لنا خطورة الموقف في المنطقة بعد امتلاك البلدين الأسلحة النووية.

٢ - ثم تأتي المواجهة الأخيرة التي قادها المجاهدون الكشميريون في «كارجل» العام الماضي والصمود لأكثر من شهر أمام القوات الهندوسية حتى عرضتْ عليهم الهند أن توفر لهم ممراً آمناً لينسحبوا إلى كشمير الحرة. وهذا يُعتبر تحولاً مهماً في قوة المقاومة الكشميرية وقدرتها على المناورة.

وقد خسرت الهند في هذه المواجهة من الجنود أكثر مما خسرتْه في حرب عام ١٩٧١م، وكاد البلدان النوويان أن يدخلا في حرب حقيقية، وقد أثبتت هذه المواجهة خطورة الموقف في كشمير وضرورة حله في أقرب فرصة ممكنة.

ولكن كيف السبيل إلى حل هذه القضية القديمة؟ هل بقرارات مجلس الأمن، أو بطلب المساعدة من الدول الكبرى؟

إن الرهان على كل هذا لحل القضية الكشميرية رهان خاسر؛ وذلك لأن قرارات مجلس الأمن لا تطبق إذا كانت في صالح المسلمين، لكن لو كانت هذه القرارات ضدهم فإنها تفرض عليهم كما تفرض على دولهم العقوبات الاقتصادية والتجارية والعسكرية والمقاطعة الدولية إذا لم تخضع لرغبة الدول الكبرى، بل وتدرج أسماؤها في قائمة الدول المساندة للإرهاب والمنتهكة لحقوق الإنسان .. إلخ. أما الدول الأخرى المحتلة لأراضي المسلمين والغاصبة لحقوقهم فلا تلزم بتطبيق أي قرار صادر من مجلس الأمن، ولا تفرض عليها أية عقوبات إلا

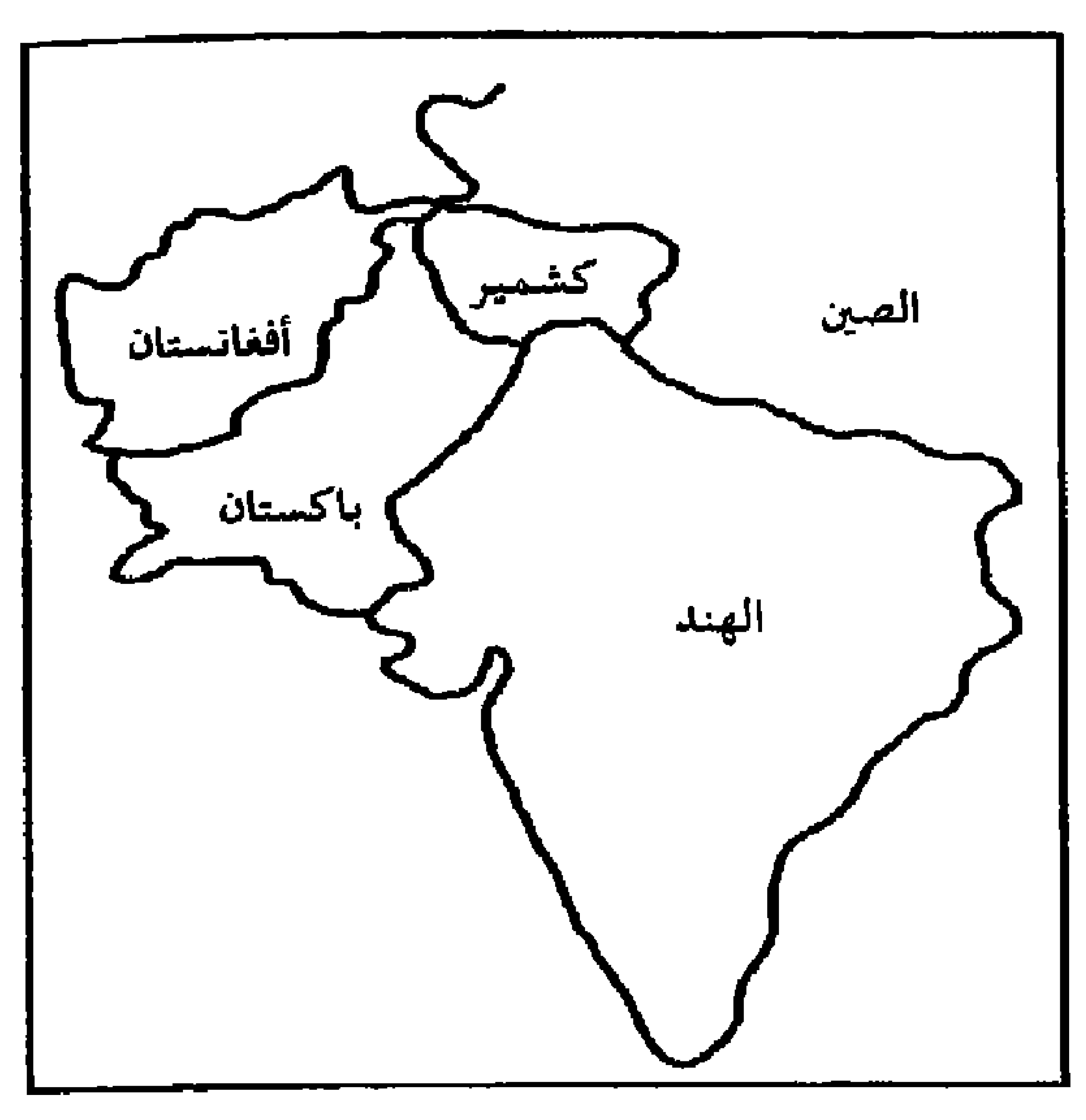
---

(١) مقابلة مع أليف الدين الترابي في مجلة الحرس الوطني العدد ٢١٠، رمضان ١٤٢٠هـ.

صورياً ذراً للرماد في عيون المسلمين. بل هي في كثير من الأحيان تعربد يمنة ويسرة وتهزأ بقرارات المجلس «الموقرة» دون أن يثير ذلك حفيظة المجلس، أو أن يكون فيه التحدي للمجتمع الدولي. وهذا يؤكد أن المجلس لن يقف مع أية قضية للمسلمين مهما كانت إذا كان الطرف الآخر فيها من غير المسلمين، وهذا واضح من القرارات التي أصدرها المجلس في قضية فلسطين وكشمير والبوسنة وغيرها من القضايا الإسلامية.

الحقيقة أننا ـ نحن المسلمين ـ نبالغ في حسن الظن بمجلس الأمن عندما نلجأ إليه ونتوقع منه أن ينظر إلى قضايانا بعين العطف أو على الأقل بعين العدل والإنصاف، ويغيب عن أذهاننا حقيقة مهمة وهي أن أعضاء المجلس الدائمين يُهمهم أول ما يهمهم مصالح بلدانهم الخاصة؛ فقد كتبت مجلة «أخبار الولايات المتحدة والعالم» الأمريكية في ٢٣/٥/١٩٩٤م: إن انتهاكات الهند لحقوق الإنسان ـ وهي مروعة وبشعة ـ تثير سخطاً أقل لدى الرأي العام الأمريكي وأعضاء الكونجرس؛ وذلك بسبب واضح من وجهة نظرنا نحن وهو أن الضحايا في الهند هم من المسلمين في جميع الأحوال؛ فإن المصالح الأمريكية مع الهند هي أيضاً من الضخامة بحيث لا يمكن التضحية بها من أجل الأخلاقيات والمثل»!!.

وهكذا قد تم إبلاغ رئيس وزراء الهند السابق خلال زيارته لواشنطن في الأسبوع الأخير من مايو ١٩٩٤م بأن إدارة كلينتون ستتوقف عن أي نقد علني مباشر لخرق الهند لحقوق الإنسان، وأن أي ملاحظات بهذا الصدد سيتم تداولها بين البلدين بالطرق الدبلوماسية. وفي زيارته الأخيرة للمنطقة صرح كلينتون في الهند ـ وبالحرف الواحد أنه: «لم يأت للمنطقة للوساطة في قضية كشمير، وأن على البلدين أن يحلا هذه القضية فيما بينهما، ولم يُشر



ـ من قريب ولا بعيد ـ إلى أن هذه القضية قد صدرت فيها قرارات من مجلس الأمن وعلى الهند أن تطبق هذه القرارات؛ كما أغفل تماماً موضوع انتهاك الهندوس لحقوق الإنسان، رغم أن إدارته قد وصفت الهند ـ في التقرير السنوي لحقوق الإنسان عام ١٩٩٨م «بأنها رائدة وبامتياز في مجال انتهاك حقوق الإنسان في العالم؛ حيث تتفوق على الكثير من الدول بانتهاكاتها الواسعة والمتعددة الوجوه والأشكال لحقوق الإنسان». ولكن لأن الضحايا هم من المسلمين فإن أمريكا لا تضحي بمصالحها من أجل حقوق طائفة من المسلمين.

ولنا أن نتساءل: لو كان الكشميريون يهوداً أو نصارى أهكذا كان كلينتون يتعامل مع هذه القضية؟ وهذا يؤكد مرة أخرى أن الدول الكبرى لن تقف مع أية قضية للمسلمين إذا كان الطرف الآخر فيها من غيرهم.

إن تزييف من يسيِّر مجلس الأمن ليس له حد ولا مثيل؛ فهم يتغنون بالديمقراطية، ويدعون إلى حق تقرير المصير وتحرير الشعوب المضطهدة فإذا تعلق الأمر بالمسلمين رأيت عجباً؛ فـ «قرارات الأمم المتحدة في شأن كشمير صارت قديمة بالية مضى عليها خمسون عاماً» و «نحن نتفهم أسباب ضرب روسيا

الشيشان ونقدرها» و«إننا لن نسمح مطلقاً بوجود دولة على عتبات أوروبا يحكمها المسلمون» أما إذا تعلق الأمر بغير المسلمين فيظهر الوجه البريء المنظمة الدولية، فتقلق وتحزن على انتهاك حقوق الإنسان. فتيمور الشرقية كانت جزءاً من إندونيسيا، ومعظم سكانها من النصارى الذين طالبوا بالاستقلال، فتدخلت المنظمة الدولية وأرسلت القوات وفرضت استقلالها وانفصالها بدعوى تحقيق رغبة (الشعب التيموري) بالانفصال، وأعطت المنظمة الدولية إنذاراً للقوات الإندونيسية بالانسحاب من الإقليم خلال ٤٨ ساعة وهكذا حصل.

والسؤال: هل هناك شك في رغبة المسلمين في كشمير في الانفصال عن الهند، أو رغبة الشيشانيين عن روسيا، أو رغبة الكوسوفيين عن صربيا؟ فلماذا لم يدعُ مجلس الأمن للاستفتاء على استقلال كشمير أو الشيشان أو كوسوفا؟ ولو تم ذلك وكانت النتيجة بالإيجاب فهل يفرض مجلس الأمن بالقوة ذلك الاستقلال؟

الجواب طبعاً: لا؛ والسبب واضح؛ فانسحاب القوات الإندونيسية من تيمور الشرقية يؤدي إلى قيام دولة نصرانية وتقطيع جزء من الدولة المسلمة وهو مطلب الغرب ومبتغاه، وأما انسحاب القوات الروسية من الشيشان أو الصربية من كوسوفا أو الهندوسية من كشمير فسوف يؤدي إلي قيام دولة مسلمة على أعتاب روسيا في الشيشان، وإلى قيام دولة مسلمة في قلب أوروبا بالنسبة لكوسوفا وإلى تقوية دولة باكستان الإسلامية بسبب كشمير وهذا كله مرفوض عندهم.

إذاً فحلُّ قضايانا لا يكون بقرارات مجلس الأمن، ولا بالشكوى إلى الدول الكبرى وإنما بالقيام بواجبنا في نصرة إخواننا في كشمير وغيرها.

إن الوضع في كشمير جد خطير، والهندوس بعد زيارة كلينتون وتأييده الواضح لهم أصبحوا أكثر تعسفاً واستعلاءاً وعربدة، ويلوّحون بشن حرب ضد باكستان بعد أن صرّح الناطق باسم كلينتون قائلاً: «تخطئ باكستان إذا كانت تظن أن أمريكا تؤيدها إذا وقعت حرب بين الهند وباكستان» وفي هذا الكلام تهديد مبطن بالحرب، وتأييد واضح للهندوس، بل تحريض لهم على شن حرب ضد باكستان.

خطوات حل الأزمة:

لذا أرى أن حل القضية الكشميرية يكون باتباع الخطوات الآتية:

أولاً: التضرع بالدعاء والتوجه إلى الله ـ تعالى ـ لينصر هؤلاء المظلومين؛ فإن الدعاء يعمل ما تعجز عنه القذائف والصواريخ: يُروى أن قتيبة بن مسلم استعصى عليه فتح كابول، فقال: عليَّ بمحمد ابن واسع ـ وكان عابداً زاهداً ـ فأُخبر بأنه متكئ وهو يشير بأصبعه إلى السماء، ويقول: يا حيُّ يا قيوم انصرنا عليهم! فقال: لأصبع محمد بن واسع أحبُّ إليَّ من ألف سيف شهير في سبيل الله.

ثانياً: الاستمرار في جمع المساعدات المالية وتقديمها لهم بقصد تغطية احتياجات المجاهدين ورعاية المهاجرين والمجروحين ومن لا عائل لهم منهم حتى تتغير الظروف لصالحهم. وهذا واجب شرعاً. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢] وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وفي الصحيحين قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يسلمه» وأخرج الإمام أحمد من حديث سهل بن حنيف أن النبي ﷺ قال: «من أُذلَّ عنده مؤمن فلم ينصره ـ وهو يقدر على أن ينصره ـ أذله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة»، وهو ضعيف لكن يشهد له حديث أنس أن النبي ﷺ وسلم قال: «من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة» رواه البيهقي.

إن الواجب على كل مسلم أن ينصر إخوانه في كشمير وفي غيرها بكل ما يستطيع؛ فمن استطاع أن ينصرهم بماله فليفعل، ومن استطاع أن ينصرهم بالكلمة قولاً أو كتابة عبر وسائل الإعلام المختلفه فليفعل، ومن استطاع أن يدافع عنهم بنشر قضيتهم بين الأمم والشعوب وتعريف العالم بما يقع عليهم من ظلم واضطهاد وقهر وتقتيل وتشريد وتهجير ونهب ممتلكات وتدمير منازل ومزارع من قبل الجنود الهندوس وعصاباتهم المتطرفة فليفعل. ولا أقل من أن يشترك جميع المسلمين في الدعاء لهم.

ثالثاً: أن تقوم الشعوب الإسلامية بالضغط على حكوماتها لتقطع كل العلاقات مع الهند - إذا لم توقف حملتها ضد الشعب الكشميري وتحدد موعد إجراء الاستفتاء الموعود - مع التنديد الشديد والتشهير بما تقوم به قوات الاحتلال في الولاية من الممارسات الإجرامية، وتعلن تأييده وتبني قضيته صراحة وتعرضها في المحافل الدولية بما يتفق مع الواقع والحقيقة لا كما تردده أبواق الدعايتين الهندوسية والصهيونية.

رابعاً - وهو الأهم -: أن تقوم جميع الحكومات الإسلامية بإخطار الهند رسمياً أن مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية مهدّدة في جميع المناطق في العالم الإسلامي إذا لم توافق على إجراء الاستفتاء في الولاية وتحدد موعده. فإن لم تفعل الهند ذلك نفّذت الحكومات الإسلامية المقاطعة الاقتصادية؛ فهذه هي ورقة الضغط الإسلامية التي لو استخدمتها الدول الإسلامية - فإن الهند سوف تجثو على ركبتيها طالبة هي الحل؛ لأن أكثر من ٧٠٪ من اقتصاديات الهند تقوم على العائد من الدول الإسلامية؛ فهناك مئات الألوف - بل الملايين - من العمالة الهندوسية ومئات الشركات الهندوسية تعمل في هذه الدول، كما أن هذه الدول تعتبر من أكبر الأسواق للمنتوجات والمصنوعات الهندية، والأموال التي تكسبها الهند من هذه الدول تصرف لقتل المسلمين وسفك دمائهم في كشمير وفي داخل الهند؛ فقد أوردت مجلة «الوسط» (٣١/١/١٩٩٤م) في تحقيق مفصل لها مخاطر العمالة الهندوسية والجرأة البالغة الخطيرة للتنظيمات السياسية الهندوسية؛ فضلاً عن بلايين الدولارات التي يحولها هؤلاء إلى أحزابهم المتطرفة التي تفتك بالمسلمين في الهند وتعمل على إبادتهم.

وتقول المجلة: إن الصحافة القطرية قد شنت حملات شعواء على العمال الهندوس مستندة إلى منشور تم توزيعه بينهم وأسمته مجلة الشرق القطرية: «المنشور القذر» وهو موجه من القائد المحلي لجماعة RSS/VIP إلى جميع المتطوعين الهندوس وجاء فيه: «اذهبوا يومياً إلى المعبد صباح مساء أينما كنتم، شيدوا معبداً في منازلكم ومواقع أعمالكم ومتاجركم التي تعملون فيها.. حافظوا على معبودكم من خلال تمثال «راما» أقيموا اجتماعات أسبوعية، وقدموا تقاريركم إلى القائد المحلي، واعملوا قدر طاقتكم على إغراق أصدقائكم وزملائكم في إدمان الكحول والمخدرات والنساء، كونوا على صلة حميمة جداً بالمسلمين لتتمكنوا من تفريق وحدتهم، واجعلوا الغش شعاركم في التعامل معهم».

وجاء في المجلة أيضاً: «وحذرت الصحف القطرية من أن العاملين الهندوس في الخليج يمولون المنظمات الهندوسية المتطرفة مثل جماعة (فيشوار هدو بيرشاد) التي قامت بدور بارز في عملية هدم مسجد بابري وكذلك منظمتي (ما هات شترا) و(شيتوسنيا) اللتين تثيران المشاعر ضد المسلمين الهنود.

بل إن هناك أمراً أخطر من سابقه يدعو إلى مقاطعة الهندوس الوثنيين وهو: بُعد التوغل الصهيوني إلى منطقة الخليج عبر البوابة الهندية؛ فقد حذّر الكاتب إبراهيم إسماعيل في مجلة الإصلاح العدد ٢٦٤ تاريخ ٢٥/١١/١٩٩٣م) مما

سماه الخطر المنعكس على الخليج من العلاقات الهندوسية الصهيونية المتنامية، وقد أثار الكاتب عدة أسئلة مهمة في هذا الصدد عن حجم الاختراقات الإسرائيلية الهندية لأجهزة دول المنطقة وتغلغلها إلى مواطن التأثير، وعن حجم الاستثمار اليهودي عن طريق البوابة الهندية، وعن حجم العمالة اليهودية الهندية ـ المليونيرية ـ التي يُخشى أن تكون هي التي تسيطر على ٨٠٪ من أسواق المنطقة سواء أسواق الذهب أو الإلكترونيات أو الأقمشة، مشيراً إلى مخاطر ذلك كله على الحالة الأمنية والاجتماعية والاقتصادية وكذلك على العمل الإسلامي في المنطقة مذكِّراً في هذا الصدد بالعداء الهندوسي الصهيوني المتأصل لكل عمل إسلامي في ضوء تصريحات المسؤولين في البلدين، وأشار إلى بيان وزير الخارجية الصهيوني في زيارته الأخيرة للهند حيث صرح قائلاً: «إن الكيان الصهيوني والهند معنيتان بمواجهة الخطر الأصولي الإسلامي المشترك سواء عبر منظمة حماس أو حركة المقاومة الكشميرية، وإن هناك تنسيقاً كاملاً ومشتركاً بين دلهي وتل أبيب لتبادل المعلومات والخبرات في هذا الجانب».

لأجل هذا كله فإن مقاطعة الهندوس ليس واجباً إنسانياً وقومياً فحسب بل هو واجب ديني شرعي أيضاً، فقد دعا سماحة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ إلى مقاطعة الهند اقتصادياً وسياسياً[١] كما أفتى فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين بوجوب مقاطعة الهندوس لما سئل عن حكم استقدامهم والتعامل معهم؛ حيث قال: «ولا يجوز إكرامهم ولا استخدامهم بما فيه إعزاز لهم مع وجود المسلمين الذين يقومون مقامهم.. على المسلمين في كل البلاد أن يقاطعوا هذه الفئة من الهندوس والسيخ ونحوهم من الكفرة ويقطعوا الصلة بهم.. ويردوا إليهم العمالة التي تعمل في بلاد المسلمين حتى لا يعينوا الكفر على الإسلام، وذلك من الجهاد في إظهار الإسلام وإذلال الكفر»[٢].

إن الدول الإسلامية مسؤولة أمام الله ـ تعالى ـ عن تفريطهم في مساندة إخوانهم في كشمير وفي الهند وهي قادرة على نصرتهم ضد ممارسات الهندوس الإجرامية بالمقاطعة الاقتصادية.

إننا على يقين بأنه لو قامت الدول الإسلامية بمقاطعة المصنوعات والمنتوجات الهندية وكذلك الشركات الهندية المختلفة، وطردت العمال الهندوس وقذفت بهم إلى شوارع كلكتا ودلهي وبومبي (وأحلّتْ محلهم العمال المسلمين من الهند وغيرها) فإن الهند تجثو على ركبتيها ذليلة خاضعة تطلب هي بنفسها إجراء الاستفتاء في كشمير، ونكون بهذا قد نصرنا إخواننا في الله، وجنبنا المنطقة حرباً خطيرة ـ لا قدر الله ـ فالمقاطعة الاقتصادية وحدها تستطيع إجبار الهندوس على الاستجابة لمطالب المسلمين، ومن كان عنده شك في ذلك فليجرب؛ والتجربة خير برهان.

إن الحقيقة التي لا تحتاج إلى إثبات هي: أن قضايانا لن يحلها أحد سوانا، وأن شرور الهندوس والصهاينة والصليبيين والشيوعيين واعتداءاتهم على المسلمين لن يقهرها «شرعية دولية» ولا قرارات شجب واستنكار وإدانة وإنما تهزمها وحدة المسلمين واتفاقهم ضد أعدائهم اقتصادياً ودفاعياً وتفوقهم التقني والعلمي والعسكري.

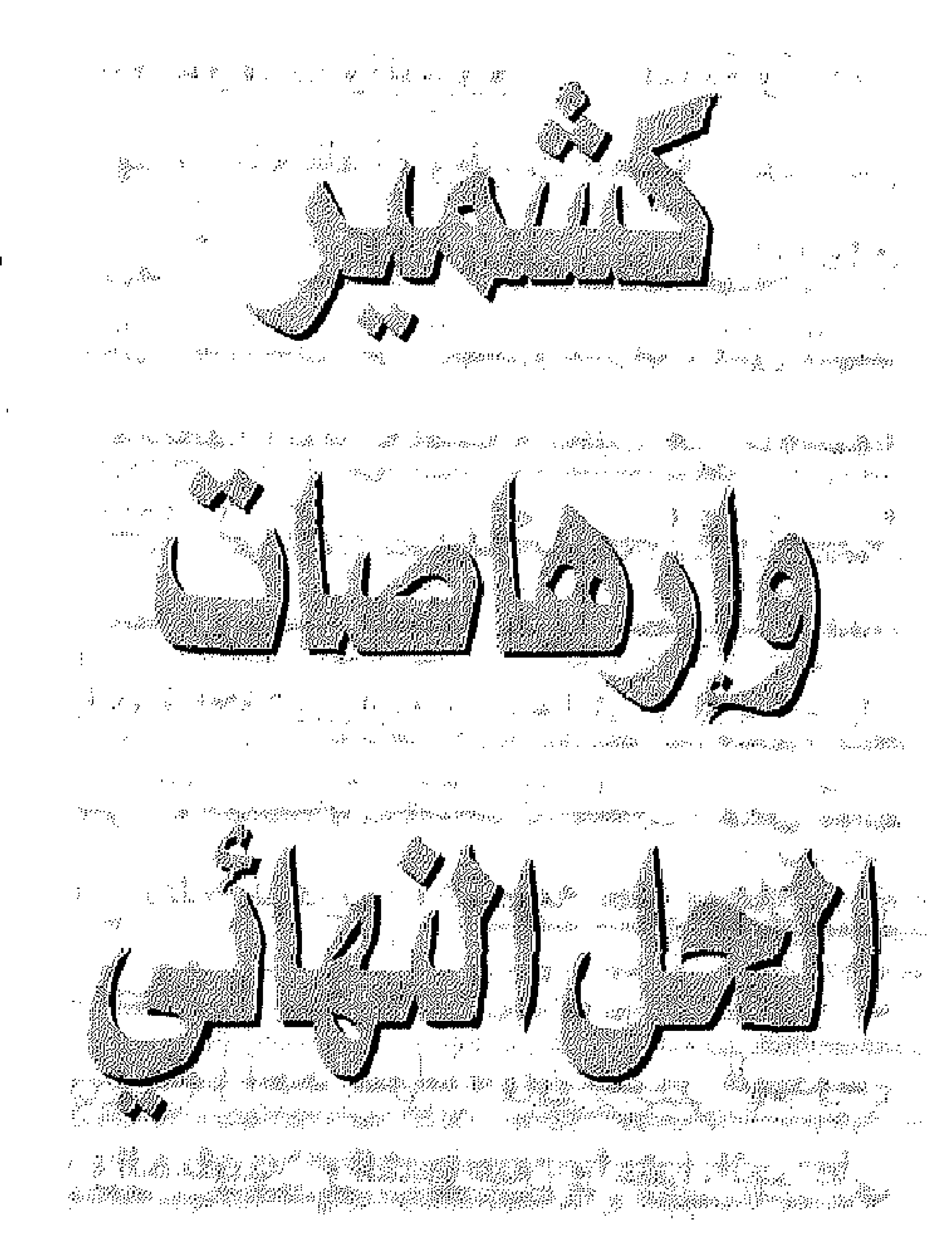
إننا ندعو إلى تعزيز دور منظمة المؤتمر الإسلامي وتفعيله، وإلى وجوب الاتحاد والتعاون بين المسلمين في كل المجالات ولا سيما الاقتصادية والعلمية والدفاعية.

والله من وراء القصد،،،

---

(١) مجلة كشمير، العدد الحادي عشر والثاني عشر، رجب ١٤١٣هـ ص ٢٣.

(٢) بيان صادر عن جمعية الإصلاح في دولة الإمارات، دبي ٧/١٢/١٩٩٢م.



د. يوسف بن صالح الصغير

يمثل عام ١٩٤٧م بداية الصراع الدموي في كل من فلسطين وكشمير؛ مع تماثل في الدور الإنجليزي الذي يتلخص في تسليم بلاد المسلمين إلى أعدائهم من اليهود والهندوس. وقد صدر قرار الأمم المتحدة الذي ينص على حق الشعب الكشميري في تقرير المصير وذلك عام ١٩٤٩م، وما يزال هذا القرار حبراً على ورق، بل ويتجاهله اللاعبون الكبار؛ لأن الهدف منه ليس إعادة الحقوق إلى الشعب المسلم في كشمير بل امتصاص غضب الناس وإعطاءهم أملاً كاذباً بالحصول على الحقوق. وقد قامت الهند بعد احتلالها ثلث كشمير بمحاولة تخدير الشعب الكشميري وكسر حدة مقاومته عن طريق إعطاء إقليم كشمير الحكم الذاتي، وأطلقت عليه اسم: (جامو وكشمير)، ويطلق على رئيس حكومة الإقليم لقب رئيس الوزراء أسوة برئيس الحكومة الهندية، وكان لها عَلَمُها الخاص وبرلمانها الخاص، واستمر هذا الوضع من ١٩٤٩م إلى ١٩٥٣م؛ حيث بدأت الحكومات الهندية المتعاقبة في تقليص ميزات الحكم الذاتي حتى تم إلغاء لقب رئيس الوزراء، وأصبح يطلق على رئيس حكومة الإقليم لقب كبير الوزراء أسوة بالولايات الهندية الأخرى.

وبقدر ما كانت هزائم باكستان المتوالية في الحروب مع الهند عاملاً أساسياً في تثبيت الهند أقدامها في كشمير، وفي تسرب اليأس إلى نفوس الشعب الكشميري، فإن الحرب في أفغانستان وخروج الروس منها قد بعث الأمل في إخراج الهنود من كشمير. وكان اشتراك عدد كبير من المجاهدين الكشميريين في حرب أفغانستان وتوجههم إلى كشمير بعد توقف الجهاد في أفغانستان بداية مرحلة جديدة في كشمير من العمل المسلح مع

بروز العامل الإسلامي وتكوُّن حركات جهادية كثيرة. ومنذ قيام ثورة ١٩٨٩م التي ما زالت مستمرة حتى الآن فقد تحولت كشمير إلى جرح مؤلم للهند يبتلع ٢٠٪ من الميزانية العسكرية وبلغ عدد القوات الهندية حوالي ٦٠٠,٠٠٠ جندي، أي حوالي عسكري هندي لكل سبعة كشميريين، وبلغت الخسائر البشرية ما بين ٢٥ إلى ٧٠ ألف قتيل، وكان هذا الصراع مؤلماً؛ حتى إن وزير الدفاع الهندي سارع فور التفجيرات النووية الهندية إلى الكشف عن نية الهند اجتياح بقية كشمير وتحدي باكستان أن تختار مكان المعركة وزمانها، وبدا للهند أنها قاب قوسين أو أدنى من إنهاء القضية بابتلاعها كلها وتحطيم باكستان الداعم الرئيس - أو لِنَقُلْ الوحيد - للمقاومة في كشمير؛ ولكن التفجيرات النووية الباكستانية أعادت التوازن للمنطقة، واستمر النزيف مع إصرار الهند على عدم بحث قضية كشمير في أي لقاء دولي أو حتى اشتراك دولة ثالثة في المفاوضات، وكان التجاهل التام هو نصيب مطالب الكشميريين بالحرية والاستقلال أو الانضمام لباكستان حتى قامت عملية كارجيل التي يبدو أنها أُعدت بدقة على أعلى مستوى من قِبَل الجيش الباكستاني والمجاهدين.

عملية كارجيل وبداية التدخل الأمريكي:

بينما كان العالم الغربي النصراني مستنفراً قواه في سبيل فصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا بدعوى تحقيق مطالب الشعب التيموري، وكالمعتاد كان علم الأمم المتحدة يرفرف فوق القوات الأسترالية التي نابت عن العالم الغربي في تنفيذ مهمة نصرة الشعب النصراني المظلوم وفي تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بإعطاء شعب تيمور الشرقية حق تقرير المصير بدأت عملية كارجيل لتذكير العالم أن هناك قراراً للأمم المتحدة عمره خمسون عاماً بإعطاء شعب كشمير حق تقرير المصير، ومع ذلك فلم يلتفت أحد لهذا القرار، بل قامت الهند بحشد قواتها وسط تأييد غربي لعملية إبادة قوات المتطرفين التي وقعت في الفخ وتصفيتها، وتم حصار المنطقة الجبلية المنيعة؛ ولكن القوات الهندية أخفقت في إعادة احتلال المواقع التي استولى عليها المجاهدون، وتكبدت آلاف القتلى من قوات النخبة، وهنا تدخلت أمريكا وقدمت عربون التحالف الاستراتيجي مع الهند، وتم استدعاء رئيس وزراء باكستان آنذاك نواز شريف إلى واشنطن، وأُجبر ليس فقط على الاعتراف بالدور الباكستاني في العملية بل وتعداه إلى إصدار أمر بانسحاب المجاهدين في حرج شديد؛ ولكن المقاومة الشرسة التي أبداها المجاهدون اضطرت الهند إلى فتح ممر آمن لهم والسماح بانسحابهم إلى كشمير الحرة.

إن زيارة الرئيس الأمريكي كلينتون للهند، ومن ثم مروره على باكستان تدل على الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في المنطقة؛ فقد أحيطت الزيارة للهند بكثير من الاهتمام وكانت عبارة: (أكبر ديمقراطيتين في العالم) تتكرر كثيراً أثناء الزيارة مما يدل على الإحترام المتبادل، بل وتكرمت أمريكا بالاعتراف أن الهند دولة قوية لها مصالحها الخاصة التي لها الحق في حمايتها؛ وذلك خلاف الدول الصغرى التي تتعامل معها أمريكا وفق مصالحها الخاصة فقط. لقد ألقى الرئيس كلينتون خطاباً مهماً في مجلس النواب الهندي صرح فيه أن سياسات الحكومة الهندية ستكون لها عواقب تتجاوز حدود الهند، ولكنه عاد واعترف بأن الهند عليها أن تتصرف حسب مصالحها؛ ومن ناحية أخرى حث الهند على إجراء حوار لحل الأزمة في كشمير التي اعتبرها عامل عدم استقرار في المنطقة. إن الفارق بين الزيارتين أن زيارة الهند فيها كثير من الغزل الدبلوماسي، وتشمل المباحثات التصدي للصين ومجالات التعاون التقني والاقتصادي وسبل دعمها.

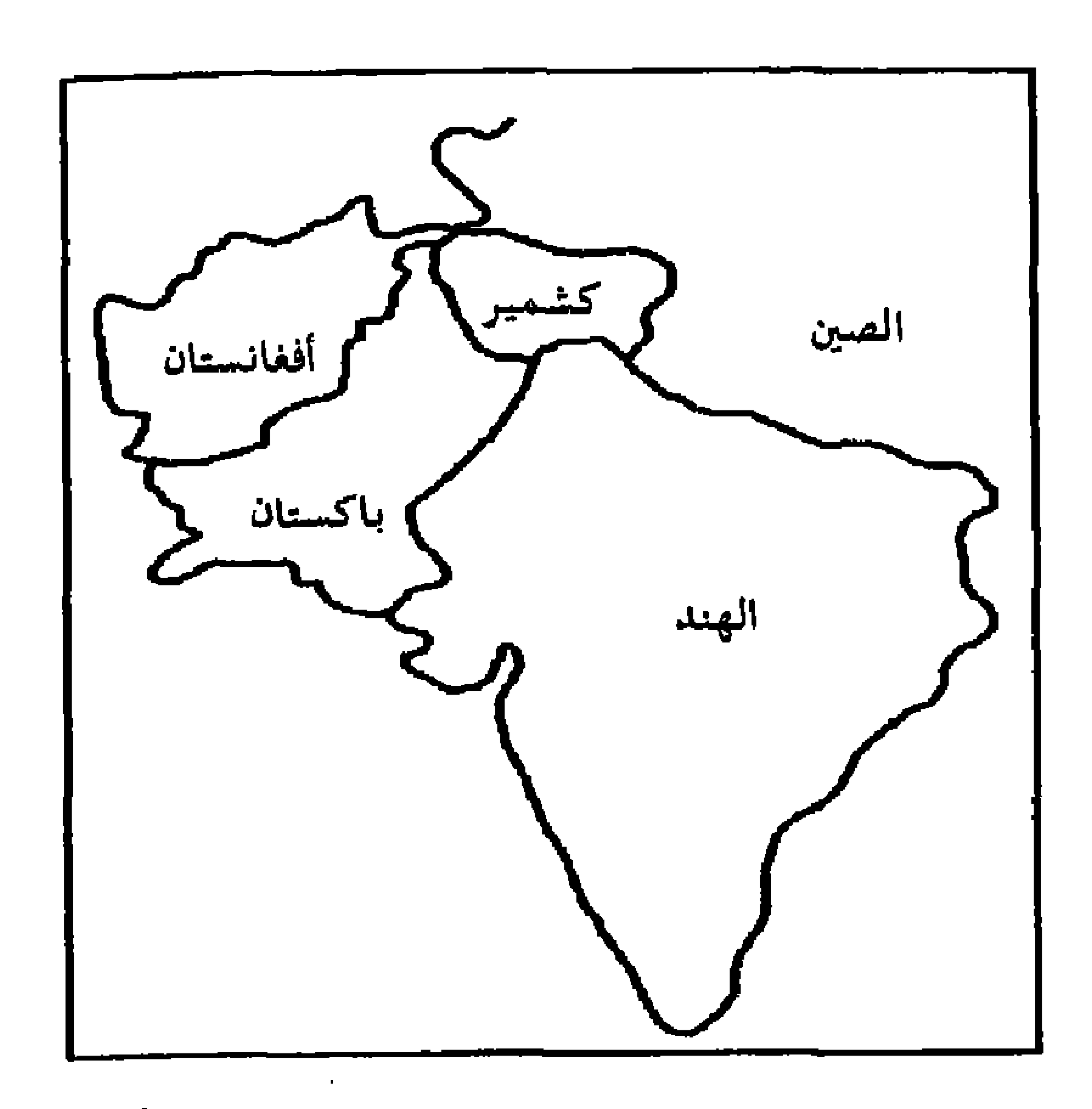
أما الزيارة لباكستان فتتركز على شكل الحكومة وتخفيف الدعم للأحزاب الكشميرية، بل إن طلب التحقيق مع الشيخ مسعود أظهر الذي أطلقته الهند بعد عملية خطف الطائرة الهندية، وأخيراً المساعدة في القبض على بن لادن والمشاركة في مطاردة الأفغان العرب والضغط على طالبان و... وفي المقابل، فإن المصلحة الباكستانية المتوخاة هي فقط عدم تصعيد عملية خنق باكستان ومقاطعتها.

إن إشارة الرئيس كلينتون إلى وجوب الحوار لحل الأزمة في كشمير مع اقتناع الهند بصعوبة الحل العسكري أو استحالته قد أدى إلى تداعيات كثيرة حولها كثير من علامات الاستفهام.

يوجد في كشمير عدد كبير من الأحزاب والجبهات ومنها حزب المؤتمر القومي الذي يسيطر على حكومة الإقليم برئاسة فاروق عبد الله، وهو حزب موالٍ للهند نوعاً ما، وهناك تحالف جميع الأحزاب الكشميرية للتحرير ويضم ٢٠ حزباً وجماعة وكان يرأسه الشيخ سيد علي شاه ورئيسه الحالي البروفيسور عبد الغني بت، وأخيراً مجلس الجهاد الموحد بقيادة سيد صلاح الدين رئيس حزب المجاهدين وهذا المجلس يضم أكثر التجمعات الجهادية وأكثرها عداءاً للوجود الهندي.

الهند وسياسة فرق تسد:

إن كثرة الأحزاب الكشميرية وتفاوت طروحاتها وأهدافها له دور مؤثر في إضعاف الجانب الكشميري وفي إيجاد مجال للمناورة في الجانب الهندي الذي يبدو أن تحركاتهم محسوبة بدقة؛ فقد بدأت عملية جس النبض والحوار مع الوسط؛ وذلك من أجل جذب الأطراف؛ فقد قامت السلطات الهندية بإطلاق عدد من قادة تحالف جميع الأحزاب الكشميرية للتحرير، وفتحت الحكومة الهندية قنوات اتصال مع قيادة التحالف بقيادة الشيخ سيد علي الجيلاني. وتصر الهند على إجراء المحادثات في



إطار الدستور الهندي أي بقاء كشمير جزءاً من الهند، وهذا ما يرفضه حالياً جميع قادة التحالف والذين يصرون من جانبهم على وجوب مشاركة باكستان في المباحثات؛ لأنها حليف أساس للمقاومة الكشميرية من جهة، ومن جهة أخرى فإن استقلال كشمير الذي يطالب به بعض الأحزاب يقتضي موافقة كل من الهند وباكستان عليه.

إن رد فعل الحكومة المحلية في كشمير على المباحثات هو طرح قانون الحكم الذاتي، وصوَّت البرلمان في جامو وكشمير لصالح العودة إلى وضع ما قبل ١٩٥٣م. وبعد حوالي شهر رفضت الحكومة الهندية بإجماع وزرائها هذا القرار. وهذا الرفض يعني عدم مناقشة القضية في البرلمان الهندي، وهذا الرفض يوحي بأن الحكومة الهندية تريد إرسال إشارة إلى الأحزاب الكشميرية أن الحكم الذاتي هو أقصى ما يمكن قبوله، وأن دور حزب المؤتمر القومي في إدارة كشمير قد شارف على الانتهاء.

وأخيراً كانت ردة الفعل الثانية أو الخطوة الثالثة ألا وهي إعلان حزب المجاهدين ـ وهو أكبر الأحزاب في كشمير ـ على لسان قائده الميداني في سرينجر وتبعه إعلان القيادة في باكستان هدنة مؤقتة لمدة

ثلاثة أشـهـر، وكـان هذا الأمـر مـفـاجـأة لـلأحـزاب الأخرى خاصة أعضاء مجلس الجهاد الموحد الذين أعلنوا رفضهم هذه الهدنة، وأصدروا بياناً فيما يلي نصه:

«يعلن مجلس الجـهـاد الموحد بعد البيـان الذي أعلنه حزب المجاهدين بكشمير المحتلة (عبد المجيد دار) وباكستـان (سـعـيد صـلاح الدين) أن إعـلان الهدنة ووقف القتال ضد قوات الاحتـلال الهندية أو إجراء مفاوضات مـعـهـا في هذا الوقت هي قـرارات مرفوضة وغير مقبولة، وأن الجهاد سيتواصل حتى تحرير كـشـمـيـر؛ لأن الهند أكدت في كل مناسبة رفـضـهـا وقف مظالمهـا واعـتـداءاتـهـا على السكان المحليين، كما أن الهند لا تسعى سوى إلى بث الفرقة بين القادة العسكريين والسياسيين داخل كشمير، ولا يهمها سوى مـصـالـحـهـا. ولقد حاولت عبر فاروق عبد الله أن تقنع الكشـمـيـريين بحيلة الحكم الذاتي وستحاول حيلاً مماثلة مع أشخاص آخرين».

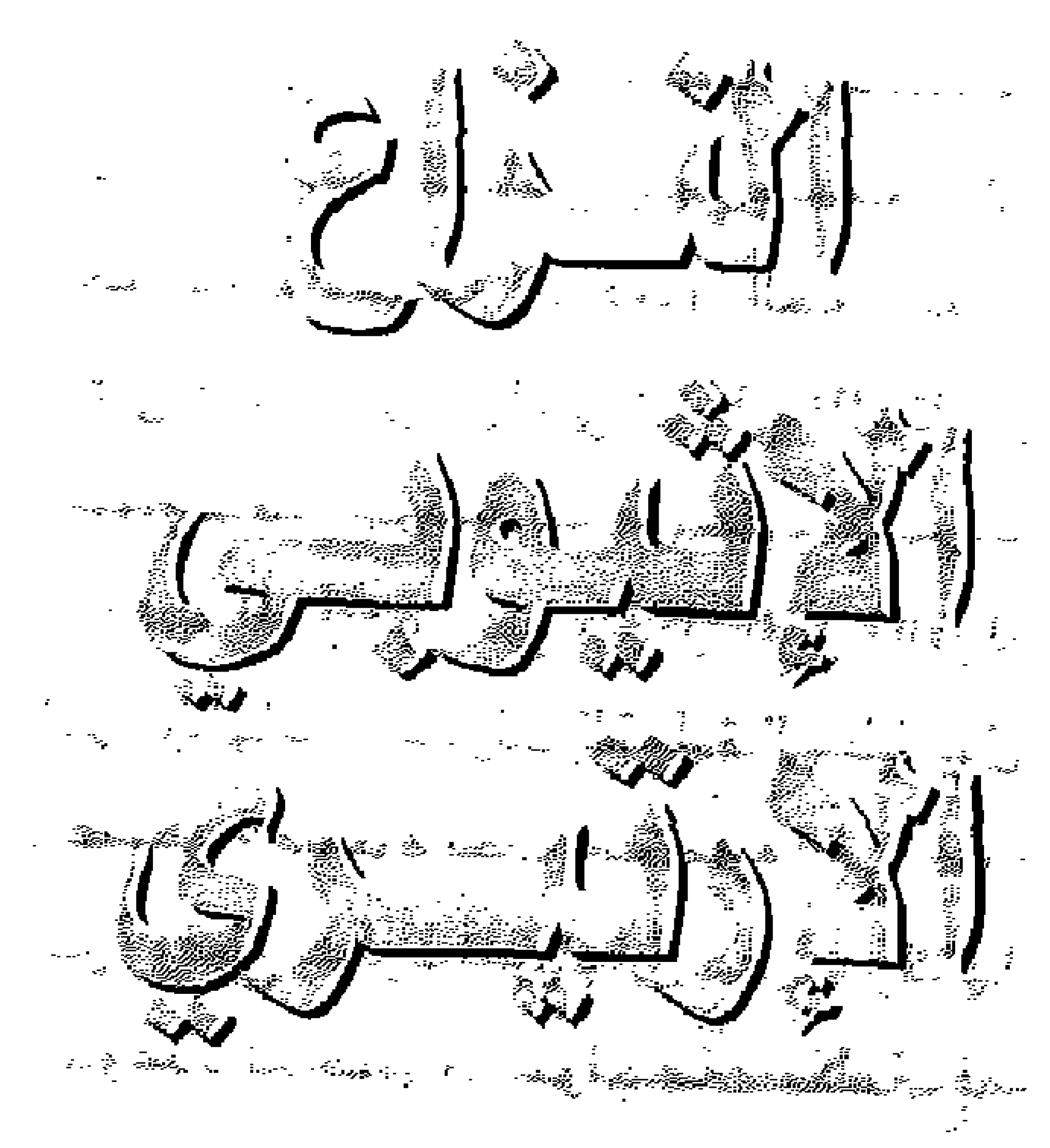
إن الانفراد بالهدنة والتفاوض سـقطة وقع فيها حزب المجاهدين، وكـمـا هو متوقع فقد أيدت أمـريكا وفـرنسـا الهـدنة، وأرسلت الهند مـفـاوضـين إلى سرينجر، وبينما تبرأت باكستان من الإعلان وأنها لا تعترف سوى بتجمع أحزاب الحرية ممثلاً وحيداً للشعب الكشـمـيـري فـإن إعـلان الحـزب للهدنة قبل مفاوضات مسبقة مع الهند وقبل استشارة باكستان أمر مستبعد.

إن أخـشى مـا نـخـشـاه هو خـضـوع باكـسـتـان للضـغـوط الأمـريكية وقـيـامـهـا بالضـغـط على حـزب المجاهدين لإعلان الهدنة وإيقاف العمل الجهادي. لقد كـان رد الأحزاب الأخـرى عنيفـاً؛ حـيث كانت تجـري مـفـاوضـات الحـزب مع الهنود تحت ضـغـط عـمليـات عنيفة متوالية مع هـجـوم إعلامي كثيف ضد الهدنة مما دفع الحزب وخوفاً من فـقدان قواعده إلى إعلان إيقاف الهدنة واستئناف العمليات بدعوى رفض الهند مشـاركة باكسـتـان في المفـاوضـات ومن أجل تسـويغ الهدنة وأن الحل لا يمكن إلا بتدخل باكستاني مباشر وهو مـا يصـعب تصـوره عـمليـاً؛ فـقـد صـرح رئيس الحزب سيد صلاح الدين لهيئة الإذاعة البريطانية أن الوقت قد حـان لِتُقْدِمَ باكسـتان على المخاطرة. وأكد صلاح أن جماعته تحت القيادة العسكرية على الإقدام على تدخل عسكري مباشر لتقديم الدعم لـهـا حتى تتم تسوية النزاع بشكل نهائي. إن تنازل الهند وإقدامها على التفاوض يجب أن يستثمر بموقف موحد من قِبَل الأحـزاب الكشـمـيـرية، وألا يكون وسـيلة رخـيـصـة للتـفـريق بينهم، ومن ثم التـخلص منهم جـمـيـعـاً! إن مسـارعة المجموعات المختلفة إلى قبول الحوار بدون تنسيق يدل على قصر نظر سياسي أو على أقل تقدير يوحي بضـغـوط غـيـر مـرئيـة تمارس على الأحـزاب المختلفة. إن قدرة المجاهدين على دخول المدن والقيام بعمليات كثيرة ومهاجمة مقرات القيادة الهندية يدل على قدرات عسكرية متميزة يجب استثمارها في خنق القوات الهندية وقطع خطوط تموينها وجـعل حـركتـهـا مكلفة جـداً، وعدم الدخول في مواجـهـات مكلفة. إن الجهاد في كشمير وعمليات نصب الكمائن وتدمير القوافل المتحركة سيجعل بقاء القوات الهندية وتمويل ٦٠٠,٠٠٠ جندي أمراً غير محتمل.

لماذا نوقف الجـهـاد عندمـا بدأ يؤتي ثمـاره التي يجب أن تتجاوز مـصـالح حزب معين أو قيادة معينة؟ إن ثمن وقف الجـهـاد يجب أن تدفـعـه الهند بالخروج من كشمير لا أن يدفعه المجاهدون خلافاً فوق خلاف وفـرقـة فـوق الفـرقـة. إن كـثـرة أسـمـاء الأحـزاب وتشابهها ليس ظاهرة صحية، وإن بداية الحل تكمن في دمج الأحـزاب المسـتـقـيـمـة على المنهج في اسم واحد ليس تحته أسماء.

وليكن شـعـارنـا قـولـه ـ تعـالـى ـ: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].





الأسباب والتداعيات والتطورات المحتملة

سعيد إسماعيل صابر

أولاً: الأسباب والآراء المتباينة حوله:

النزاع الذي انفجر بين النظامين في مايو ١٩٩٨م ظل لغزاً محيراً حتى الآن، وسيظل كذلك حتى يفصح أحد النظامين أو كلاهما عن الأسباب الحقيقية وراء النزاع الذي تطور إلى حرب ضارية؛ وذلك نظراً لتاريخ العلاقة الحميمة بين النظامين والتحالف الاستراتيجي الذي كان قائماً بينهما خلال فترة النضال المسلح الذي امتد لأكثر من خمسة عشر عاماً، وهو ما يصعب معه تصديق حدوث النزاع المسلح بينهما بصورة مفاجئة ولأسباب يمكن اعتبارها غير ذات أهمية!

إنَّ مسؤولي النظامين، ـ كلاً على حدة ـ تناول موضوع الحرب الدائرة بينهما في مؤتمراتهم الصحفية والتلفزيونية، واتهم كل منهما الآخر ببدء الحرب وتناول أسبابها من الزاوية التي تخدم مصلحة نظامه وتسوِّغ موقفه لخوض غمارها.

وقد اتهم النظام الإثيوبي نظام أفورقي ببدء الحرب وتحويل النزاع من نزاع اقتصادي إلى نزاع حدودي، وقال: إنَّ النزاع بدأ في الحقيقة مع ممارسات النظام الإرتيري للتهريب والغش التجاري الذي يتعارض مع ضوابط الاتفاقية الاقتصادية التي كانت بيننا، ثم تطور الأمر بعد ذلك مع إصدار العملة الإرتيرية [نقفة] حيث طلب منا النظام الإرتيري اعتبار الـ (نقفة) عملة موازية لعملتنا (البِرّ) ونحن رفضنا هذا الطلب بحكم تعارضه مع مصلحة بلادنا، وقررنا أن يكون التعامل التجاري بيننا على أساس خطاب الاعتماد وبالعملة الصعبة ابتداءً من ١٩/١١/١٩٩٧م، إلا أن نظام أفورقي رفض القرار، وواصل أساليب التلاعب وتهريب السلع الإثيوبية وخصوصاً البن إلى إرتيريا وإعادة تصديره إلى دول إفريقية على أنه سلعةٌ إرتيرية، كما واصلت شبكاته الخاصة ترويج دولارات مزيفة داخل إثيوبيا، مما اضطرنا إلى إلغاء التسهيلات التجارية التي كانت تمنح لهم، وأوقفنا صادراتنا من بن وشطة وبهارات وحتى حبوب الطاف إلى إرتيريا.

ومن جهة أخرى فإن النظام الإرتيري يقول: إن النزاع نشأ بسبب رغبة النظام الإثيوبي في ضم إرتيريا إلى كيانه السياسي من جديد، واتهم إثيوبيا بمحاولة احتلال بادمّي واقتطاعها من الوطن بداية لاحتلالها وإعادة السيطرة الاستعمارية عليها.

هناك بعض الدراسات التي تناولت النزاع المذكور أكدت اتهامات إثيوبيا لنظام أفورقي ببدء الحرب وتحويل النزاع

إلى نزاع حدودي وممارسات التهريب وترويج الدولارات المزيفة، كما أن بعض الصحف العربية والأوروبية أشارت أيضاً إلى حدوث ذلك. ومن الدراسات التي ذكرت ذلك دراسة بعنوان: (النزاع الإثيوبي الإرتيري) صدرت العام الماضي ١٩٩٩م من «مركز الدراسات الاستراتيجية» بالخرطوم؛ حيث تناول فيها عدد من المفكرين وخبراء بأوضاع المنطقة موضوع النزاع والأسباب التي أدت إلى وقوعه استناداً إلى المعلومات التي لديهم بهذا الشأن.

هل هناك دوافع أجنبية وراء النزاع؟

وإذا تركنا جانباً ادعاءات النظامين حول أسباب النزاع هناك فإن بعضاً من المراقبين أو المهتمين بشؤون المنطقة يتحدثون عن النزاع وأسبابه بصورة مغايرة؛ وبعض منهم يدعي أنه نزاع دبره النظام الإثيوبي بتشجيع من أمريكا من خلال وضع خطة لتضييق الخناق على نظام أفورقي اقتصادياً حتى يُدفَع دفعاً لتفجير النزاع؛ وذلك لتحقيق هذه الأهداف في نهاية الأمر:

● تحجيم غلو النظام الإرتيري أو الحد من غرور رئيسه.

● أو استبداله بقيادة أخرى من داخل نظامه تكون أكثر واقعية وانفتاحاً على الصعيدين الداخلي والخارجي، وأكثر ارتباطاً وتفاهماً مع إثيوبيا. ويضيف هؤلاء: إلا أن أمريكا مع عدم ارتياحها لنظام أفورقي لا تقبل فكرة إسقاط النظام برمته رغم قبول نظام زيناوي بها؛ وذلك خوفاً من البديل المحتمل؛ حيث تقول: إن البديل سيكون أسوأ؛ وذلك لأن قوى المعارضة الإرتيرية التي من المحتمل أن تحل محل النظام في حالة سقوطه ستكون من الذين يتبنون أفكار القومية العربية أو الإسلامية في حين أن التجمعات السياسية التي تراهن عليها إثيوبيا لتحل محل نظام أفورقي ليست من القوة والنفوذ السياسي لتقيم السلطة البديلة وحدها.

وهناك مقولة يرددها الحادبون أو المشفقون على أحوال المسلمين في إرتيريا مفادها أن الحرب بين الطرفين حرب متفق عليها بين النظامين بهدف إبادة المسلمين الإرتيريين وتشريدهم إلى خارج الوطن لتبقى إرتيريا وطناً خاصاً للمسيحيين من البلدين، ولتأكيد ذلك يقولون: لقد لجأ عدد كبير من المسلمين الإرتيريين إلى السودان من جراء هذه الحرب، كما أن عدد ضحاياهم في جبهات القتال يفوق بكثير عدد ضحايا النصارى الإرتيريين؛ إلا أن هذا هو مجرد تخمين لا يستند إلى أي بيانات إحصائية رسمية كانت أو غير رسمية.

الأسباب الحقيقية وراء النزاع:

أمَّا أنا فأميل إلى القول بأنَّ أحد الطرفين تعمد افتعال الحرب بدون تحريض خارجي؛ نظراً لاعتقاده بأنَّ تنفيذ مثل هذا السيناريو سوف يحسم له مشاكله وخلافاته مع الطرف الآخر، أو يحقق له أهدافاً أخرى. وفيما يلي أسوق الأسباب التي تدعوني لتصور بدء النزاع على هذا النحو:

١ - التشابه في طبيعة النظامين من حيث تأثرهما بموروثات الفكر الشيوعي فيما يتعلق بالسلطة وأهمية المحافظة عليها والتشبث بها.

٢ - التشابه في التحديات وفي طبيعة واتجاهات المعارضة التي واجهت النظامين قبل حدوث النزاع بينهم في مايو ١٩٩٨م.

إنَّ النظامين الإرتيري والإثيوبي هما من الأنظمة الاستبدادية ذات الخلفية الماركسية، وإن كان هناك اختلاف بينهما حيث يعتبر (نظام زيناوي) إلى حدٍّ مَّا نظاماً ديمقراطياً بسبب موقفه من قضايا القوميات ولإتاحته بعض الحقوق الديمقراطية في بلاده بالمقارنة مع (نظام أفورقي) الطائفي الذي يضرب به المثل في ممارسة الطغيان ومعاداته للإسلام وهضمه حقوق المسلمين؛ فضلاً عن أنهما يعتبران السلطة إنجازاً استراتيجياً هاماً ينبغي فعل أي شيء للمحافظة عليه والتشبث به.

إن التحديات واتجاهات المعارضة وحجمها التي واجهت كلاً منهما قبل وبعد تسلمهما الحكم فيها الكثير من التشابه أيضاً.

على الصعيد الإثيوبي: كانت هناك معارضة شديدة من الأحزاب التي تنتمي إلى قومية الأمهرا والأرومو مثل (الحزب الثوري لتحرير الشعوب الإثيوبية - وحزب الميسون) لفكرة منح الشعب الإرتيري حق تقرير المصير، وبعد تسلم زيناوي السلطة في إثيوبيا فإن أحزاب المعارضة سالفة الذكر بالإضافة إلى تيارات أخرى كانت

متحالفة مع منفستو أعلنت رفضها القاطع للتحالف الاستراتيجي الذي كان قائماً بين جبهة زيناوي وجبهة أفورقي والذي تطور عبر ٢٠ عاماً من النضال المشترك خوفاً من أن يصل كلاهما إلى السلطة، ومن ثم إحكام سيطرة قومية تقراي على إثيوبيا؛ ومع هذا فقد توقفت معارضة هؤلاء لنظام زيناوي بعد انفجار النزاع بين النظامين في شهر مايو ١٩٩٨م لأسباب قد تكون تكتيكية.

على الصعيد الإرتيري: كانت المعارضة للتحالف المذكور في نهاية الثمانينيات كبيرة وفعالة من حيث الحجم والتأثير نظراً لما كان يمثله التحالف من خطورة على مصالح المسلمين وحقوقهم، وعلى مصالح القوى الوطنية الأخرى خصوصاً بعد التدخل السافر لجبهة زيناوي في الصراعات الداخلية للثورة لصالح جبهة أفورقي ضد (جبهة التحرير الإرتيرية) خلال الفترة الواقعة بين ١٩٨٠ - ١٩٨١م وبسبب المخاوف التي كانت تحوم حول ذلك التحالف من أن تتمخض عنه دولة كونفدرالية تضم حكومة الجبهتين تكون نواة لدولة أكسوم الصليبية الكبرى وذلك نظراً لانتماء العناصر الرئيسة المتنفذة في قيادة الجبهتين إلى قومية واحدة هي قومية التقراي.

وإذا أضفنا إلى ما سبق ذكره الانعكاسات السلبية الخطيرة للنزاع الذي بدأ بين النظامين في عام ١٩٩٧م والذي أخذ في مراحله الأولى شكل الإجراءات والإجراءات المضادة في المجالات الاقتصادية والأمنية، ومنع إثيوبيا من استخدام ميناء عصب؛ حيث أدى إلى عرقلة انسياب التجارة الإثيوبية عبر ذلك الميناء، ومن ثم إلى تطور النزاع بصورة دراماتيكية إلى نزاع حدودي في مثل (بادِمِّي)، يتأكد لنا بأن الطرف الذي افتعل الحرب أو الذي بدأ بها هو نظام أفورقي؛ لأنه تصور - نتيجة للطبيعة التآمرية في تفكيره - أن اللجوء إلى مثل هذا الأسلوب سيساعده قطعاً على الخروج من المأزق السياسي والاقتصادي الذي وقع فيه نظامه، ومن ثَمَّ لسحب البساط من قوى المعارضة التي تتربص به فضلاً عن حسم المشاكل الأمنية والاقتصادية التي بينه وبين إثيوبيا لصالحه.

إن نظام أفورقي نظراً لنزعته المفرطة في المغامرة ولسوابقه المشهودة في هذا المضمار فإن إقدامه على تلك الخطوة ليس غريباً؛ إلا أن هذا لا يعني بالضرورة أن نظام زيناوي الذي تعاطى مع تلك الخطوة وعمل على تاجيجها ثم توظيفها لأقصى درجة من أجل تحقيق أهدافه أو لدرء المخاطر التي كانت تهدد نظامه ليس في حاجة إلى افتعال الحرب، أو لم تكن في نيته اللجوء إلى مثل ذلك الأسلوب وإن لم يكن على درجة نظام أفورقي نفسها من الاستعداد للمغامرة؛ وذلك لأنه هو الآخر كان في حاجة لتلك الوسيلة للتخلص من الضغوطات التي كان يتعرض لها قبل انفجار النزاع، وإن اختيار ١٢ مايو ١٩٩٨م لتفجير النزاع المسلح في منطقة (بادِمِّي) من جانب نظام أفورقي قبل الاحتفال بالذكرى الخامسة للاستقلال بأيام قليلة فقط واختيار ١٢ مايو ٢٠٠٠م لتفجير الجولة الثالثة من الحرب من جانب نظام زيناوي قبل يومين فقط من إجراء الانتخابات البرلمانية الإثيوبية ليس عبثاً؛ كما أنه لم يكن مجرد مصادفة بل هو دليل إن لم يكن قطعياً فهو ظني لما ذهبت إليه من تبادل افتعال أحد الطرفين للنزاع، واختيار توقيت تفجير المعارك في كل جولة من جولات تلك الحرب.

تداعيات الحرب المحتملة:

لقد أفرزت الجولة الأخيرة من الحرب تداعيات خطيرة على الصعيدين الداخلي والخارجي أُوجِزها في الآتي:

على الصعيد الداخلي:

١ - انهيار جزئي في جيش النظام الإرتيري، واستسلام الآلاف منهم لجيش النظام الإثيوبي، ولجوء آلاف آخرين إلى السودان.

٢ - نزوح عشرات الآلاف من المواطنين الإرتيريين إلى داخل السودان خصوصاً من المناطق الغربية لإرتيريا. والجدير بالذكر أن أعداداً كبيرة من هؤلاء هم من أبناء النصارى الإرتيريين الذين نزحوا خلال الأعوام السابقة إلى مناطق المسلمين ذات الأراضي الزراعية الخصبة في القاش وبركة وفي غيرها من مناطق الساحل للاستثمار والإقامة فيها؛ وذلك في إطار خطة استيطانية واسعة تمولها جمعيات ومؤسسات مشبوهة؛ وتشرف على تنفيذها حكومة أفورقي في غفلة من أصحابها الحقيقيين الذين حُرِمُوا من ملكيتها بموجب قانون إعادة ملكية الأراضي للدولة.

٤ - إخفاق قوى المعارضة الإرتيرية الممثلة في (التجمع الوطني الإرتيري) في استثمار نتائج النزاع وانهيار جيش أفورقي في عدد من المناطق، وفي التعامل مع تطورات الأحداث في الجولة الأخيرة من المواجهة العسكرية بين النظامين برؤية موحدة وبالتنسيق المطلوب.

على الصعيد الخارجي:

١ - تأكيد عُزلة نظام أفورقي الطائفي محلياً وإقليمياً ودولياً وتفضيل القوى الصليبية العالمية بقيادة أمريكا والدول المتنفذة في الاتحاد الأوروبي إثيوبيا؛ بدليل الضغوطات الأمريكية المكثفة التي كانت وراء قبول نظام أفورقي لاتفاق السلام الأخير في الجزائر بما في ذلك الموافقة على منح إثيوبيا منفذاً على البحر وممراً حراً إلى هذا المنفذ. جاء هذا في تصريح لمسؤول إرتيري خصَّ به جريدة البيان الإماراتية الصادرة في ٤/٧/٢٠٠٠م.

٢ - عدم إظهار الحكومات العربية الاهتمام الكافي بتطورات هذا النزاع وتداعياته المحتملة على المنطقة العربية وخصوصاً على دول حوض البحر الأحمر ودول واقعة في منطقة القرن الأفريقي.

٣ - بروز اهتمام أمريكي أوروبي متزايد لتطورات الوضع في منطقة القرن الإفريقي والنزاع بين البلدين ودورهما الحاسم في وقف إطلاق النار، وتوقيع اتفاقية السلام.

٤ - وضوح الدور الروسي في مجال المجهود الحربي الأثيوبي سواء في مجال التسليح أو في مجال التخطيط العسكري وإدارة العمليات.

٥ - تحطم جزء مهم من حلقة الحصار حول السودان باقتتال الحلفاء المفترضين بالإضافة إلى فقدان المعارضة السودانية لقواعدها مؤقتاً في إرتيريا نتيجة لظروف الحرب وانقطاع التموين.

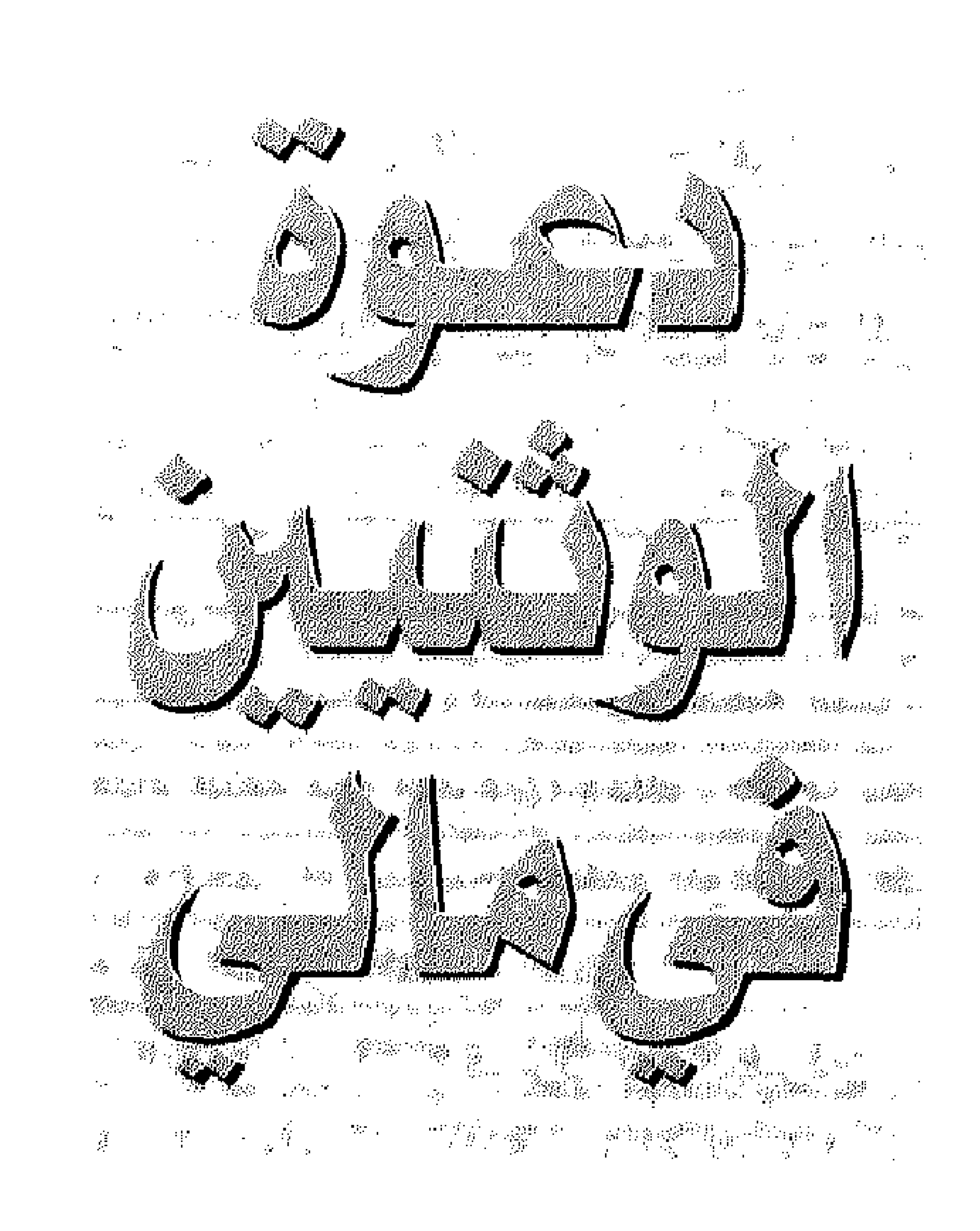
ثالثاً: التطورات المحتملة:

لقد تَوقَّعْتُ في دراسة صدرت لي من (مركز الدراسات والبحوث الإرتيرية) في شهر مايو المنصرم أن يتضمن سيناريو الحل السلمي المتوقع من مفاوضات الجزائر إقرار نظام أفورقي بملكية إثيوبيا للمناطق المتنازع عليها ضمن شروط وقف إطلاق النار، وقد حققت إثيوبيا ما أرادت من خلال انتصارها العسكري. واتفاقية الجزائر لوقف إطلاق النار لم تطالب إثيوبيا صراحة للخروج من تلك المناطق بل على العكس من ذلك فإن الاتفاقية ركزت على إحلال قوات حفظ السلام محل القوات الإثيوبية في مناطق غير متنازع عليها داخل الأراضي الإرتيرية بعمق ٢٥ كيلو متر كما توقَّعْتُ مطالبة إثيوبيا بقوة للمنفذ البحري في المفاوضات، وقد حدث ذلك بالفعل وتضمنت الاتفاقية منح إثيوبيا منفذاً على البحر حسب ما أشرت إليه في الفقرة السابقة.

وفي هذه المرحلة فإن هشاشة وقف إطلاق النار في مناطق الاحتكاك بين قوات الطرفين، وما تضمنته اتفاقية الحل السلمي الموقعة في الجزائر من فقرات وبنود غامضة تفتقر إلى التحديد في الكثير من موضوعات النزاع مثل: المناطق المتنازع عليها، والمناطق العازلة داخل الأراضي الإرتيرية بعمق ٢٥ كيلو متراً التي تحتلها الآن القوات الإثيوبية، وأخيراً موضوع منح المنفذ البحري لإثيوبيا، والموافقة المزعومة لنظام أفورقي على كل ذلك كل هذه التطورات تمثل ألغاماً مزروعة قد تنفجر في أي لحظة خصوصاً مع استمرار وجود حشود قوات الجانبين في مناطق الاحتكاك، واستمرار حالة التوتر والاحتقان وانعدام الثقة بين الطرفين؛ وذلك رغم ما يقال عن بدء اللجان والخبراء الدوليين عملهم للوقوف على حقيقة الأوضاع في المناطق المتنازع عليها.

ولو تطور النزاع، وبدأت الحرب بين الطرفين من جديد على خلفية المعلومات المذكورة أعلاه فإن من المحتمل أن يسعى النظام الإثيوبي جدياً هذه المرة لإسقاط النظام الإرتيري. وإذا أضفنا إلى التطورات الأمنية الراهنة في مناطق الاحتكاك دعوة النظام الإثيوبي مجدداً لقوى المعارضة الإرتيرية لزيارة العاصمة أديس أبابا في هذا الوقت بالذات لتأكد ذلك الاحتمال؛ خصوصاً إذا كانت الدعوة بغرض التباحث حول احتمالات التطورات المقبلة؛ وذلك لأن النظام الإثيوبي حتى الآن حقق مكاسب أكثر مما كان يطالب به ويتوقعه، والمشكلة الباقية بالنسبة له الآن هي صعوبة التعايش مع نظام أفورقي المعروف بنزعات الغدر والمغامرة بعد حرب استمرت لأكثر من ثلاثة أعوام، ومن ثم المحافظة على ما استرده من حقوق مزعومة له، أو ما حققه من مكاسب سياسية وأمنية بصرف النظر عن صحة دعاويه أو عدم صحتها في هذا الصدد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



المنتدى الإسلامي
مكتب مالي

لمحة تاريخية:

الدولة التي تعرف اليوم بـ (جمهورية مالي) تقع ضمن أراضي دولة مالي الإسلامية التي قامت وتأسست من قبَل قبائل المانديجو بين المحيط الأطلسي غرباً ونهر النيجر شرقاً وجنوباً وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي.

دولة مالي اليوم:

استقلت هذه الدولة عن فرنسا يوم الخميس ٢٢/٩/١٩٦٠م وهي دولة كبيرة مترامية الأطراف مختلفة في التضاريس؛ حيث تبلغ مُساحتها ١,٢٤٠,٠٠٠ كم٢، وعدد سكانها حوالي ٩,٤٠٠,٠٠٠ نسمة، ولها موقع جغرافي استراتيجي؛ حيث كانت حلقة الوصل بين غرب إفريقيا وشمالها عبر الصحراء في التجارة.

ونسبة المسلمين فيها حوالي ٨٠٪ بينما يبلغ عدد النصارى ١٥٪ والوثنيين ٥٪. والدولة يوجد بها أراضٍ واسعة صالحة للزراعة والرعي وتربية المواشي، وهي تحتل المركز الثاني في إنتاج القطن على مستوى القارة بعد جمهورية مصر العربية. ولكن هذه الطاقة الطبيعية لم تستغل إلا قليلاً؛ فالدولة تعاني من المشاكل الاقتصادية وتصاعد الديون الخارجية عليها، وتحتل المرتبة ما قبل الأخيرة من حيث سلم التعليم على مستوى العالم، ويعيش أغلبية الناس في فقر مدقع.

وتنقسم الدولة إدارياً إلى ثمانية أقاليم هي:

كاي، كولوكورو، سيكاسو، سيقو، موبتي، تمبكتو، غاو، كيدال، بالإضافة إلى دائرة العاصمة باماكو.

ويتألف المجتمع المالي من أجناس وقبائل منها:

البمبارا، السونكي، الفولانية، السينفو، مينقا، الدجون، بوبو، البوزو، السونغي، الطوارق، وغيرهم.

مواطن الوثنيين في مالي:

الوثنية تنتشر في مجموعة من الأجناس البشرية في مالي كالبمبارا في منطقة كولوكاني، بيلدوقو، وهي المنطقة الواقعة بين كيتا وباماكو جنوباً ونيورون وناران شمالاً. والقرى التي أسلمت على يد دعاة المنتدى الإسلامي قريباً جزء من هذه المنطقة.

وكذلك في منطقة سيقو يوجد بعض قبائل البمبارا الذين ما زالوا يدينون بالوثنية وخاصة في بعض القرى الواقعة بين ماركالا، وكولو كانكوانتومو وهي المعروفة بـ (سنة) كقرية جونغون وكوابوغو.

أما القبائل البوبو والسينفو ومينقا فيقطنون في المناطق الشرقية لـ (سيقو) وخاصة بين مدينة بلا وكوتييلا وسان وحدود مالي المتاخمة لدولة بوركينا فاسو.

ثم نتوجه في شرق البلاد فنجد مجتمع الدجون على مرتفعات الدجون في منطقة بنجاغارا وخاصة سنقو وكماديقلي والقرى التابعة لهما، كما أن للوثنيين وجوداً في منطقة واسولون وبوغوني والحدود المتاخمة لدولة ساحل العاج.

أهمية دعوة الوثنيين:

الوثنية أحد الأديان الثلاثة المنتشرة في مالي (الإسلام، والنصرانية، والوثنية).

والوثنية في الحقيقة نوّعان:

١ - **الوثنية في لباسها القديم:** هم عبدة الأصنام والأوثان، وقد وجهت دعوات إسلامية وغيرها إلى هؤلاء الوثنيين في عقر بيوتهم منذ فترة طويلة، ولا يزال بعضهم على وثنيته إلى الآن، وأسلم بعضهم إسلاماً يشوبه شيء من العادات الوثنية كالحفلات السنوية للأصنام والتمائم. وأهم وجه للديانة عند الوثنيين هو الاعتقاد بوجود قوة خفية غامضة تسيِّر حياة البشر، وهذه القوة قد تحل في الكائنات البشرية أو الحيوانات أو الأشياء.

ومن عادة الوثنيين أيضاً تقديم القرابين إلى الآلهة والأرواح في المناسبات المختلفة، وتتمثل هذه القرابين عادة في مقادير معينة من الحبوب أو الثمار، أو في كميات محدودة من الطعام أو في رأس أو أكثر من الماعز أو الغنم أو الماشية. ومنهم مَنْ لا يكتفي بهذه الأنواع من القرابين بل تقاليده تسمح بتقديم قرابين بشرية. ومن الأمثلة على المجتمعات التي تجري تقاليدها بتقديم قرابين بشرية البمبارا - فعندما تمر بالقرية أحداث خطيرة يُختار أحد الأشخاص وفي الغالب يكون شخصاً أشقر اللون لتقديمه قرباناً.

وكانت طريقة التضحية تختلف تبعاً للظروف؛ فإذا تعلق الأمر بقضية مصيرية للقرية كان الشخص يشطر إلى شطرين ويُلقى شطره الأسفل إلى المعبود، أما الجزء العلوي فيدفن.

والحمد لله؛ فقد بدأت هذه الظاهرة تنقرض كثيراً بسبب انتشار الإسلام والوعي.

ومن ملامح الوثنية المنتشرة بكثرة حتى الآن - مع انتشار الإسلام وحتى في بعض القرى التي أسلم بعض سكانها أو معظمهم - ما يسمى: «حامية القرية».

فيعتقد الوثنيون أن أرواح الأسلاف وخاصة مؤسسي القرى تسكن في أشياء معينة وخاصة الحيوانات كالتماسيح والأفاعي أو بعض الحيوانات الأليفة.

ويعتقدون أن رخاء القرية متوقف على بقاء هذه الأشياء، وأن حمايتها واجبة وفرض عين على كل أهالي القرية، والويل كل الويل لمن تسول له نفسه المساس بأمن هذا الشيء.

ويهتم المنصرون بهذه الفئة من الوثنيين وتقف معهم جنباً إلى جنب لحل مشاكلهم الاجتماعية التي لا تخرج عن دائرة الفقر والجهل والمرض فيبنون لهم الكنائس والمستوصفات، ويحفرون لهم الآبار، ويعطونهم الغذاء والكساء والدواء، ويعلمونهم مبادئ النصرانية، ويشجعونهم على شرب الخمور وتربية الخنازير على أن يشتروها منهم؛ وقد يضحي بعضهم بحياته للبقاء معهم فترة من الزمن - ليست قليلة - للدعوة إلى النصرانية بكل ما يملكه من الوسائل المادية والمعنوية.

يقول البروفيسور كري دمبلي في محاضرة له عن «الفلسفة» الإنسانية في الشيوعية والإسلام والنصرانية في باماكو: «إن إله المسلمين لا يعرف إلا تعذيب الناس بالنار، أما إله النصارى فإنه يبشر بالحب والرحمة».

وقد حقق المنصرون بسبب خططهم، ثم بالعوامل المساعدة من فقر وجهل حققوا أهدافاً عجيبة، فارتفعت نسبة النصارى من ٣٪ إلى ١٥٪ في

غضون أعوام قصيرة من عمر الزمن؛ فقد ركز المنصِّرون في دعوتهم للوثنيين على أمور :

١ - تحديد الهدف.

٢ - الداعية. ٣ - المدعو.

وهذا ما صرحوا به خلال مؤتمر سيقو في مالي عام ١٩٨٧م في محاضرة للباستير محمد إنجاي بعنوان : ما هي الطرق الناجحة للدعوة إلى النصرانية؟

ولهم وسائل أخرى مؤثرة كإذاعات حرة دينية.

أما المسلمون فمع ما يبذلونه من جهود مباركة إلا أنها قليلة في مقابل الجهود التنصيرية لأسباب كثيرة منها صعوبة الوصول إلى أماكن تواجد هؤلاء الوثنيين، وقلة الدعاة في أوساطهم، وقلة المساعدات الإنسانية في مقابل مثيلاتها التنصيرية.

٢ - الوثنية المعاصرة: وهؤلاء هم الذين يصرفون أنواع العبادة لأمواتهم، ويتقربون بها إليهم لكي تشفع لهم عند الله، والطامة الكبرى أن هؤلاء يمثلون السواد الأعظم ممن ينتمون إلى الإسلام؛ وهذا يتمثل في بناء القباب والمساجد على أضرحة أموات أوليائهم؛ وسبب تعلقهم بهذا النوع من العبادات شدة الفقر مع غلبة الجهل وضعف الإيمان، وهذه الفئة متعصبة لمبادئها ومشائخها.

وبعد : فهل الوثنيون السالفون والحاضرون بحاجة إلى دعوة إسلامية صحيحة في مالي؟

وضع الوثنيين والصعوبات التي تواجه الدعاة في مناطقهم:

منذ بداية السبعينيات والبلاد تمر بمرحلة قاسية عصيبة، وهي كغيرها من البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى؛ فبسبب تتابع الجفاف ومواسم القحط التي سادت أجزاءً كبيرة من البلاد وخاصة مناطق الزراعة والمزارعين وهي أكثر المناطق تأثراً بالوثنية تردت الأوضاع الاقتصادية، وفقدت كمية كبيرة من المحصولات والغلات الزراعية والتربة الصالحة وهي التي تعتمد عليها سكان القرى اعتماداً كلياً في تسيير الحياة اليومية، وبالإضافة أيضاً إلى بداوة المناطق وبساطة سكانها كل هذا جعل مناطق الوثنيين أراضي خصبة لتلقي الدعوة الإسلامية والإقبال على الدعاة، وخاصة إذا كانت هذه الدعوة تصاحبها المعونات الإنسانية التي تسد حاجات الوثنيين. وبالتجربة أعطت هذه المعونات ثماراً يانعة من إسلام وثنيين جدد، واستمرار من أسلم على إسلامه على يد دعاة المنتدى الإسلامي في منطقة كلوكاني «بيلدوقو».

أما الصعوبات التي تواجه الدعاة في مناطق الوثنيين فتتمثل في عدم توفر سبل المواصلات إلى بعض الوثنيين كمرتفعات الدجون لوعورة الطريق واتخاذ بعض الوثنيين سفوح الجبال وداخل الكهوف مساكن لهم مما يكون عائقاً للوصول إليهم.

ومن العوائق أيضاً : صعوبة التفاهم بين الدعاة والوثنيين في بعض المناطق؛ حيث يجد الداعية حواجز نفسية كتمسك بعض الوثنيين بمعتقداتهم القديمة واعتقادهم بأن التخلي عن هذه المعتقدات قضية مصيرية وقضية حياة أو موت.

ومن الصعوبات والعوائق أيضاً : تنافس المنصرين مع الدعاة في استغلال هذا الميدان الخصيب؛ فكثيراً ما يجد الداعية وثنياً يسلم على يديه وبعد فترة ولعدم المتابعة يتنصر هذا المسلم لظروف الحياة ومغريات المنظمات التنصيرية، فيذهب عمل الداعية أدراج الرياح، كما أن اللغة قد تشكل حلقة من سلسلة هذه الصعوبات.

فالوسائل التي يجب أن تُتَّبَعَ لكي تثمر دعوة هؤلاء الوثنيين : متابعة من أسلم منهم متابعة جادة مدروسة ومنظمة ومرتبة؛ وذلك بتنفيذ القوافل الدعوية المستمرة لصعوبة توفير داعية لكل منطقة؛ فالدولة مترامية الأطراف، وهذه القوافل تكون مزودة بالدعاة والمواد التموينية (الغذائية) والمنشورات باللغات المحلية لما لمسنا بالتجربة من أثر طيب وناجح لهذه القوافل.

ومن الوسائل أيضاً : إقامة دورات، وإنشاء مراكز محو الأمية، وتنظيم الجولات الدعوية في مختلف المناطق، وكذلك بناء المساجد في مناطق المسلمين الجدد لإحياء رسالة المسجد وتنشيطها دعوياً بإلقاء المواعظ، والقيام على حلقات تحفيظ القرآن من قِبَل الدعاة وفتح

المدارس لتعليم أبناء المسلمين مبادئ دينهم.

ومن أهم الوسائل أيضاً: تبني المشاريع الإنسانية الخيرية في مناطق المسلمين الجدد؛ لأنه السلاح المستخدم من قبَل المنصرين كبناء المستشفيات وحفر الآبار وبناء السدود وإنشاء المراكز الإغاثية في المناطق المنكوبة على أن يصاحب كل هذا برامج دعوية مدروسة جادة هادفة.

طرق دعوة الوثنيين ووسائلها في مالي:

إن دعوة الوثنيين المعاصرين أدت إلى صراعات عنيفة بين السنيين والصوفيين - ولا زالت وإن كانت قليلة - وهذا ما يفرض علينا وعلى كل عاقل ترك الاستفزاز والعصبية مع ضرورة النظر الاعتباري إلى الواقع لمصلحة الدعوة الإسلامية الصحيحة في مالي، فيا ترى ما هي الطرق والوسائل الكفيلة لذلك؟

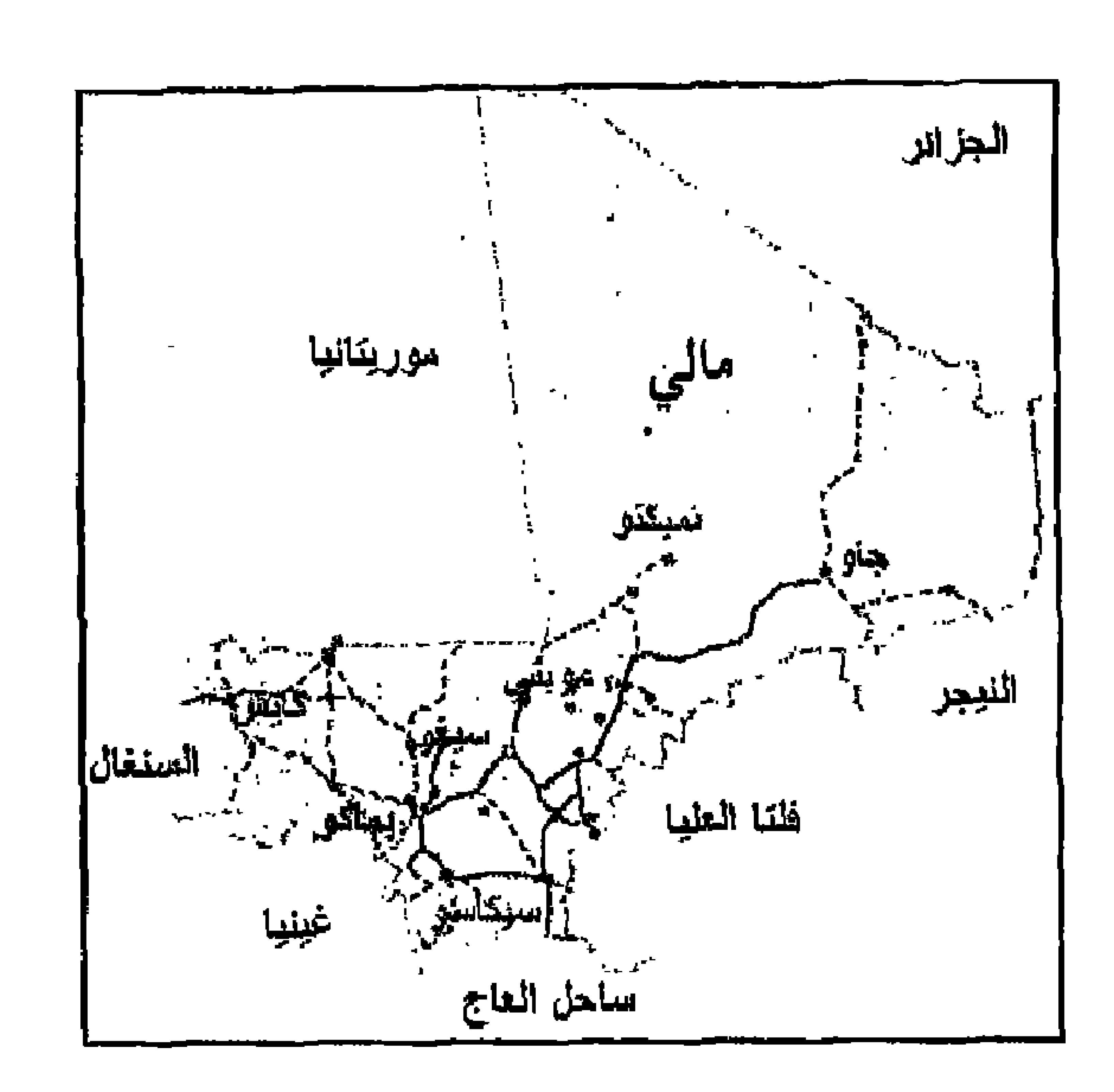
أما الطرق الدعوية: فإنها لا تخرج عما يأتي:

أ - أن يكون الوثني قابلاً للحق معترفاً به، لكن عنده نوع من غفلة وتأخر، وله أهواء وشهوات تصده عن اتباع الحق، وهو الوثني عابد الأصنام والأوثان، فهذا يُدعَى بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل، ويوجد الآن جهود ومواقف وشواهد للمنتدى الإسلامي وهيئة الإغاثة - حسب علمنا - في مناطق (سان، وكولوكاني الوثنية).

ب - أن يكون الوثني معانداً جاحداً، وهو القبوري الذي يعتقد تأثيراً لأوليائه من أصحاب القبور. فهذا يجادَل بالتي هي أحسن. ويوجد حالياً - حسب علمنا - للدعاة مواقف وشواهد وجهود دعوية مباركة مع هؤلاء القبوريين.

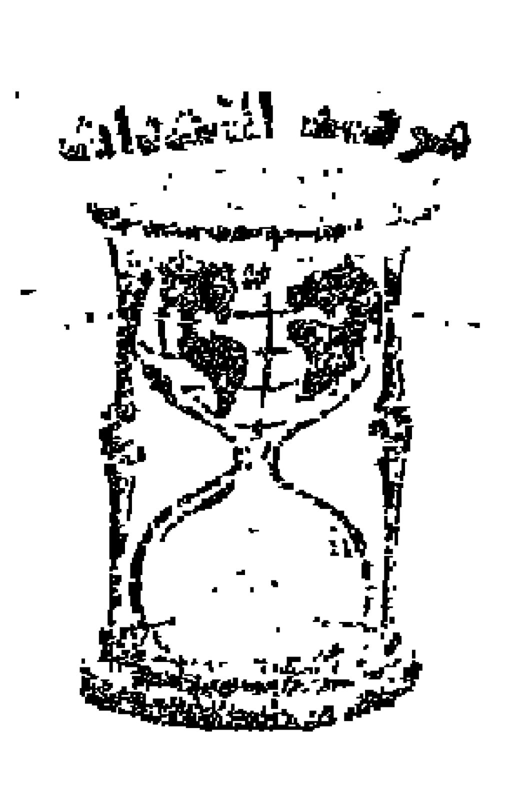
قال - تعالى -: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

أما الوسائل الدعوية: فكثيرة جداً، ولكن كلتا الطائفتين الوثنيتين تحتاجان إلى دعاة من ذوي القدوة الحسنة في العلم والعمل، فاهمين لطبيعة أحوال



الوثنيين وعاداتهم وتقاليدهم، وذلك ليتسنى لهم معرفة المدعوين أولاً، ثم التدرج والأخذ بأيديهم إلى نور الهداية والإيمان الصحيح ثانياً، وذلك باللين والرفق والتواضع والتسامح وحسن المعاملة بالزيارات التفقدية، وتكريمهم بالهدايا في المناسبات وغيرها، ثم غرس الإيمان الصحيح في قلوبهم من خلال البرامج الدعوية المخططة تخطيطاً حكيماً، كالتعليم ودروس الوعظ ونحوهما، ويمكن الاستعانة بوسائل الإعلام كلها، وخاصة التلفزة، والاهتمام بحاجتهم الاجتماعية كبناء المستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية - ككفالة الأيتام والعجزة، وبناء المساجد والمدارس، وحفر الآبار وغير ذلك، والاهتمام بتربيتهم الصحيحة؛ وذلك من خلال تنظيم اللقاءات العامة والخاصة، من دروس ومؤتمرات ومناقشات ومحاضرات، وتوزيع الكتيبات والمنشورات المترجمة بالفرنسية، وغيرها، يقوم بها دعاة من ذوي الحكمة البالغة والسيرة الحسنة في مجال الدعوة، ويكون همهم وجهودهم قاصرة على السعي إلى هداية الوثنيين وغيرهم ولا يستعجلون النتائج، بل تكون أنشطتهم الدعوية مبنية على خطط مدروسة ومحكمة، ووسائل حية مع الجدية والإتقان في العمل.

والله نسأل التوفيق والسداد على درب الحق.



يرصدها: حسن قطامش
qatamish100@hotmail.com

النية على بيعها!!

على العكس من وجهات نظر الناقدين الذين لم يذهبوا إلى هناك لم تكن قمة كامب ديفيد غير ناجحة، بل كانت هذه القمة خطوة مهمة وتاريخية للجهود التي بذلت طيلة ٥٢ عاماً لحل الصراع العربي الإسرائيلي، وبصفتي أحد المشاركين في المفاوضات منذ انطلاق مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩٢م بإمكاني القول بصراحة ووضوح إن الفلسطينيين والإسرائيليين الآن أقرب من أي وقت مضى من التوصل إلى اتفاق سلام شامل. وبالحق فإن نهاية الصراع بيننا على مشارف الرؤية، وأقول هذا من دون التهوين من الفجوات التي لا تزال ماثلة بين الطرفين بشأن كل المسائل، ويتوجب علينا الإقرار والتقدير بحقيقة أن الطرفين قدما تنازلات مهمة، وتحولا عن مواقفهما الصلبة، أما الاتهامات الموجهة للطرف الفلسطيني من رفضه تقديم تنازلات فهي تتجاهل الحقيقة والتاريخ.

فأخْذُ الفلسطينيين بالحلول الوسط أمر ليس بالجديد؛ فقد قبلنا من خلال اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣م بالسيادة الإسرائيلية على ٧٨٪ من فلسطين التاريخية، وعلى تأسيس الدولة الفلسطينية فوق ٢٢ في المائة منها فقط.

ولا نزال نعتقد أن القدس ستكون يوماً ما عاصمة للدولتين، خاصة أن مسألة القدس نوقشت بجدية وبشكل مفتوح وخلاق لأول مرة في قمة كامب ديفيد. [صائب عريقات، كبير المفاوضين الفلسطينيين، جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٩٢٥)]

لكم الله

موقفنا واضح.. نحن نجاهد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ونصرة دينه، وهذا لا يتم إلا بالاستقلال التام، وأعتقد أنه لا يصح الجهاد إذا كان الهدف منه هو الحكم الذاتي فقط؛ لأن إعلاء كلمة الله الذي هو الهدف الأساس للجهاد في سبيل الله لا يتم من خلال الحكم الذاتي، ولم تتغير قناعاتنا، بل ازدادت ولله الحمد، وازدادت ثقتنا بالله بأن النصر آت لا محالة؛ لأنه وعد من الله الذي لا يخلف الوعد، وأن المستقبل للإسلام والعاقبة للمتقين.

وقد غيَّر الإخوة المجاهدون الاستراتيجية القتالية واتخذوا المواقع الجديدة فوق الجبال المطلة على جزء من المعسكر الذي وصل إليه العدو، ويقومون بضربات سريعة قاتلة على جنوده، ويكبدونهم خسائر كبيرة.

إن في الهزيمة العسكرية المؤقتة دروساً وعظة قد لا نجدها في النصر؛ وفعلاً لسنا كثيراً من الإيجابيات بعد الحوادث، ومنها أن المسلمين ازدادوا تحمساً وتأييداً للجبهة الإسلامية، وكثير من المسلمين الذين لم ينزلوا لميدان المعركة من قبل نزلوا الآن، وحتى النساء يردن أن ينزلن إلى الميدان.

وتفخر الحكومة الفلبينية بالعمليات الوحشية؛ فالإذاعات المرئية ومحطات التلفزة الفلبينية تعرض يومياً عمليات النهب والسرقة والحرق والتدمير وعمليات تمزيق القرآن الكريم، وصب الخمور على أوراقها، وكذلك تدمير المساجد والمدارس أو تدنيسها بالنجاسات كالخمور والخنازير، يعرضونها على التلفاز لترى الجماهير أن الجيش الفلبيني تمكن من أداء مهمته. أما المسلمون المشردون فعددهم حسب إحصاء العدو الجزئي أكثر من ثلاثمائة ألف مشرد؛ والصحيح أنهم مليون على الأقل. [سلامات هاشم، رئيس جبهة مورو الإسلامية، مجلة المجتمع، العدد: (١٤١٢)].

أي تغـــيــــر؟!

تعليقاً على لجوئه إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية ، عقب مصادقة محكمة التمييز على قرار السجن الصادر بحقه ، قال نجم الدين أربكان زعيم حزب الرفاه المحظور في مؤتمر صحفي : «هناك جهات تسعى في الفترة الأخيرة لإظهاري شخصاً ينتظر العون والمدد من الغرب ، لقد كنا ننتقد الغرب قبل ثلاثين عاماً بسبب كون الدول الأوروبية كانت تتحرك كاتحاد مسيحي آنذاك ، وترفض قبول تركيا بين صفوفها بدعوى أنها مسلمة ، غير أن الغرب تغير أيضاً وبدأ يدافع عن حقوق الإنسان ، ولذا شرعنا بدورنا بمساندة الغرب وحملة الدفاع عن حقوق الإنسان التي تقودها محافل المثقفين» .

[مجلة المجتمع ، العدد : (١٤١٢)]

وهذه حقوق الإنسان!

أجريت دراسة استقصائية لاستطلاع الرأي العالمي حول سؤال : ما أهم شيء في الحياة؟ وهل يتمتع الإنسان بحقوقه ويمارس الديمقراطية؟ الدراسة نفذها معهد جالوب الدولي وشملت ٧٥ ألفاً من البالغين في ٦٠ دولة ، بتوصية من هيئة الأمم المتحدة للوقوف على أوضاع سكان العالم ، حتى تستطيع الأمم المتحدة تحديث دورها وتحديد أهدافها في الألفية الثالثة لخدمة البشرية . جاء في الاستقصاء أن الصحة الجيدة والحياة الأسرية السعيدة والحصول على فرص عمل أهم شيء في الحياة ، وبخصوص حقوق الإنسان فقد أظهر المشاركون في الدراسة عدم ارتياحهم لمستوى احترام حقوق الإنسان في معظم دول العالم ، بينما أعرب أقل من ١٠ ٪ من المشاركين عن اعتقادهم بأن حقوق الإنسان تحترم ، وأن حماية حقوق الإنسان هي أهم عمل لا بد أن تضطلع به الأمم المتحدة .

[مجلة الأهرام العربي ، العدد : (١٧٦)]

وهذه حقوق الحيوان!!

ثمة مشروع قانون قدم إلى الكونجرس الأمريكي يدعو إلى فرض عقوبات على الدول التي تنتهك فيها حقوق القطط والكلاب . فتقتلها مثلاً وتستغل جلودها لتحقيق الأرباح والمكاسب المادية .

ويتبنى المشروع ويقود المعركة لإقراره السناتور وليم روث رئيس اللجنة المالية في مجلس الشيوخ والنائب جيرالد كليركا في مجلس النواب . والذي أوصل الموضوع إلى الكونجرس نتائج تحقيقات سرية قامت بها أبرز منظمات الرفق بالحيوان في الولايات المتحدة ؛ إذ بعد تحقيقات طويلة تبين لها بالأدلة القاطعة أن الصين وتايلاند والفلبين تمارس تجارة تحقق منها مئات الملايين من الدولارات سنوياً . تقوم على تربية الكلاب والقطط وذبحها واستخدام جلودها في صناعة القفازات والحقائب والأحزمة والمعاطف ومقاعد الركاب في السيارات ولعب الأطفال . وأثبتت التحقيقات أيضاً أن هذه المنتجات بل والجلود نفسها تصدر إلى الولايات المتحدة تحت أسماء جلود حيوان كالثعلب والذئاب والمينك وغيرها .

وتبين للجنة أن البلدان الثلاثة تقتل سنوياً ما لا يقل عن مليوني كلب وقطة للتجارة بجلودها وفرائها . وقال النائب كليركا : إنه إذا كانت تلك الدول لا تأبه بحياة الكلاب والقطط فإنه يجب ألا تجد لبضائعها سوقاً في الولايات المتحدة . ويجب فرض عقوبات تجارية عليها .

[مجلة المجلة ، العدد : (١٠٧١)]

كرامات المظلومين!!

صفقة أسلحة خفيفة تستخدم لمقاومة المتظاهرين تسلمتها دولة عربية أخيراً تبين أنها غير صالحة للاستخدام ؛ حيث ظهر أن قاذفات القنابل المسيلة للدموع لا تقذف ، مما يعني أن القنابل ستنفجر في المكان نفسه الذي يقف فيه مطلقوها .

[مجلة الوسط ، العدد : (٤٤٦)]

وقذف في قلوبهم الرعب

«إنها الحرب الأبدية التي كتب علينا أن نواجهها هنا في نضالنا على البقاء وسط هذه البقعة الفظيعة من العالم، من أراد أن يرى دليلاً على الصعوبة التي تواجهها دولة إسرائيل في مسعاها للبقاء فلينظر إلى ما تقوم به حماس ضدنا»، هكذا علق عامي إيلون رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي السابق على قيام الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة بالكشف عن معمل المتفجرات في مدينة نابلس، ويواصل إيلون تعليقه قائلاً: «يجب ألا يضلل أحد فينا نفسه؛ فنحن نواجه العدو الأشرس في العالم بأسره، نحن نواجه حركة ترى في حربها ضدنا واجباً مقدساً من الدرجة الأولى، بإمكاننا نحن والسلطة الفلسطينية أن ندعي أننا قد حققنا الانتصار عليها بعض الوقت لكن ما هو أكيد أن كل من يعتقد أن الصراع بيننا وبين قوى السلام في المنطقة ينتهي بحل أمني هو ببساطة مخطئ ومضلل، عليكم أن تتذكروا المرات العديدة التي أعلنا فيها موت حماس واندثارها من الوجود تماماً، لكن دوماً كنا نفاجأ بأننا كنا نبالغ في تمنياتنا، هم ببساطة يريدون الخلاص منا للأبد». [جريدة السبيل الأردنية، العدد: (٣٤٦)]

فضح أهل الفضائح

إن الذين يقومون بالترويج للجنس والاجتراء على مختلف القيم الأخلاقية يحتجون بمقولتين أساسيتين: الأولى: ترفع شعار المصارحة والمكاشفة، وتنادي بالحرية المطلقة وإحياء شعار: (لا محظور في الصحافة). المقولة الثانية: تستشهد بأن الكلام في الجنس (والبوح) بتفاصيله ليس أمراً جديداً على الثقافة الإسلامية التي حفلت على مدار تاريخها بألوان مماثلة من المعالجات، خاضت في كل شيء ولم تخف أي شيء. لي تعليق على هاتين المقولتين ألخصه فيما يلي: صحيح أن المصارحة والمكاشفة مطلوبة في كل شيء، لكن السؤال هو: كيف؟ وفي أي سياق؟ ومن على أي منبر؟ وبأي هدف؟ ومن أي طرف؟ ذلك أن البوح بهدف البوح وعلى صفحات الصحف السيارة قد يمثل دروساً في الانحراف وسبيلاً إلى إشاعة الفاحشة بين الناس، ثم إنه ليس صحيحاً أنه لا يوجد محظور لا في الصحافة ولا في أي مجال آخر، حيث تظل هناك خطوط حمراء يتعين احترامها، وتتمثل في ثوابت المجتمع وقيمه الأساسية، ومن أسف أن الذين يرفعون ذلك الشعار في عالمنا العربي يسوِّغون به الجرأة على القيم الأخلاقية والدينية، لكنهم يلتزمون منتهى الحذر حين يخوضون في المسائل السياسية. ثم إن الثقافة الإسلامية حفلت بكتابات خاضت في الجنس وغيره من الأمور الحساسة أخلاقياً واجتماعياً؛ لكننا ينبغي ألا ننسى أن كتابات تلك الأزمنة لم تكن في متناول العامة، حيث كان الوراقون ينسخون الكتب ويوزعونها على دوائر محدودة، بينما تكفلت الطباعة في زماننا بالترويج واسع النطاق لأي كلام مكتوب، والقدر المتيقن أن الذين كانوا يتصدون لمثل تلك الأمور لم يكونوا يقصدون الإثارة أو الترويج لبضاعتهم، وإنما كانوا يخوضون فيها لأسباب تتعلق بتعميق المدارك والدعوة للاعتبار، وتلك ملابسات تختلف تماماً عن تلك التي نواجهها في زماننا. لذا لزم التحذير والتنويه والله أعلم!

[فهمي هويدي، مجلة المجلة، العدد: (١٠٨)]

وإذا أصبحتم أغلبية!؟

غربان مجلس الأمة الحالي لديهم نظام ديمقراطي قائم على أن الناس أحرار في اختياراتهم، وأن الناس متساوون في الحقوق والواجبات، وأن الناس يخضعون بشكل عام لنظام الدستور والإيمان بكل ما فيه، ومع هذا فقد قيدوا الحرية بحجة حماية الثوابت، واستلبوا حقوق الآخرين بحجة تثبيت العادات والتقاليد، واضطهدوا الغير بدعوى أنه شذ عن الإجماع أو خالف رأي الأغلبية. كل مجتمعات العالم تم حكمها بالأغلبية، وكل أحكام الأغلبية هي أحكام استبدادية تعسفية لأنها لا تأخذ بالاعتبار حقوق الآخرين ومصالح الأقليات. النظام الديمقراطي هو النظام الوحيد الذي تحكم بموجبه الأمة مجتمعة «الأمة مصدر السلطات» وتراعي فيه حقوق الأفراد قبل الجماعات، وتقيد فيه قرارات الأغلبية بمبادئ ديمقراطية راسخة ومواد دستورية واضحة. الأغلبية لا تحكم في النظام الديمقراطي؛ لأنها مقيدة بحقوق الأقلية، والأكثرية «ليس بيدها شيء» لأنها محكومة بمبادئ وقواعد دستورية. والنظام هنا في هذه الدولة - ورغماً عن خبراء التخلف ومدعي الفقه الدستوري، وفقاً للمادة السادسة - «ديمقراطي» السيادة فيه للأمة وليس لمن ملك الأغلبية وليس للشريعة الإسلامية كما ادعى بعض المتفيقهين الدستوريين. والدستوريون هنا نسبة إلى الحركة الدستورية يعني الإخوان وليس إلى الفقه الدستوري، فهل يعي هذه الحقيقة الابتدائية من يتتصر بقصد أو بدونه لمحاول هدم النظام الديمقراطي في الكويت؟

[الكاتب اليساري الكويتي، عبد اللطيف الدعيج، جريدة القبس، العدد: (٩٧١٦)]

هناك فرق.. بل فروق!!

١ - يشهد معدل الخصوبة في دول المغرب العربي منذ ثلاثين عاماً تراجعاً متواصلاً يهدد تجدد الأجيال، وفق تقرير أعده المعهد الوطني الفرنسي للسكان. وقال المعهد في دراسة له، إن تونس حققت المعدل الأدنى الضروري لضمان سلامة التوزيع الديموغرافي للسكان مع ٢,٢ طفل لكل امرأة في ١٩٩٨م وربما بلغ المعدل ١، ٢ في عام ١٩٩٩م.

أما في الجزائر فانخفضت معدلات الخصوبة إلى ٣,١ لكل امرأة في ١٩٩٦م و١٩٩٧م.

وقال المعهد إنه إذا استمرت الحال على ما هي عليه فإن معدل الخصوبة في العام ألفين لن يتجاوز ٢,٥ طفل لكل امرأة في المغرب و٢,٣ في الجزائر و٢ في تونس. وبدأ معدل الخصوبة بالتراجع في هذه الدول في مطلع السبعينيات؛ إذ كان معدل الخصوبة في الجزائر في مطلع السبعينيات ٨,١ طفل وفي المغرب ٧ أطفال لكل امرأة في ١٩٧٢م. وعلى سبيل المقارنة احتاجت فرنسا قرابة ٢٠٠ سنة لينخفض معدل الخصوبة فيها من ٦ أطفال للمرأة في منتصف القرن ١٨ إلى حوالي طفلين لكل امرأة في الثلاثينيات من القرن العشرين. أما الدول المشمولة بالدراسة فلم تحتج سوى ٢٥ عاماً لذلك! ارتفعت نسبة النساء اللواتي يستخدمن وسيلة لمنع الحمل من ٥ ٪ في نهاية الستينيات إلى ٣١٪ في ١٩٧٨ و٦٠٪ في ١٩٩٤- ١٩٩٥م. وكانت ٥٪ من المغربيات يستخدمن حبوب منع الحمل في الستينيات مقابل ٥٩٪ حالياً. أما الجزائر فاتجهت إلى خفض سن الزواج غداة الاستقلال مما أدى إلى ارتفاع معدل الخصوبة إلى أقصى مستوى في السبعينيات. إلا أن استخدام حبوب منع الحمل انتقل من ٨٪ في ١٩٧٠ إلى٥٧٪ في ١٩٩٥م. [جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٩١٩)]

٢ - أعلنت سلطات سنغافورة أنها ستقدم مكافآت مالية للآباء الذين ينجبون أكثر من طفل، وجاء هذا القرار في محاولة لتقليص تراجع الخصوبة في هذه الجزيرة الواقعة جنوب شرقي آسيا. ومن المقرر أن تفتح الحكومة في إطار الخطة الجديدة حساباً مصرفياً خاصاً للأزواج الذين ينجبون طفلهم الثاني أو الثالث، حيث تقدم لهم مبالغ مالية سنوية إلى أن يصل الطفل عامه السادس وستدفع في هذا الصدد مبلغ مئتين وواحد وتسعين دولاراً أمريكياً في السنة، إضافة إلى خمسمائة واثنين وثمانين دولاراً لدعم مصاريف الأبوين، وستضاعف هذه المكافآت بالنسبة لمن ينجبون طفلهم الثالث، كما سيسمح للأمهات اللواتي ينجبن طفلهن الثالث بالحصول على إجازات ولادة، خلاف ما هو معمول به حالياً، حيث تقتصر هذه الإجازة على الطفلين الأولين، وقال رئيس وزراء سنغافورة إن حكومته ستدفع مبالغ مالية تصل إلى أحد عشر ألفاً وسبعمائة وخمسة وستين دولاراً أمريكياً لتعويض الدخول التي تفقدها الأمهات خلال العطلة التي تستمر ثمانية أسابيع. [موقع هيئة الإذاعة البريطانية www.bbcaraic.com]

(إلف) والمألوف!!

اعترف مسؤول فرنسي أمام المحكمة أن شركة (إلف اكين) النفطية الفرنسية كانت تقوم عبر شركة فرعية خفية في جنيف اسمها (إلف تريد) بتمويل سري لمسؤولين ورؤساء حكومات وجمهوريات إفريقية، بغية إفسادهم وشراء ولائهم. وتخلى أندريه نارالو المسؤول السابق عن إفريقيا في الشركة عن إدمانه إخفاء المعلومات وقال إن عمولاته بلغت ٦٠٠ مليون فرنك في حسابه الشخصي الأصلي؛ فيما أشارت مصادر أخرى إلى أن هذه العمولة وصلت إلى ٨٠٠ مليون فرنك. ويتم تحويل جزء من هذه المبالغ عن طريق البنك الفرنسي - الإفريقي (فيبا) قبل أن تصب في حسابات رؤساء وزراء وجمهوريات البلدان الأجنبية أي غير الفرنسية. ويتم استخدام هذه الأموال في استخدام الحرس (المقربين) ومن ضمنهم فرنسيون من أنصار الزعيم اليميني شارل باسكوا أو في صرفها في البذخ حيث وصلت مصروفات زوجة رئيس الجابون، ايديث بونجو، إلى ١,٥ مليون فرنك في اليوم اليوم الواحد. وهكذا يتم الضغط على ميزانيات الدول من أجل....

وتؤكد مصادر موثوقة بأن الجابون كانت هي التي تستعمر فرنسا وليس العكس في عام ١٩٨٢م، وكان عمر بونجو، الذي يعتبر صديقاً شخصياً لجاك شيراك يقوم بتمويل المرشحين من أنصار صديقه الفرنسي.

[جريدة البيان الإماراتية، العدد: (٧٣٧٦)]

هل لديهم شرف؟!

في خطوة وصفت بـ «الاستفزازية» وغير المسوَّغة أقدم مجلس الشيوخ الأمريكي «الكونغرس» على سن مشروع قانون لمكافحة ما سمي بـ «جرائم الشرف» وصولاً لإقراره ومن ثم البدء في تطبيقه ضمن برامج ضغوطات السياسة الأمريكية الخارجية على بلدان العالم الثالث وبالذات منها الدول العربية والإسلامية. واعتبر مراقبون أن سَن الكونغرس الأمريكي لمشروع هذا القانون سابقة لم تحدث في السياسة الدولية فضلاً عن اعتباره تدخلاً سافراً في خصوصيات الدول العربية والإسلامية. محللون أفادوا أن مصادقة مجلس الشيوخ الأمريكي على مشروع القرار ورفعه ليصادق عليه من قبل مجلس النواب يعد سابقة خطيرة لم يسجل مثيل لها في أي من المحافل الدولية، وأضافوا أن الكونغرس الأمريكي سيطلب بعد إقرار هذا القانون التدخل المباشر في شؤون الدول المعنية تحت مظلة حماية أرواح الأبرياء من النساء مؤكدين أن الأردن سيكون على رأس هذه الدول حسب ما جاء في أحد التقارير المتعلقة بهذا الصدد.

[صحيفة السبيل الأردنية، العدد: (٣٤٤)]

وهذه أسرتهم؟!

١ ـ أظهر مسح جديد أجري مؤخراً في شيكاغو الأمريكية أن أكثر من نصف أطفال الولايات المتحدة يعيشون الآن مع أحد الوالدين، وليس مع الوالدين معاً نتيجة لتراجع معدلات الطلاق.

[مجلة الكوثر، العدد: (١٠)]

٢ ـ ديك تشيني المرشح نائباً لجورج بوش الابن: سُئل عن موقفه من سياسة الإدارة الأمريكية الحالية إزاء تجنيد الشواذ جنسياً في الجيش والمعروفة باسم سياسة (عدم الجهر) التي تغض الطرف عنهم وتتبنى إزاءهم سياسة متسامحة فقال: (أعتقد أنني سأساند هذه السياسة، وأعتقد أن هذا أفضل الممكن في هذه الظروف). وسئل تشيني عن ابنتيه وإحداهما معروفة بشذوذها الجنسي فقال إنه يفخر بابنتيه وأن الحفاظ على خصوصية حياتهما الشخصية حق يجب عدم المساس به.

[جريدة البيان الإماراتية، العدد: (٧٣٤٩)]

العمل على أشده

فتحت العاصمة الأسترالية كانبيرا الباب نحو تأسيس إذاعة «نصرانية أصولية» للبث باتجاه دول شرق وجنوب شرق آسيا، الذي من المعتقد أن يثير غضب وحساسيات عدد من الدول الآسيوية المسلمة وحتى البوذية والشيوعية التي ستغطيها دائرة الإذاعة التي تقود حملة التنصير؛ فقد دفعت منظمة «كريستيان فيزن» البريطانية مبلغاً مالياً لم يعلن مقابل إيجار أقوى محطات البث في منطقة جنوب المحيط الهادي التي كانت تستخدم سابقاً من قِبَل إذاعة أستراليا بالقرب من داروين.

وستبث الإذاعة الجديدة برامج دينية وأغاني مسيحية وبرامج صحية وثقافية وأخرى لم تحدد، وتؤكد الجماعة النصرانية الإنجيلية أن إذاعتها التي ستكون باسم: «إذاعة الصوت المسيحي» لن تكون سياسية التوجه والمضمون، لكن المنتقدين لها من الأستراليين يعتقدون أن مضمونها الديني سيزعج الدول الآسيوية التي سيستمع سكانها لبرامجها عبر أجهزة محطة «كوكس بينونسيلا». وتغطي المحطة معظم مناطق الصين وإندونيسيا وماليزيا وتايلاند والدول الأخرى المجاورة من أقصى الصين وكوريا شرقاً إلى الهند غرباً. لكن الصين وإندونيسيا هما هدف المحطة الأول: وكلاهما يتعرض لحملتي تغريب وتنصير شديدتين منذ عقود، وكانت الصين تحاول دائماً الضغط على كانبيرا من أجل عدم بث إذاعة دينية موجهة لسكانها من أراضيها في السنوات الماضية.

وتقول المنظمة النصرانية المؤسسة ضمن أهداف بث الإذاعة: إنها تهدف إلى «تعريف الناس بالمسيح، ونشجع من يؤمن به ويقبله ابناً للرب ليصبحوا مؤمنين حقيقيين بربهم. وقد تأسست هذه المنظمة المتخصصة بأنشطة التنصير عبر وسائل الإعلام عام ١٩٨٨ وتصف نفسها بالقول: نحن شركة خيرية أمرها الرب بإيصال رسالة المسيح عيسى لمليار إنسان عبر استخدام وسائل الإعلام الحديثة.

[مجلة الإصلاح، العدد: (٤٣٠)]

لمن كان له قلب

عكست دراسة في بريطانيا الاعتقاد السائد في الغرب بأن التعايش بين رجل وامرأة بدون زواج يقيهما من منغصات الزواج. وأظهرت الدراسة التي أجرتها الباحثة الاجتماعية باتريسيا مورغان ونشرتها في كتاب أن الأطفال الذين يولدون لأبوين غير متزوجين يعانون من مشكلات نفسية وتربوية، ولو كان الأبوان يعيشان تحت سقف واحد. واتهم الكتاب وعنوانه: (زواج النخبة) المسؤولين والمنظمات الاجتماعية بالخضوع لمجموعة من البوهيميين والعبثيين الذين «يروجون لنظرية كاذبة مفادها: أن الزوج لا يعدو كونه ورقة رسمية». وضم الكتاب نتائج إحصاءات في مختلف أنحاء العالم دلت على اللذين يعيشان في ظل «التعايش» يعانيان قدراً أكبر من التوتر والاكتئاب، إضافة إلى كونهما أكثر ميلاً إلى الخيانة من اللذيْن يقترنان رسمياً. وانتقد الكتاب وجهة النظر الرسمية القائلة إن بعض أشكال التعايش أكثر ثباتاً من الزيجات؛ لأنها تنتهي بالإنجاب، مشيراً إلى أن ثمانية في المئة فقط من أتباع الفئة الأولى ظلوا تحت سقف واحد بعد إنجابهم طفلهم الأول. ولاحظ الكتاب اتجاهاً حالياً لدى الشباب إلى تفضيل الزواج على التعايش، مشيراً إلى أنه في السنتين الأخيرتين فضّل ٢٢ في المئة من الرجال و١٧ في المائة من النساء التعايش في مقابل ٤٥ في المئة من الرجال و٥١ في المئة من النساء الذين اختاروا الاقتران رسمياً.

[جريدة الحياة، العدد: (١٣٦٧١)]

وفعلتها.. يا وحيد!!

قال الرئيس الإندونيسي عبد الرحمن وحيد الذي يرأس أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكان: «إنه يجب أن تكون لإسرائيل سيطرة إدارية على القدس» ولكنه أبلغ الصحافيين أن السيادة السياسية على المدينة المقدسة يجب أن توكل إلى هيئة دولية تضم ست دول مجاورة والأمم المتحدة» وتحدث وحيد بعد اجتماع سري مع شمعون بيريس وزير التعاون الإقليمي الإسرائيلي وقبيل وصول ياسر عرفات إلى البلاد، وقال وحيد: «إخفاق قمة كامب ديفيد في يوليو الماضي يرجع إلى حقيقة أنه لم يتم بحث سوى شكل واحد من أشكال السيادة، ولكن إذا قسمنا السيادة فسيختلف الأمر» وقال وحيد: «من الأفضل أن نفرق بين السيادة الإدارية التي ستكون في أيدي الإسرائيليين وبين السيادة السياسية التي ستتولاها لجنة تضم سبعة أعضاء هم: مصر، والأردن، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، وإسرائيل، والأمم المتحدة». وقال وحيد: إن «إندونيسيا تفخر بأن تساعد في مسيرة السلام في الشرق الأوسط».

وكانت زيارة بيريس لإندونيسيا أول لقاء على هذا المستوى الرفيع بين البلدين منذ سبع سنوات.

[جريدة الأنباء، العدد: (٨٧١١)]

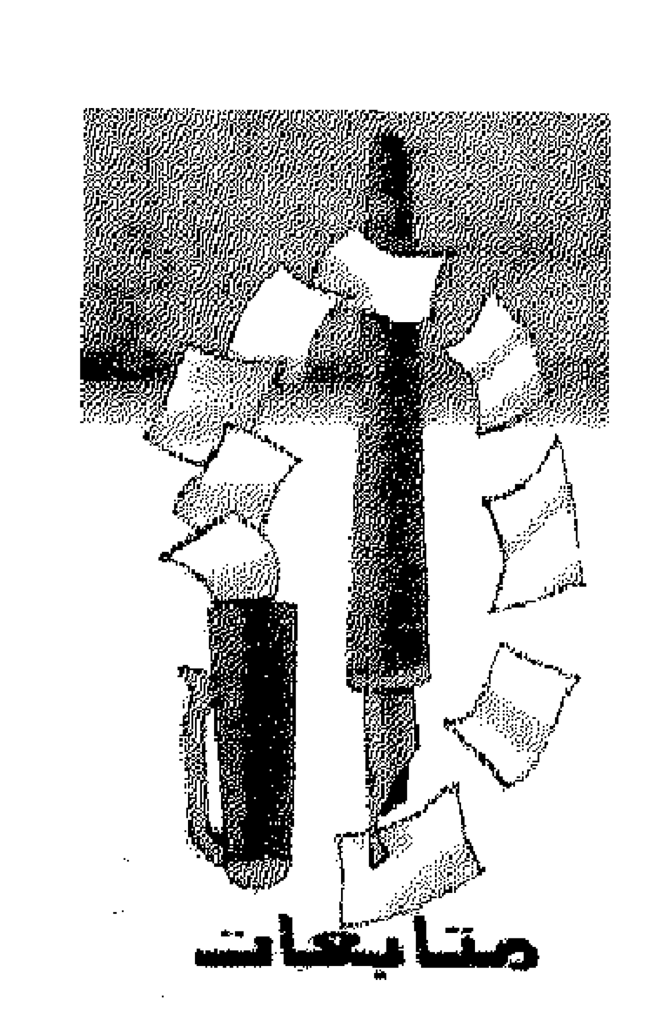
شكراً!!

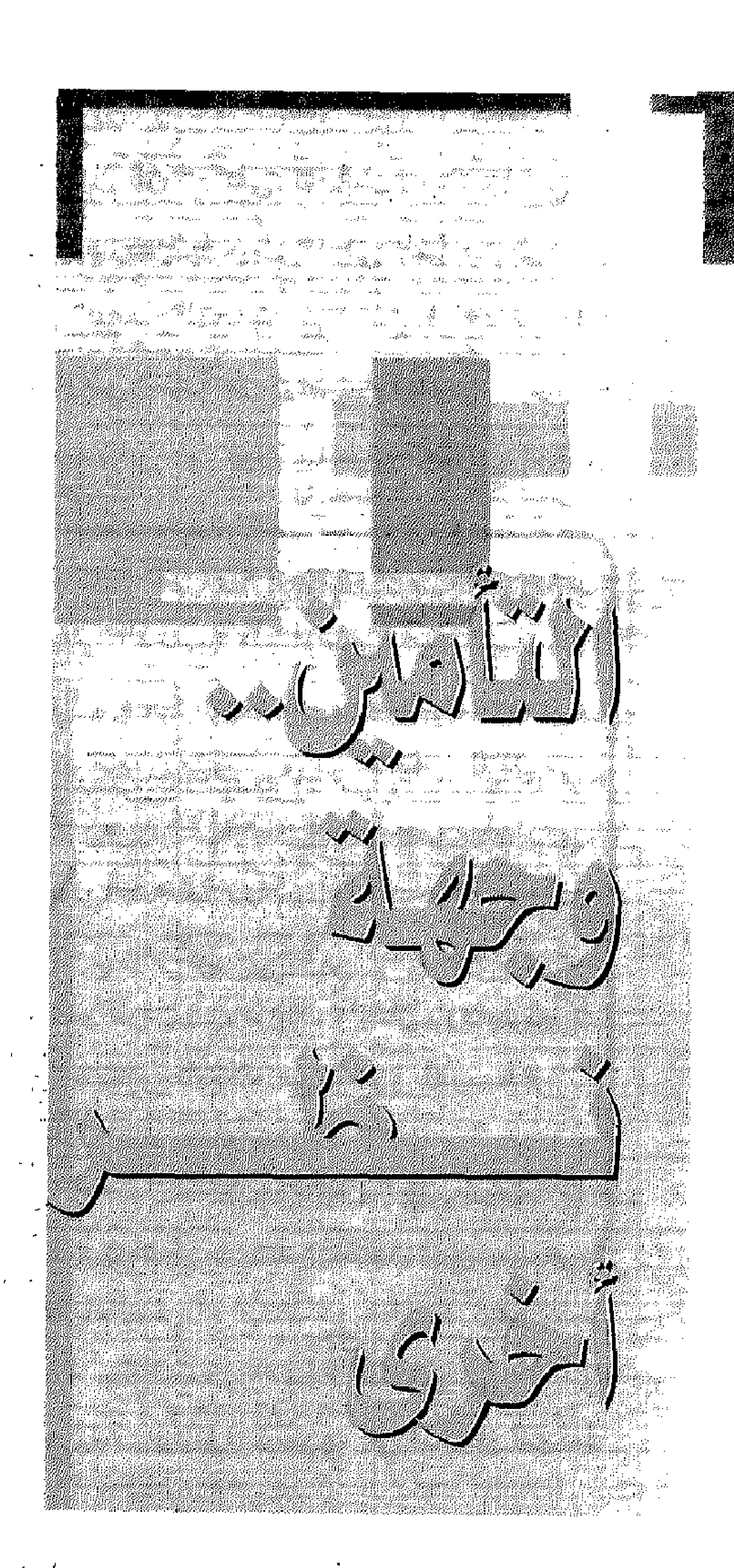
أعلن عبد الستار خان وزير خارجية باكستان عن اعتزام حكومته اتخاذ إجراءات صارمة لطرد جماعات الأفغان العرب المقيمين على الأراضي الباكستانية منذ احتلال الاتحاد السوفييتي السابق لأفغانستان. وقال: إن الحكومة الباكستانية لن تسمح باستخدام أراضيها في أنشطة لتهديد سلامة أراضي الدول العربية الشقيقة أو زعزعة الاستقرار والسلام فيها.

وقال: إن إسلام آباد تتعرض لضغوط شديدة من حلفائها العرب في منطقة الشرق الأوسط لتضييق الخناق على الأفغان العرب الذين يشتبه في تدبيرهم اعتداءات إرهابية ضد بلادهم الأصلية.

واعترف الوزير بأن ٢٥ ألف متشدد من الأفغان العرب الذين خاضوا الحرب لتحرير أفغانستان من الاحتلال السوفييتي (١٩٧٩ - ١٩٨٩م) لم يعودوا إلى بلادهم ويعيش غالبيتهم في باكستان الآن.

[جريدة الأهرام، العدد: (٤١٥٢٤)].





د. رفيق يونس المصري(*)

في العدد ١٤٨ الصادر في ذي الحجة ١٤٢٠هـ، نشرت مجلتكم الموقرة مقالاً للدكتور سليمان بن إبراهيم بن ثنيان، بعنوان: «حقيقة شركات التأمين»، أخذ فيه برأي الفقهاء المانعين للتأمين، بكل أنواعه، ورأى أنهم هم العلماء الذين يعتد برأيهم في بلاد المسلمين، كما رأى أن الباحثين الذين قالوا بأن للتأمين إيجابيات هم - بنظره - ليسوا من أهل العلم. وأورد عدداً من سلبيات التأمين، منها أن شروطه شروط إذعان تعسفية واستغلالية، وأن شركاته ليس من همها إلا الربح، وأنها اشترت بالمال ذمم كثير من المستشارين، والمحامين، والأطباء، والخبراء، وغيرهم من أفراد طاقم التأمين، وأن هذه الشركات تعقد كثيراً من العقود، ولا تفي إلا بالقليل منها، وأن الكثرة الكاثرة في التأمين هي الجماعة الخاسرة، وأن القلة القليلة هي الحفنة الرابحة من قادة التأمين في العالم، وأن بلدان العالم فئتان: فئة مصدرة للتأمين، وفئة مستوردة له، وأن تكلفة التأمين تكلفة عالية، وأنه السبب في الكثير من الجرائم، كالقتل، والكذب، وأن التأمين فيه ربا، وغرر، وقمار، وأن شرَّه يغلب خيره، وأنه ليس فيه أي مصلحة اقتصادية، ويغني عنه التأمين الذاتي، أي إنشاء حساب استثماري لاحتياطي الحوادث... إلخ.

المعلوم أن الفقهاء المعاصرين على ثلاثة آراء في التأمين: الأول يكتفي بالتأمين الخيري القائم على الزكوات، والصدقات، الوصايا، والديات، والنذور،

(*) باحث في الاقتصاد الإسلامي والفقه المالي.



والكفارات، ومن القائلين بهذا الرأي: الدكتور شوكت عليان من الفقهاء، والدكتور عيسى عبده من الاقتصاديين المسلمين.

والرأي الثاني يجيز التأمين التعاوني دون التجاري، ومن القائلين بهذا الرأي: الدكتور الصديق الضرير، والأستاذ محمد أبو زهرة، والدكتور حسين حامد حسان، والدكتور محمد بلتاجي حسن، من الفقهاء.

والرأي الثالث يجيز التأمين التجاري أيضاً، ومن القائلين بهذا الرأي: الأستاذ مصطفى الزرقا، والأستاذ علي الخفيف من الفقهاء، والدكتور محمد نجاة الله صديقي من الاقتصاديين المسلمين.

ومما يؤخذ على رأي المانعين للتأمين التعاوني عدم اهتدائهم إلى بعض النصوص الشرعية، ومن ذلك حديث الأشعريين، وهو أنهم كانوا إذا أرملوا (فني زادهم وافتقروا) في الغزو، أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في إناء واحد، ثم اقتسموه بينهم بالسوية (صحيح البخاري، كتاب الشركات، وصحيح مسلم، باب فضائل الصحابة).

إن التأمين الخيري لا يعوض المصاب إلا إذا أصابه فقر، أما التأمين التعاوني أو التجاري فإنه يعوض المصاب، ولو لم يصبه فقر؛ لأن الغرض منه هو ردُّه إلى مستواه السابق من الغنى والكفاءة الإنتاجية.

والناس متفاوتون؛ فبعضهم قد لا يرى حرجاً من اللجوء إلى التأمين الخيري، عند الحاجة، وبعضهم يفضل الاعتماد على نفسه، والتقليل من الاعتماد على الآخرين، وتخفيف الأعباء عن الإيرادات الخيرية وحصائل الزكاة.

وكذلك الناس متفاوتون حيال المخاطر؛ فبعضهم قد يكون أكثر رغبة وقدرة على تحمل المخاطر، وبعضهم قد يجد ميلاً لديه لركوب المخاطر في الأنشطة الاقتصادية المختلفة، لا سيما إذا كانت هناك وسيلة كالتأمين تخفف عنه آثار بعض المخاطر، لكي تشجعه على ركوب مخاطر أخرى يحتاج إليها النشاط الاقتصادي في المجتمع. والتأمين إذا ما طبق في اقتصاد بلدٍ مَّا، فإن الاقتصادات الأخرى تتخلف وراءه، إذا لم تطبقه.

ومما يؤخذ على رأي المجيزين للتأمين التعاوني، والمانعين للتأمين التجاري، أنهم رأوا أن التعاونيات كالتبرعات يغتفر فيها من الغرر ما لا يغتفر في المعاوضات. وهذا فيه نظر؛ لأن حقيقةَ: «أتبرع لك على أن تتبرع لي» ليس من التبرعات، بل هو من المعاوضات.. ومما يؤخذ عليهم أيضاً أنهم ميزوا بين معاوضات تهدف إلى الربح، ومعاوضات لا تهدف إليه، فمنعوا التأمين التجاري وأجازوا التأمين التعاوني. وهذا التمييز غير مسلَّم؛ لأن الإسلام يجيز التجارة، كما يجيز الربح. وغاية الفرق بين التأمين التعاوني

والتأمين التجاري أن الأول تديره جمعية تعاونية، والآخر تديره شركة تجارية.

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن جميع الفقهاء الذين أجازوا التأمين التعاوني، أو أجازوا التأمين التجاري، إنما أجازوا التأمين، بغض النظر عن كونه تعاونياً أو تجارياً، وهذا اعتراف منهم بالمصلحة الاقتصادية والاجتماعية للتأمين.

كما أن جميع الفقهاء، حتى الذين منعوا التأمين التعاوني والتجاري، قد أجازوا التأمين الحكومي: التأمينات الاجتماعية، والتقاعد، والمعاشات. والتأمين الحكومي يمكن أن يدار بشكل تعاوني بلا أرباح، ويمكن أن يدار بشكل تجاري استرباحي.

فلا يمكن القول بأن العلماء الذين يعتد برأيهم قد حرموا التأمين بجميع أنواعه، سواء كان تعاونياً أو تجارياً، حكومياً أو خاصاً.

أما ما ذكر من أن التأمين فيه ربا فالرأي في هذا أن الربا ليس من لوازم التأمين؛ إذ يمكن استثمار أقساط التأمين استثماراً غير ربوي، بصيغة المشاركة في الأرباح مثلاً. كما أن قسط التأمين لا ينظر إليه على أنه قرض، حتى يقال بأن مبلغ التأمين يكون فيه ربا إذا زاد على قسط التأمين. والربا في القرض مضمون، أما التأمين فالزيادة فيه غير مضمونة، فقد تقع، وقد لا تقع.

أما ما ذكر من أن التأمين فيه قمار فالرأي في هذا أن القمار يكون في اللعب، والتأمين ليس لعباً، والمقامر في القمار يخلق المخاطر، أما المستأمن فإنه يتحصن من المخاطر. وهذا التمييز الدقيق بين ما يدخل في القمار وما يلتبس به وليس منه تمييز لم يعرفه الفقهاء المعاصرون فحسب، بل عرفه أيضاً الفقهاء القدامى، منهم أبو عبيد في الأموال؛ حيث ميز تمييزاً دقيقاً بين القمار من جهة، والقرعة والخرص من جهة أخرى، خلافاً للفقهاء الذين حرموهما، ظناً منهم أنهما من القمار المحرم.

أما ما ذكر من أن التأمين فيه غرر فالرأي فيه أن الغرر فيه على مستويين: مستوى العلاقة بين شركة التأمين ومجموع المستأمنين، ومستوى العلاقة بين شركة التأمين وكل مستأمن على حدة. فالمستوى الأول فيه الغرر إلى حد كبير، بالنظر إلى قانون الأعداد الكبيرة Law of Large Numbers المعروف في علم الإحصاء. والمستوى الثاني وإن كان فيه غرر أكبر، إلا أن للمستوى الأول تأثيراً عليه، بحيث إن الغرر فيه يصير أقل نسبياً.

أما القاعدة القائلة بأن الغرر يغتفر منه في التبرعات ما لا يغتفر في المعاوضات فهي صحيحة بشكل عام، بمعنى أن الغرر أكثر اغتفاراً في التبرعات وأسهل، غير أن هذا لا يعني أن المعاوضات لا غرر فيها. فالجعالة

فيها غرر في الحصول، وفي المقدار، وفي الأجل، كالتأمين، ومع ذلك فإنها جائزة عند جمهور الفقهاء. فإذا قلت: من عثر على سيارتي المسروقة فله ١٠٠٠ ريال، فإن الباحث عنها قد يجدها وقد لا يجدها، وقد يعمل قليلاً أو كثيراً، لمدة قصيرة أو طويلة، ومن ثم فقد يحصل على الجُعل أو لا يحصل عليه.

أما ما ذكر من أن أرباح التأمين أرباح عالية فالحل فيه هو المنافسة الكفيلة برد الأرباح إلى حدود الاعتدال، أو الإشراف الحكومي على تحديد الأقساط، لا سيما في حال الاحتكار.

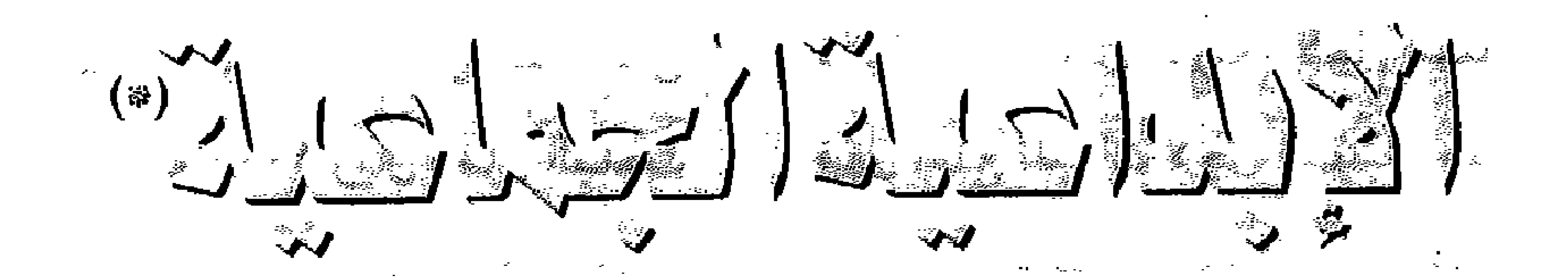
وأما ما يقال من أن عقد التأمين هو عقد إذعان، فهو إذن حرام؛ فهذا ربما أتى من سوء الترجمة. فعقد الإذعان ترجمة عربية للعبارة الفرنسية Contrat d'adhésion، والصواب في الترجمة هو: عقد الانضمام، وأما عقد الإذعان فهو حالة متطرفة من عقود الانضمام، عندما تكون شروطها تعسفية فعلاً، في غياب المنافسة، والإشراف الحكومي.

أما أن التأمين الذاتي Self-Insurance يغني عن التأمين التعاوني أو التجاري، فهذا قد يصلح بالنسبة للمنشآت الكبيرة التي يتسع نشاطها إلى الدرجة التي ينطبق عليها قانون الأعداد الكبيرة. أما المنشآت المتوسطة والصغيرة فلا يصلح لها التأمين الذاتي، لا سيما في السنوات الأولى من تطبيقه.

أما ما ذكر من الآفات الأخرى، كالقتل، والكذب، وشراء الذمم فهذه آفات عارضة؛ فالوارث قد يقتل مورِّثه، لأجل استعجال ميراثه، فهل نمنع الميراث لأجل احتمال مثل هذا القتل؟ إن الفقهاء قد منعوا الميراث، في هذه الحالة، عن القاتل فقط، ولم يمنعوه عن سائر الناس. والكذب، وشراء الذمم، فاشيان في كثير من الأسر، والمنشآت، والأنشطة. فإذا استغلت المستشفيات مرضاها، وأجرت لهم تحاليل، أو عمليات لا يحتاجون إليها، فهل نمنع النشاط الطبي والمخبري من أصله، أم نعاقب فقط من يرتكب هذه المخالفات؟ وكذلك قد تدخل سيارتك إلى ورشة إصلاح، فتستبدل الورشة قطعاً لا حاجة لاستبدالها، وقد تستخدم عمالاً حمقى، فتضيع أموال الناس وجهودهم وأوقاتهم، فهل نعزف عن استخدام السيارة، وهل نمنع قيام ورشات لإصلاح السيارات؟

أنا لا أشك في أن بعض المجيزين للتأمين التجاري قد استدلوا له بأدلة ضعيفة، وأن بعضهم كان يريد إباحته بأدلة متكلفة، وبأي ثمن، وبناءاً على أحكام مسبقة. ولكن خصومهم، إذ شعروا بأنهم قد استطاعوا ردَّ مثل هذه الأدلة ظنوا أنهم قد ردوا التأمين، والحال أن التأمين يمكن أن يستدل له بأدلة أخرى قوية يصعب ردها.





(١-٢)

بقلم: جان كلود أبريك ترجمة: محمد بلحسن
راجع ترجمته وقدّم له وعلق عليه: د. محمد أمحزون

تمهيد:

لقد قطع الغربيون في دراسة ما يسمى بـ «علم النفس الاجتماعي» شوطاً بعيداً. ويعدّ هذا العلم من المجالات الحيوية ـ الاستراتيجية التي ينبغي للدعوة الإسلامية الاهتمام بها فيما يتصل بحقل الوسائل والأدوات.

فهو يُعنى بدراسة الظواهر الفكرية: نظام الإدراكات والتصورات الاجتماعية، وظواهر التواصل الاجتماعي على مستويات مختلفة من العلاقات المجتمعية، ودراسة العلاقات بين الأفراد، ودراسة العلاقات بين الأفراد والجماعات: (مؤسسات، جمعيات، أحزاب، نوادٍ)، ودراسة الجماعات من حيث تركيبها ووظائفها، وعلاقات التأثير فيما بينها، وبسط آليات تفجير الطاقات لدى الجماعات والأفراد، وأساليب العمل بروح الفريق، واتخاذ القرارات داخل الجماعة، وإلقاء الضوء على الوسائل التي تتبناها النخب في توجيه المجتمع؛ إلى غير ذلك من المناهج والأدوات والوسائل التي ينبغي للدعاة استيعابها للدخول في معترك مواجهة النخب العلمانية المفسدة، والتأثير على القطاعات الواسعة من الجماهير.

ولكل ظاهرة من هذه الظواهر يتوفر: «علم النفس الاجتماعي» على نظام معرفي متطور: نظريات وأبحاث ودراسات واختبارات تؤهله لفهم النشاطات الذهنية العليا، وبعض الأبعاد النفسية للحياة الاجتماعية للجماعات. ومن أجل توسيع مجال الرؤيا فإن «علم النفس الاجتماعي» يقوم بدراسة:

١ ـ الأسباب التي تدفع الناس للتماثل (أي التشبّه بغيرهم) أو الخضوع، وذلك بالبحث عن خصائص الفرد الذي يَمْتَثِل ويخضع، والفرد الآخر الذي يقاوم التأثيرات الاجتماعية (العادات، التقاليد..).

(*) هناك فرق بين الإبداع والإبداعية؛ فالإبداع يعني اكتشاف الجديد، والإبداعية تعني إيجاد ملكة الإبداع لدى الأفراد والجماعات.

٢ ـ ما هي خصائص المؤسسات والجماعات التي تحاول أن تنمّط سلوك الأفراد؟ ما هي منطلقاتها العقائدية الأيديولوجية وآلياتها في التأثير؟ (المؤسسات التربوية، النوادي، الجمعيات، وسائل الإعلام، الجامعات، المعاهد..).

٣ ـ كيف يفكر الأفراد في واقعهم اليومي؟ كيف يقبلون السلوك المنحرف على أنه سلوك عادي غير شاذ؟ كيف يفسرون ما يحدث لهم؟ ويشمل ذلك البحث عن القوانين التي تحكم وتتحكم في التفكير الاجتماعي.

٤ ـ البحث عن الخصائص الأساسية التي يجب أن تتوفر في الجماعات التي تؤيد التغيير، حتى تكسب خاصيات الفاعلية والتأثير؛ كيف تستطيع هذه الجماعات أن تؤثر على الأغلبية؟ كيف تعمل لتحويل وتصحيح بنيتها التصورية العامة تجاه القضايا الرئيسة على الرغم من نقص هذه الجماعات العددي، ونوعية مفاهيمها التي تخالف سلوك الأغلبية، ومع وجود احتمالات التهميش المتوقعة نظرياً تجاه هذه الجماعات؟ ما هي طبيعة التفاعلات التي يحدثها أفراد الأقلية الفاعلة والعملية داخل واقع الأغلبية التي تخالفهم في الاعتقاد والرأي والقيم والمقاييس الحياتية؟ كيف تؤطِّر هذه الأقليات (الجماعات) علاقاتها الداخلية من أجل التفعيل المستمر نحو الإبداع والإنتاج؟ ما هي مستويات اتخاذ القرارات داخلها.

٥ ـ إلقاء الضوء على مجمل التأثيرات التي تمارسها وسائل الإعلام على الفرد من خلال دراسة مختلف المواضيع الإعلامية المساقة للفرد: المقاييس التي تنتج الخطاب الإعلامي، كيفية تغيير هذا الخطاب ليستطيع أن يصبح قاعدة سلوكية وفكرية عامة ومعتادة لدى أفراد مجتمع ما[1].

ومن الموضوعات التي يوليها «علم النفس الاجتماعي» اهتماماً متزايداً، ويخضعها للبحث والرصد والاختبار الميداني: موضوع التفكير الإبداعي.

على أن هذا التفكير يؤدي عبر مجموعة من الأساليب والأدوات والإجراءات إلى مساعدة الإمكانات الذهنية على الارتقاء، وتحسين كفاءة الأداء، والقدرة على حلّ المشكلات، وطرح البدائل واكتشاف الخيارات[2].

ولما كان الإبداع يعني التأليف بين الأفكار والصور وتركيبها تركيباً فذاً ينتج عنه الإتيان بقاعدة جديدة أو اكتشاف لقانون جديد، أو استخراج لشكل غير مألوف[3]؛ فإن تنمية هذا النوع من التفكير يستحق اهتماماً خاصاً منّا نحن المسلمين؛ حيث يشتدّ الطلب اليوم على الإنسان الفذ المبدع بشكل دقيق وجيّد لخدمة دينه وأمته في سبيل الدفع نحو الارتقاء الحضاري.

---

(١) علم النفس الاجتماعي، تأليف مجموعة من الباحثين الفرنسيين، نشر تحت إشراف سيرج موسكوفيسي، باريز، المطابع الجامعية لفرنسا، ١٩٩٢.

(٢) عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة: رؤية إسلامية، ص ٨٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٧.

ولمعرفة المناهج وآليات الرصد والتجارب والحلول المبتكرة التي يستخدمها «علم النفس الاجتماعي» لتطوير هذا الفنّ وتعميمه في حقول المعرفة وفي مجالات الحياة المختلفة، فإنّ هذا البحث الذي ترجم من اللغة الفرنسية لأحد أقطاب علم النفس الاجتماعي الفرنسيين، سيبيّن وسائل التحليل المنهجي للإبداعية، وكيفية توظيف تقنيات الإبداع لتحفيز الذهن على الابتكار والتجديد، وإجراء التجارب لتنمية ملكة الإبداع لدى الأفراد، وتقييم إبداعية الجماعات وتنافسها، والعوامل التي تخضع لها عملية الإبداع... إلى غير ذلك من العوامل التي يبرز من خلالها أهمية التفكير الإبداعي في تغيير الواقع وتجديده وإغنائه.

مقدمة المؤلف:

اهتمام علم النفس بالإبداع هو جد حديث؛ فإلى غاية سنة ١٩٥٠م، كان حجم عناوين المنشورات في علم النفس المخصّصة للإبداعية بنسبة واحد في الألف. وإلى غاية هذا التاريخ أيضاً توجه الاهتمام بالخصوص إلى تحليل سيرورة الإبداعية المعتبرة ظاهرةً قليلة وحاضرة - حصراً - داخل نخبة الباحثين والمبدعين الكبار، ومنذ هذه الفترة كانت المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع ناتجة بالأساس عن تحليل تراجم العظماء، أو شهادات تركها بعضهم مثل بوانكاري poincare، والمتعلقة بمناهج تفكيرهم.

ولم تظهر الإبداعية باعتبارها ضرورة اجتماعية واقتصادية إلا مع نهاية الحرب العالمية الثانية وانعاكاساتها؛ حيث أصبحت موضوعاً للدراسة. وإزاء التطور السريع للمجتمعات الصناعية فإن ازدياد المنافسة وسرعة التحولات في المناهج والتقنيات والأسواق فرض البعد النوعي أساساً للتكيف والنمو الاقتصادي، وتحوّل الاهتمام أيضاً من المبدعين إلى الأفراد الإبداعيين من دراسة الإبداع إلى دراسة الإبداعية؛ أو بمعنى آخر: من دراسة خصائص نخبة ضيقة إلى شريحة أكثر اتساعاً.

وهكذا احتل مفهوم الإبداعية وضعاً مستقلاً بالنسبة للإبداع. ويمكن تسمية الإبداعية: (التطور التدريجي المتتابع والملكة التي بواسطتها يقوم فرد أو جماعة تحتل وضعاً معيناً بإعداد نتاج جديد أو أصيل موافق لمتطلبات الظرفية ومقاصدها أو الحالة الراهنة). إذن: نعتبر فرداً أو جماعة مبدعة حسب قدراتها لتحريك هذه العملية.

ويعود الفضل لجيلفورد (1973,1950: Guil-gord) من خلال رسالته المشهورة المقدمة لجمعية علم النفس الأمريكية، والتي صاغ فيها الأفكار الجديدة الغنية بالنتائج النظرية والتطبيقية المتعلقة بالإبداعية:

- القابلية للإبداعية توجد بمستويات مختلفة ولكن عند جميع الأفراد العاديين(١).
- السياق الإبداعي يمكن أن ينتج طواعية، ويمكن أيضاً تدريسه وتطويره لدى عدد كبير من الأفراد.

---

(١) معنى ذلك أن الإبداعية كامنة في جنس الإنسان، إلا أنها في حاجة إلى من يحفزها وينشطها لتخرج إلى عالم الواقع.

وبالإضافة إلى هاتين الفكرتين المركزيتين تضاف بعض أعمال أوسبورن (1963, 1953: Os-born) الفكرة التي تنص على أن وضعية الجماعة تساعد على الإبداعية[1].

ولهذا بدأنا نرى في الولايات المتحدة ثم في أوروبا وفرنسا، وخاصة ابتداءاً من سنة ١٩٦٠م تطور مجموعة من الأبحاث في علم النفس، مستعملة بالخصوص المناهج التفاضلية والساعية مثلاً إلى اكتشاف أو إبراز العلاقات بين الإبداعية والذكاء، وتعريف خصائص «الشخصيات الإبداعية» وتقييمها إلخ.. ويمكن للقارئ المهتم أن يعود في هذا الصدد إلى مجلة لوبوتي (Leboutet) حول هذه المسألة ١٩٧٠م.

آثار الجماعات النوعية:

عوضاً عن الدخول في هذا مقارنة بين تقدير خصائص الجماعات والأفراد، والتي كشف عنها موسكوفيسي وبيشلي (1972: Paicheler/moscqvici) على أنها غير ذات جدوى، سنحاول إبراز بعض الأبحاث التجريبية ونتائجها القادرة على توضيح نوعية وضع الجماعة وبالخصوص فهم: لماذا يمكن للجماعة أن تشكّل حافزاً للإبداعية؟

أ ـ الجماعة تفضل التغيير:

في تجربة شهيرة، قارن لوين .K :1965,1947) (Lauin الآثار الخاصة لمحاضرة مقابل نقاش جماعة حول تحوُّل العادات الغذائية المنزلية الأمريكية تحولاً يتمثل في استهلاك السُّلابة[2] عوضاً عن اللحم.

وفي مقام أول استمعت جماعة من النساء إلى محاضرة هامة ألقيت من طرف مختص يؤكد فيها الامتيازات الغذائية والاقتصادية للسُّلابة، عن طريق عرض وجبات مناسبة... إلخ.

وفي الحالة الثانية، وبعد عرض تمهيدي وجيز، دفعنا بربات البيوت إلى مناقشة المشكلة فيما بينهن. وفي كلتا الحالتين دامت التجربة ٤٥ دقيقة. وأُجري تحقيق في المنزل بعد أسبوع من التجربة أظهر أن ٣٪ فقط من ربات البيوت اللائي استمعن إلى المحاضرة استعملن السلابة مقابل ٣٢٪ من اللائي ناقشن هذه المسألة داخل الجماعة.

على أن جميع التجارب المنجزة من طرف لوين، والتي تستعمل الوسائل نفسها اتخذت هذه النتيجة، سواء تعلق الأمر باستهلاك الحليب السائل أو الحليب المسحوق أو إعطاء زيت كبد سمك المورة للطفل. ولو أننا عوضنا العرض بنصيحة شخصية استغرقت نفس الوقت؛ فإن أثر الجماعة يظل مهيمناً

(١) لما كان وجود الفرد في الجماعة أمراً ضرورياً، ولا يتمّ شيء من المعاني المذكورة إلا في إطار الجماعة، رغب النبي ﷺ فيها وحثّ عليها، بل وأمر بها، كما جاء في حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ: «... فمن أراد بحبوحة الجنّة فليلزم الجماعة» (أخرجه الترمذي في سننه وقال حسن صحيح)، وفي حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «يد الله مع الجماعة» (أخرجه ابن أبي عاصم في السنّة وصححه الشيخ الألباني). ولتربية الروح الجماعية عند المؤمنين شبههم النبي ﷺ بالبنيان، في تماسكهم وتفاعلهم وتكاملهم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً، (اخرجه البخاري في كتاب الأدب)، كما وصفهم بالجسد الواحد، (المصدر نفسه، كتاب الأدب).

(٢) كراع الذبيحة وبطنها.

بالنسبة للتغيير؛ فالوجود داخل الجماعة والتفاعل الاجتماعي والإدراكي يمكن أن يؤدي إلى انخفاض مقاومة التغيير عند الأفراد، ويساعد على ظهور سلوكيات جديدة يؤطرها الحس الجماعي[1].

ب ـ الجماعة تفضل المخاطرة:

أظهرت مجموعة من الأبحاث، بعد أعمال ولاش وكوجان (1966: Wallach/Kogan) بأن الجماعة المكونة من أفراد ذوي آراء مختلفة والمناقشين لحالة معينة يختارون حلولاً أكثر مخاطرة من الأفراد المنسجمين في الجماعة نفسها. وازدياد المجازفة داخل الجماعة في بعض الحالات يشكل عاملاً ملائماً للإبداعية؛ فهي تسمح للجماعة باختيار حلول مثمرة على الأقل أو أصيلة؛ لأن فيها مجازفة[2].

ج ـ عدم تجانس الجماعة وأثره في الإبداعية:

إن التباين في الجماعة على صعيد المواقف والكفاءات يعد رصيداً جوهرياً؛ لأنه يسمح باحتكاك الآراء المختلفة[3] والاستفادة من كفاءات الآخرين، ويعني عوامل تشجع الإبداعية. ولكن يمكن أن يكون أيضاً مصدراً للتوقف والصعوبات: كبح أو إعاقة أمام أفراد جماعة أكثر كفاءة، وتجميد التواصل بسبب صراعات المواقف... إلخ. فالاختلاف[4] يشكل مصدراً كامناً للصراعات الاجتماعية الإدراكية.

وأظهرت أبحاث هال وواتسون /1970:Watson) (Holl بأن التنافر داخل الجماعة يساعد على الإبداعية إذا أُخذت هذه الصراعات الاجتماعية ـ الإدراكية بعين الاعتبار وضُبطت حالتها. وقد جعل هذان الباحثان جماعة في وضع لحلّ المشكلة الآتية: أنتم ضمن طاقم من الفلكيين تعرّض لحادثة في القمر، ويجب عليكم الالتحاق بسفينة فضائية توجد على بعد ٣٠٠ كيلو متر على القمر؛ فالسفر طويل وصعب، ويجب عليكم اختيار المواد التي ستحملونها معكم، والتي سوف تسهل عليكم بلوغ الهدف. وكل فرد رتّب ١٥ مادة لحملها. وهذا العمل أُنجز داخل الجماعة، وينبغي أن ينتهي إلى نظام واحد.

ومن ها هنا تم تحديد شرطين تجريبيين: فالتعليمات تدعو الأفراد إلى توضيح آرائهم المختلفة ومناقشتها، أو عدم تحديد أي شيء؛ وتُظهر النتائج بوضوح بأن أخذ الجماعة للاختلاف بعين الاعتبار

---

(١) إن التغيير في القرآن الكريم سنة اجتماعية لا سنّة فردية، بدليل قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]؛ إذ كلمة قوم تعني الجمع أو الجماعة، فكل فكرة أو خبرة اجتماعية تُقدَّم للإنسان تؤثر في مواقفه، سواء كانت هذه الأفكار والخبرات إيجابية أم سلبية. وإنما يتجلى الحذق والمهارة في إعطاء مواقف أسلم وأيسر ولا يتم ذلك إلا عن طريق الوحي المعصوم من الخطأ.

(٢) إن روح المخاطرة والمغامرة يؤطرها فعلاً السلوك الجماعي سواء على صعيد الفكرة أو الموقف. فالتواصي بالحق والصبر الذي جاء في «سورة العصر» لا يتصور إلا في جماعة يوصي بعضها بعضاً بالصبر على العبء المشترك، ويتعاون الجميع على تكاليف الإيمان، بما يوحي ذلك من مجازفة ومخاطرة بالمال والنفس، والصدع بالحق لتغيير الواقع من سيئ إلى أحسن.

(٣) اختلاف التنوع.

(٤) اختلاف التضاد.

يؤدي من جهة إلى نتائج مرضية عامة، ومن جهة أخرى يؤدي إلى اكتشاف أفكار جديدة وأصيلة تتعلق باستعمال المواد[١].

وهذه النتائج تؤكد النتائج القديمة (لتريانيز) المتعلقة بالإبداعية الثنائية التكاملية: تباين المواقف والكفاءات لعنصرين في تفاعل لا تساعد على الوصول إلى نتائج مرضية[٢].

وعلى العكس من ذلك، ففي حالات تجريبية تلقى فيها عناصر ثنائية متكاملة مسبقاً: «تدريباً للاتصال مع الآخرين»؛ فالأزواج المتباينين[٣] هم الأكثر إبداعية.

ويمكن القول (عند ترياندیز :Triandis)، إنه حينما يتقلص الضغط المرتبط بتباين الجماعة ـ مثلاً ـ بفضل التعلّم أو الاتصال والاحتكاك؛ فالآثار الإيجابية لهذا التباين يمكن أن تتطور وتؤدّي إلى إبداعية عالية. وهذا التحليل يكشف أهمية بعض أنواع الزعامة (Leodership) وضرورتها، أو الحيوية في الجماعات الإبداعية المركزة على ضبط وتدشين مناخ ترابطي إيجابي. (وسنعود إلى هذه النقطة).

وأكمل كولاروس وأندرسون (Andernon, Collaros: 1969) هذه النتائج بإظهار أن التباين الحقيقي والتباين الشكلي ليس هما الأساس. وبدراستهما لجماعات «تحفيز الإبداع»[٤]: وضعا ثلاث حالات تجريبية:

ـ في الأولى يجب على الفرد أن يفكر في أن الأعضاء الثلاثة الآخرين في الجماعة خبراء في «تحفيز الإبداع».

ـ في الثانية: واحد فقط من الأعضاء خبير.

ـ في الثالثة: لا يوجد أي خبير[٥].

لكن في الحقيقة فإن الجماعة متطابقة في الحالات الثلاث؛ بمعنى أنها مكوّنة من أفراد سُذَّج بدون تجربة. وحينئذ، فإن تبيان عدم تجانس الجماعة هو الذي تم التلاعب فيه. على أن إبراز الجماعة بهذا الشكل يؤدي إلى اختلافات جوهرية: فالجماعات المتجانسة[٦] تطوّر إبداعية عالية أكثر

(١) إن التعدّد الإيجابي ينصبّ في قناة اختلاف التنوع؛ حيث يعمل عناصر الجماعة الواحدة أو الجماعات على إغناء الخبرات والمواقف بالأفكار المتنوعة، وعلى سدّ حاجات المجتمع وتصحيح مساره بشتى الأساليب، وعبر جميع الوسائل والطرق في سبيل التجديد والتغيير.

(٢) ولحلّ هذه الإشكالية ينبغي التفاهم والتطاوع، كما جاء في حديث ابن أبي بُردة عن أبيه قال: «بعث النبي ﷺ جدّه أبا موسى ـ الأشعري ـ ومعاذاً إلى اليمن فقال: يسّرا ولا تعسّرا، وبشرا ولا تنفرا [وتطاوعا]»، (الحديث) أخرجه البخاري في كتاب المغازي. وفي حديث غزوة ذات السلاسل أن النبي ﷺ أمدّ عمرو بن العاص بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين من المقاتلين، وأمره أن يلحق بعمرو وألاّ يختلفا، فأراد أبو عبيدة أن يؤمّ بهم فمنعه عمرو وقال: إنما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير، [فطاوعه أبوعبيدة] (الحديث). انظر الفتح، غزوة ذات السلاسل.

(٣) اختلاف التنوع.

(٤) مصطلح انجلو ـ أمريكي يعني البحث عن أفكار أصيلة وجديدة داخل جماعة من الناس، وذلك بتحفيز قدراتهم للتعبير الحرّ عن أفكارهم وخواطرهم. (قاموس لاروس).

(٥) في الواقع، فإن أفراد الجماعة على نفس المستوى الذهني، ولكن أوهموا بأن معهم خبراء لاختبار ردود أفعالهم في هذه الحالات.

(٦) فكرياً وشعورياً.



من غيرها، وتكوِّن عن نفسها ـ من خلال مناخ اجتماعي مؤثر ـ صورة إيجابية، بينما يؤدي الخوف الوهمي في الحالات السابقة من حكم واحد أو مجموعة من الخبراء على أفراد الجماعة إلى تراجع أو كبح في إنتاج الأفكار وخاصة الأفكار الجديدة والأصيلة.

وهذا النوع من الأبحاث يؤكد على أن الصورة التي تكوِّنها الجماعة عن نفسها هي بُعْدٌ رئيسٌ في حركيتها وحيويتها. ولهذا فالأبعاد الرمزية لوضع الجماعة تشكل ـ في رأينا ـ أحد الموضوعات الجديدة والمركزية للأبحاث حول إبداعية الجماعات.

أسلوب الزعامة والإبداعية:

أشرنا في الفقرة السابقة إلى أخذ الصعوبات الاجتماعية الشعورية المرتبطة بعدم تجانس الجماعة بعين الاعتبار؛ فدور الزعيم يجب أن يكون حاسماً في نشاطها وإبداعيتها. وفي هذا الصدد خصص لوين ومساعدوه أبحاثاً عديدة لهذا الموضوع الذي سوف نحاول بطريقة موجزة تلخيصه.

فهؤلاء الباحثون أنجزوا دراستهم خلال الفترة (١٩٣٩ـ ١٩٤٠م) حول جماعات من الأطفال الأمريكيين تصل أعمارهم إلى ١٢ سنة يرتادون نوادي للترفيه. والملاحظات تعم فترات طويلة (عدداً من الأسابيع) وهدفها دراسة العلاقات بين أنواع القيادات وظاهرة الجماعة. وتمّ تعريف ثلاثة أنواع من الزعامات ستناسب تصرفات الشخص المسؤول عن الجماعة:

أ ـ **الزعيم المستبدّ**: فالقرارات المتعلقة بالعمل وتنظيم الجماعة تصدر عن المسؤول وحده، بطريقة موازية لتطور الأنشطة.. والقرارات ليست مسوَّغة، ولا واضحة بالنسبة للإصلاح. ومعايير تقييم الزعيم ليست معروفة، وأخيراً يبقى بعيداً عن الاندماج في محيط الجماعة، ولا يتدخل إلا لإصدار الأوامر أو للتنظير في حالة الصعوبة[١].

ب ـ **الزعيم الشوري**: فالقرارات ناتجة عن المناقشات التي يطرحها الزعيم، وهي تأخذ بعين الاعتبار رأي الجماعة. كما أنها مترابطة بالنسبة للإصلاح. وكل مرحلة تُحدَّد بوضوح ودقة، والزعيم يوضح الأحكام الخاصة به ويسوِّغها. وعندما يطرح مشكلة، يقترح مجموعة من الحلول تختار الجماعة أحدها. ودون المساهمة الكبيرة في توجيه الأنشطة، فإنه يضطر للاندماج في حياة الجماعة[٢].

---

(١) إن المتأمل في مسارات الأمم السابقة واللاحقة عبر الاستقراء والتجربة يلاحظ أنه كلّما ساد الاستبداد جماعة أو أمة أو دولة كان ذلك سبباً لسلب المجتمع إرادته وحريته، فتخدَّر مشاعره فلا يميز بين ما ينفعه وما يضرّه.

ومما لا شك فيه أن ظاهرة الاستبداد تقتل روح الإبداع وتحول دون تفجير الطاقات، مما يؤدي إلى المنحدر الخطير من التدهور والاضمحلال بكافة صوره على مختلف الأصعدة.

(٢) على أنه كلّما حظي المجتمع بالاستقرار والعدل والشورى، كان ذلك مناخاً ملائماً للإبداع العلمي وحافزاً على التطور الإنساني. ولذلك أمر الله ـ عز وجل ـ المؤمنين بالتشاور فيما لا نص فيه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وروي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ، (سنن الترمذي، باب ما جاء في المشاورة)، وذلك تعويداً لهم على التفكير بالمشاكل الهامة، وحرصاً على تربيتهم على الشعور بالمسؤولية. على أنه بالاستقراء نجد أنه كلّما اتسع نطاق الشورى كانت الجماعة أقرب إلى إصابة الحق.

ج ـ الزعيم الاسمي: بعد تحديد الوسائل والأدوات التي تتوفر عليها الجماعة؛ فالزعيم يتصرف تصرفاً سلبياً، والجماعة تتمتع بحرية تامة مع العلم أنها يمكنها اللجوء إلى المسؤول. وهذا الأخير لا يحكم ولا يقيّم؛ فوجوده يعتبر ودّياً ولا يتدخل إلا بعد الطلب، ويتخذ قليلاً من المبادرات.

وتُظهر النتائج المتوصّل إليها: أن نوع زعيم الجماعة يحدّد مجموع سلوكها الانفصالي والاجتماعي والإدراكي.

وهكذا ففي الجماعات ذات القيادة السلطوية (المستبدة) يهيمن الخمول أو العنف؛ فالمناخ الاجتماعي الشعوري هو مناخ سيئ، والالتحام ضعيف بين أفراد الجماعة، والتوترات الداخلية تساعد على ظهور مجموعات صغرى. وبما أن العنف لا يمكن أن يوجه ضد المسؤول فيوجّه ضد بعض أعضاء الجماعة أو نحو الخارج، مع ظهور ضحايا. وفيما يتعلّق بالعمل يلاحظ أنه بوجود الزعيم تكون نتيجته جيدة، وهي عالية بالمقارنة مع الجماعات الشورية، ولكنها مطبوعة بالتماثل أو التشابه القوي والاختلافات بين الأفراد جد ضعيفة. ولكن بغياب الزعيم ينهار الإنتاج، وتتخلى الجماعة عن أي مسؤولية أو مبادرة.

وفي الجماعات ذات القيادة الشورية فالنتيجة مرتفعة ومستقرة، وحتى بعد مغادرة الزعيم للجماعة. وهذا الوضع يساعد على التعبير عن الاختلافات الفردية.

وهكذا فالمنتوج من نوعية ممتازة، ولكنه أقلّ انتظاماً من الوضعية المستبدة. ورضا عناصر الجماعة يكون مرتفعاً، والمناخ الاجتماعي ـ الشعوري إيجابي، كما أن الالتحام قوي. فهذه الجماعات تستطيع أن تصمد أكثر من غيرها لمحاولات التقسيم الخارجية، كما أن العنف تجاه المسؤول يمكن التعبير عنه بطريقة مباشرة، ولا يؤدي إلى توترات داخلية بين أفراد الجماعة، كما هو الحال في المثال السابق.

وفي الجماعات ذات القيادة «ذره يفعل»[١]، فالنتيجة جدّ سيئة، دون أن يكون لحضور الزعيم أو غيابه دور خاص[٢]؛ فهذه الجماعات يمكن وصفها بأنها نشيطة وغير منتجة؛ فالمناخ الاجتماعي الانفعالي للجماعة جدّ سيئ، وكذلك الالتحام ومستوى الرضا. وكما هو الحال في الجماعات السلطوية يظهر العنف تجاه الآخرين، وفي اتجاه الخارج، ويوجد ضحايا.

وعرفت أبحاث (لوين: Lewin) وفريقه نجاحاً كبيراً في علم النفس الاجتماعي، وفي علم النفس الصناعي للأهمية الفعلية للإشكالية المدروسة؛ فلم توضح بأن نوع كذا من القيادة هو أفضل من نوع كذا، ولكن بيّنت بأن كل نوع من القيادة ينتج مناخاً اجتماعياً خاصاً ونتيجة معيّنة.

ويظهر بوضوح أنه إذا كان هدف الجماعة هو الإبداعية فالقيادة الشورية هي الأكثر إنتاجاً وعطاءً؛ فهي بدون عرقلة الإنتاجية تسمح باستعمال وجهات النظر المختلفة عن طريق التعبير أولاً، ثم

(١) أي: يتصرف كما يشاء.

(٢) ويُقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأمرون وهم شهود».

اتخاذ خطوة موحدة تفترض مناخاً إيجابياً. والأشكال الواقعية لهذا النوع من القيادات تمليها ضغوط المحيط الاجتماعي. على أن تطوير الإبداعية لدى جماعة تفترض على أية حال تعويض مفهوم السلطة والزعيم بالمنشط والمنظم.

أقلية نشيطة وإبداعية الجماعات:

رأينا بواسطة لوين خاصة: أن الجماعة يمكن أن تكون الركيزة أو المعبر للتحول، ولكنها أيضاً ـ كما أظهرتها الأبحاث فيما يتصل بالتأثير الاجتماعي ـ وسيلة خطيرة للامتثالية(١) والخضوع وإفقار الأفكار، والحدّ من الإبداعية لصالح قوانين وسلوكيات غالبة(٢) والأفراد غير المتمثلين ليس لهم إلا الاختيار بين الخضوع أو الخروج عن المألوف(٣).

وبفضل أعمال موسكوفيسي (Moscovici) يتبيّن أن الأقلية لها أهمية كبيرة؛ وأظهرت الدراسات الحديثة في علم النفس الاجتماعي أن وجود أقلية داخل جماعة يعتبر عنصراً مساعداً على التجديد والابتكار؛ لأنه يساعد على تجاوز قوانين الجماعة وعاداتها(٤).

وإذا أحدثت الأغلبية تغييراً بتبني وجهة نظرها الخاصة(٥)، فالأقلية بدورها تطلق سيرورة للتأثير أقل وضوحاً، ولكن تؤدي إلى ظهور أفكار جديدة ومتنوعة تساعد على الإبداعية.

ويحمل بحث حديث لنميت وواشتلر جواباً لهذه الإشكالة. والفرضية العامة للكاتبين يمكن صياغتها على النحو الآتي: أفراد جماعة يكونون أكثر إبداعية إذا كانت فيهم أقلية ذات تكوين قوي ومتماسك.

فدينامكية الأقلية وحركيتها وقوتها تدفع الأفراد إلى التساؤل عن مواقعهم، وتساعدهم على تناول جوانب أخرى من الواقع، وإيجاد حلول جديدة ومختلفة.

والنتائج المتحصّل عليها بعد الاختيارات تُظهر:

- أن الأفراد يتبعون رأي الأغلبية أكثر من اتباعهم رأي الأقلية(٦).
- أن الأفراد الذين يشكلون أغلبية في مواجهة

---

(١) إنتاج سلوك مشترك ومتشابه لدى مجموعة من الأفراد.

(٢) إن البيئة الاجتماعية تلعب دوراً كبيراً في إخضاع الأفراد لمجموعتين من التقاليد والعادات الموروثة التي تنمّط السلوكيات وطرق التفكير، وتنتج بذلك أوضاعاً تتسم بروح القطيع، وضمور حسّ التجديد والابتكار، كما جاء في الحديث الشريف: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه...» الحديث أخرجه البخاري في كتاب القدر.

(٣) يقصد هنا: محاولة الخروج عن الأوضاع والتقاليد الاجتماعية السائدة، والرغبة في التغيير والتجديد.

(٤) إن النخبة الفاعلة أو الفئة المصلحة تعدّ عاملاً مهماً في الإصلاح الاجتماعي وتهيئة الأوضاع الموصلة في النهاية إلى التغيير. وهو مطلب شرعي ملحّ، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(٥) وهذا نادراً ما يحدث؛ إذ على امتداد التاريخ الإنساني لم تستطع الأغلبية أن تقوم بدور التغيير، وإنما النخب المصلحة هي التي تفعل ذلك: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦].

(٦) إن تحديد الرؤى والمواقف داخل التصور الغربي يعتمد في الغالب على كثرة العدد؛ فالأغلبية لها تأثيرها الواضح في مجريات الأمور، وفي=

أقلية يعطون عدداً مرتفعاً من الأجوبة الجديدة الصحيحة أكثر من الذين هم أقلية في مواجهة أغلبية[1].

كما أظهرت النتائج أن تأثير الأغلبية وتأثير الأقلية يرتكز على سيرورتين مختلفتين:

١ ـ أن الأغلبية جدّ فعّالة لجرّ الأفراد نحو الحلول التي تقترحها، بمعنى نحو امتثالية قارة[2]. وعلى العكس، إذا كانت الأقلية تدفع أقل نحو هذا النوع من السلوك فإنها تساعد الأفراد على اللامركزية، وعلى تحليل يأخذ بعين الاعتبار العناصر المقترحة التي تعين على إنتاج حلول جديدة ومبتكرة غالباً ما تكون صحيحة.

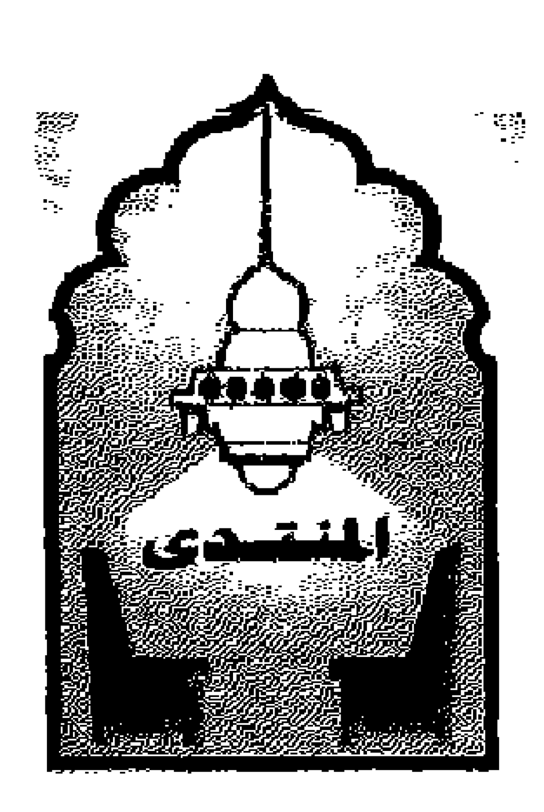
٢ ـ أن وجود جماعة ذات أقلية نشيطة وقوية يمكن اعتبارها عاملاً مساعداً على الإبداعية. وهذه النتيجة تعين على توضيح النتائج المتحصَّل عليها من طرف (موسكوفيسي، ولاج) التي تبين أن تأثير الأقلية هو جدّ قوي في محيط تكون قاعدته هو البحث عن الأصالة واكتشاف الجديد.

= جميع القضايا المعروضة على الرأي العام. بينما في التصور الإسلامي، فإن تحديد الرؤى ومن ثمّ المواقف ينبع من خضوع الإنسان المسلم لمرجعية عليا (الوحي) بدل الاحتكام إلى رأي الأغلبية: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]. وجاء في الأثر عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدي».

أما رأي الأغلبية، فيُتّبع إذا كان موافقاً للحق، ويُترك إذا كان خلاف ذلك: «فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم» عن عثمان بن عفان رضي الله عنه (البخاري: كتاب الأذان). وفي حديث الترمذي: «لا تكونوا إمّعة»... (الحديث).

(١) إن التفوق العددي ـ في بعض الأحيان ـ يلعب دوراً في تحفيز الأفراد وتشجيعهم على الإدلاء بآرائهم والتعبير عن أفكارهم إذا كانوا يواجهون جماعة أقل منهم عدداً.

(٢) وهو سلوك غير صحي.



هل أوضح الدعاة وأدركت أمتنا؟

د. مهدي قاضي

يجب أن تدرك الأمة أن دعم المسلمين الذين يتعرضون للمذابح والتشريد بالمساعدات المالية والدعاء على الرغم من أهميته ووجوبه والحاجة إليه وضرورة المبادرة إليه إلا أنه في الحقيقة حل وقتي وجزئي لا يوقف المآسي ولا يحلها تماماً؛ وإن انتهت مأساة فستظهر أخرى؛ لأن الداء الحقيقي مستمر وهو ضعف الأمة وذلها وهوانها وعجزها عن حماية أبنائها. والذي يحدث نتيجة بُعد الأمة عن الالتزام التام بأوامر ربها. قال ﷺ في الحديث الصحيح عن ابن عمر: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» أخرجه أحمد وأبو داود والطبراني. وقال أيضاً في الحديث الحسن عن ثوبان: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: قلنا: يا رسول الله! أمن قلة نحن يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل» الحديث... أخرجه أحمد وأبو داود.

ومذابح أمتنا ومآسيها في العصر الحديث مستمرة منذ عشرات السنين منها ما عرفناه ومنها ما لم نعرفه، ويجب أن يشعر المسلمون أنهم مسؤولون عن استمرار مآسي الأمة من هذا الجانب؛ لأنهم بتقصيرهم واستمرارهم في الذنوب وتركهم الجد في الدعوة إلى الله والإصلاح يكونون سبباً في ضعف الأمة، ومن ثم يكونون سبباً في عجز الأمة عن حماية أبنائها، ووضع حل جذري لهذه المآسي وبذلك يكونون ـ بتقصيرهم ـ من أسباب استمرار مذابح المسلمين.

وما يحز في النفس أكثر هو أن الكثير من الخطباء والمحاضرين والكتاب والشعراء والدعاة عموماً لا يقومون في خطبهم ودعائهم وتوجيهاتهم عند الحديث عن مآسي المسلمين بتذكير الناس بهذا الجانب الهام بالشكل الواضح والكافي والمؤثر الذي يشعر كل فرد مسلم بمسؤوليته هو في نفسه في تحقيق هذا الواجب؛ مع أن هذا ـ كما ذكر سابقاً ـ هو الحل الحقيقي الجذري للمآسي.

وبغض النظر عن أنه الحل الأهم فإنها فرصة للدعاة لتذكير الناس بالعودة إلى الله من هذا الجانب؛ وهذا من قبيل المفهوم التربوي (التربية بالأحداث). ومن الخسارة ألا تستغل هذه الفرصة لتذكير الناس بالهدف الحقيقي الذي تطمح إليه الأمة وهو عودة المسلمين إلى الالتزام التام بدينهم والذي به ـ بإذن الله ـ يتحقق للأمة نصرها وتمكينها في الأرض.

وبعبارة أخرى نقول للدعاة بأنه يجب علينا ألا نعالج الأعراض فقط وننسى المرض الحقيقي للأمة حتى ولو كانت الأعراض شديدة وحادة في بعض الأحيان.

يا أمة الحق إن الجرح متسع
فهل تُرى من نزيف الجرح نعتبر؟
ماذا سوى عودة لله صادقة
عسى تغير هذي الحال والصور!

إن الحل لمآسي أمتنا يمكن تلخيصه في كلمتين: (عودة، ودعوة).

أي عودة كل فرد في الأمة إلى تطبيق الدين والالتزام التام بأوامره، ودعوته غيره إلى ذلك.

ويا ليت أن تصبح هاتان الكلمتان شعاراً لطريق الحل لإنقاذ أمتنا، وأن تكون رمزاً تتذاكر الأمة به لكي لا تنسى ذلك، ولكي تسرع للطريق الحقيقي الموصل للنجاة والعزة والكرامة.

الجمال جمال النفس بدون رتوش

هدى بنت فهد المعجل

إلى متى تركضين إلى الوراء..؟ سؤال جذاب.. إلاَّ أن إحداهن تقول: لن يجذبني هذا السؤال إلا إذا مارس الرجل عملية الرجوع إلى الأمام.

تحدٍّ فاضح.. تفضح به مثيلاتها..!!

إحداهن تُرى عيناها حيناً عسليتين، وحيناً سوداوين، وأحياناً زرقاوين.. فهل لديها عمى ألوان..؟

عندما نرى بعض الوجوه النسائية نتساءل: لو أن المرأة بيدها اختيار شكلها وهيئتها.. فأي شكل وأي هيئة تختار؟ وتقف أمام المرآة مؤكدة المقولة المأثورة: (ثروات الأرض تكفي جميع البشر لكنها لا ترضي أطماعهم). أحياناً تضطرك الظروف أن تقومي بزيارة لا ترغبينها.. إذا كنت ممن لا يركضن إلى الوراء.. فمن أرغمك على زيارتهم، فمجتمعهم وأفكارهم بعيدة كلية عن مجتمعك وأفكارك.. لكن والدتها تقول: لا بد أن تذهبي معنا.. وإرضاءاً لرغبة الوالدة .. وحتى لا تُنعتي بالانطواء والتكبر تذهبين. وما أن يدور رحى الحديث حتى تشعري بمدى ضآلتك الثقافية الفنية قياساً بأفكارهن.. فـ (الروميل) هذا لا يناسب عينَيْ فلانة؛ لأن عينيها واسعتان، وزاد (الروميل) من سعتهما.. هكذا يقولون .. وأنت تتساءلين في نفسك: وما هو (الروميل)؟

إحداهن تقول: أشعر بـ (حكة) في بشرة وجهي.. فقالت إحدى الجالسات: أنت تستعملين الطبقة السابعة وربما لا تناسبك.. جربي الطبقة الثالثة.

تحدقين في وجه تلك القابعة بجانبك تريدين (عد) كم طبقة على وجهها.. فترمقك بنظرة وتسألك: أي الطبقات تناسب بشرتك..؟!

* مأزق.. هاوية.. كيف لك انتشال نفسك منها..؟

* أي قصّات الشعر تعتقدين أنها تناسب وجهي..؟!

بهذا التساؤل انتشلتك إحداهن مما أنت فيه..!!

الجميع يتحدثن وأنت صامتة.. حسناً الآن هن سكوت.. فتحت فمك لتتحدثي.

* قلت: من قرأ منكن ما طرح في الصحافة من آراء حول قضية..؟

وقبل أن تكملي قطعت تلك الجالسة أمامك حديثك متسائلة:

* لا أدري هل أتت صاحبة المشغل.. فأنا مدعوة إلى حفلة صديقة أختي بعد شهرين، وفستاني الذي خيط قبل أربعة أشهر شاهدوه، وأريد تفصيل فستان سهرة آخر. بعد أن قطعت تلك حديثك أدركت أنه لا مجال لك بينهن وليقلن عنك ما يقلن.

هذه جلسة واحدة من جلسات عدة، وبعضهن لا يجدن لهن مكاناً وسطها. تمارسين الركض إلى الوراء هل لأجل الرجل فقط.. لإرضائه..؟ ربما.. ولكن في الغالب لا .. بل تمشياً مع الحضارة التي خدعت بها.. فهذا (كريم) لإزالة التجاعيد تقرئين عنه فتسارعين إلى أفخم محلات التجميل وخوفاً من أن تنفد الكمية تقتنين علبتين، ولا أهمية للسعر؛ وما أن تضعي لمسة منه على وجهك وبعد دقائق (يلتهب) وجهك.. فتتجهين رأساً إلى الثلاجة وتأخذين قارورة ماء بارد جداً تسكبينه على وجهك ليطفئ اللهيب.. فيأتيك السؤال: هل جهلت أن ما يناسب بشرة فلانة قد لا يناسب بشرتك؟ ثم ما هو دور الطبيب..؟! تركضين وتركض من خلفك زميلاتك .. فمن يسبق أولاً..؟! بل لماذا الركض المحموم..؟! هل لتتشبثي بالرجل أكبر فترة ممكنة..؟!

من قال إن ركضك هذا يمكِّنك من التشبث بقلب الرجل.. بل إنَّ الرجل الذي يطلب زوجة تكون حقل تجارب لجميع أنواع المساحيق.. ليس أهلاً للزوجية ولا لتكوين أسرة.. نعم! الله جميل يحب الجمال.. ولكنه حذَّر من المغالاة والمبالغة في كل شيء ومن ضمن ذلك التجمّل..

وجِّهي عينيك إلى الأمام لتري أن قدميك قد استدارتا جهة الخلف ومارستا الركض المحموم إلى الوراء.. بل بينهما وبين حافة الهاوية أشبار قليلة.



تعقيب على تعقيب

مشبب القحطاني

اطلعت على التعقيب المقدم من الأخ الكريم (عبد الله بن علي الحمدان) في العدد (١٥٣) ص (١٤٠) حول ملاحظته على ما ورد في الشطر الأول من البيت العاشر من قصيدة (من البلقان إلى الشيشان) في العدد (١٥١) حول جملة (يا رحمة الله! هل في الأمر من فرج؟...) وأود هنا إيضاح اللبس الذي وقع فيه الأخ الكريم:

أولاً: أشكر للأخ غيرته على حماية جانب التوحيد وحرصه على بيان الحق كما كان يطمح إليه، وأوصيه بعدم الاعتماد على النقل دون التتبع عن موافقة المقول للمنقول حتى لا يسيء الظنّ بإخوانه، وتختلط عليه الأمور كما حصل.

ثانياً: يتبيّن من سياق البيت الشعري أن الأمر لا يقتضي الدّعاء مطلقاً ولا ما يترتب عليه من كفر كما أورد مما استند عليه (عياذاً بالله) فلم أقل: (يا رحمة الله أنقذينا. أو ما شابه ذلك من لوازم الدعاء وأساليبه التي لا تخفى) وسياق الكلام كما ورد في المطبوعة بيّن أن النداء بالصفة إضافة إلى الموصوف متبوع بأداتي استفهام وعلامته في الشطرين، وليس الشطر الأول فقط كما ذكر. وليس في هذا الأسلوب حرج شرعي ولا لفظي ولو سأل الأخ قبل التهمة والنقل لكان أوْلى وهو من باب حسن الظنّ بأخيه المسلم.

عجائب الزمان (مستجدات العصر الفكرية)

حسين عبد الرحمن عقيل

عجائب الدهر لا تفنى وإن ظهرت
لنا عجائبُ قلنا ما الذي بعدُ
حتى نفيء لأمرِ الله في عرضٍ
ويُفرِّقُ الجمعُ ذا بؤسٌ وذا سعدُ

إن من مستجدات عصرنا الفكرية، وما ظهر في أعمارنا الزمنية ما يسمى بالحداثة والعلمانية - وما ظهر مؤخراً بما يسمى بالنظام العالمي الجديد (وهو ما يدعى بالعولمة).

عجّت بنا من ديار الغرب عولمةٌ
طريقة الغاب، لا شرع ولا ذِممُ
الناس أسرى لديها في مَخيلتها
تَغطُّ ناساً وتُرقِي مَنْ ترى القِمَمُ

إنها مسميات لامعةٌ وبراقة ولكنها من معدنٍ سرعان ما تصدأ ذراته فتترك خبثها في واحة فكرنا النقي، فيتكون لدينا مركبات فكرية ذات روابط عقدية معقدة التركيب؛ وذلك لطمس معالم مادة شرعنا ونهجنا القويم وتصبح مادةً تتفاعل مع كل جديد من مستجدات العصر.

لذا فإن على الأمة الإسلامية مجابهة هذه التغيرات بكل ما تملكه من وسائل التصدي لها، وليكن لكل مثقف وكاتب وواعظ وأديب دوره الفعّال نحو هذه التغيرات الفكرية بالكلمة الناصحة الناجعة لتبين مخاطرها، وتظهر مهالكها فيجبُ على الكاتب ألاّ يجفَّ قلمه أمامها، والشاعرِ ألاّ تمحل واحة شعره، والواعظِ ألاّ يقِلَّ عطاؤهُ. كلٌ بما منحه الله من هبةٍ يجودُ بها على دينه وأمته لكي نحيا حياةً آمنةً مطمئنة، ونعبدَ الله على بينةٍ من أمرنا.

التثبت أولاً ثم الانطلاق

عادل الدوسري

لما وصل عقبة بن نافع إلى البحر المتوسط ثم انطلق حتى وصل إلى المحيط الأطلسي دخل في البحر وقال قولته العظيمة: «والله لو أني أعلم أن وراءك قوماً لا يؤمنون بالله لخضتك إليهم».

لكن عقبة حينما وصل إلى المحيط الأطلسي ما كان هناك أحد يحمي ظهره، ولما أراد العودة إلى القيروان وأراد التراجع، هاجمه البربر وثاروا عليه وقتلوه في الطريق، فقال موسى بن نصير لما سمع القصة: رحمة الله، كيف ينطلق ولم يحمِ ظهره؟ أما كان معه رجل رشيد؟

إذاً لا بد من الانطلاق من قاعدة قوية؛ ولذلك تدخل هذه الاستراتيجية في أغلب الأمور؛ فهاهم حفاظ كتاب الله - عز وجل - ينصحون أن تكون البداية بالسهل، ثم الصعود مع التثبت والمراجعة، بل أول ما نزل القرآن لم ينزل جملة واحدة؛ بل بالتدرج. قال الله - تعالى -: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢] وقد ذكر العلماء من حكمة نزول القرآن منجماً: تثبيت فؤاد النبي ﷺ، وأيضاً: تيسير حفظه وفهمه. يقول الدكتور مناع القطان - رحمه الله -: «فما كان للأمة الأمية أن تحفظ القرآن كله بيسر لو نزل جملة واحدة، وأن تفهم معانيه وتتدبر آياته؛ فكان نزوله مفرقاً خير عون لها على حفظه في صدورها وفهم آياته»[1].

إن من الضروري عدم الاندفاع بقوة لغالب الأعمال لكي لا يضيع جهد الإنسان. يقول صاحب كتاب الهمة العالية: «فتجد من الناس من يقبل على عمل من الأعمال باندفاع زائد، ونشاط خارج عن طوره، فيكلف نفسه من المهام ما ينوء بحمله وما لا تطيقه نفسه، وما هي إلا مدة وتني همته وتنثني عزمته»[2].

الكثير يتمنى الوصول إلى ما يريد بأسرع ما يمكن، وهنا موقع الزلل والخطر؛ فإن الهمة حين لا تكون متدرجة تنعكس على صاحبها.

إن الصبر من مقومات التثبيت وأركانه؛ فمن ضيع الصبر ضاع ما أراده. يقول الشافعي - رحمه الله -:

اصبر على الجفا من معلم
فإن رسوب العلم في نفراته
ومن لم يذق مر التعلم ساعة
تجرع ذل الجهل طول حياته»[3]

إن هذه القاعدة العظيمة لتدخل في أغلب أمورنا في الحياة؛ فلا فتوى بلا علم، ولا قول دون تجربة، ولا نجاح دون صبر؛ وكل هذه وغيرها لا تكون إلا من خلال الضبط والحفظ في الصدور.

(١) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطاع، ص ١١٠.
(٢) الهمة العالية، لمحمد الحمد، ص٨١.
(٣) من عيون الشعر، الشافعي، ص٢٤.

صرخة

فهد بن علي العبودي

مرآكِ هَدَّ قوائمي وجَناني ... وقضى بصمتِ فَمي وعَقْدِ لساني
مَرْآكِ يا شيشان أسبَلَ أدْمُعي ... من مُقلَتيَّ فَألْهَبَتْ أجفاني
مَرْآكِ يا شيشان زَادَ مواجعي ... لمَّا استَقَرَّ بخافقي أدْمَاني
ماذا أقول؟ وكيف أروي ما أرى ... شعراً؟ وقد قَصُرَتْ حروفُ بياني
أنا لا أبثُّ مشاعري بقصيدتي ... لكن أبثُّ مشاعر الأكوان
أبصرتُ أهْلَكِ - والمآسي جمَّةٌ - ... ما بين مقتولٍ وبين مُهانِ
ما بين أرْمَلةٍ تَنوحُ وطفلةٍ ... تبكي وشيخٍ من أساهُ يُعاني
بالله ما للقوم لم يستيقظوا؟ ... فكأنهم خُلِقوا بلا آذان
أوَ ما دَرَوا عمَّا أصابكِ؟ ويحهم ... أم أنهم قد أطرقوا بهوانِ
قولي لمنْ تَركوكِ في أيدي العِدا: ... يا قومُ! أين أُخُوَّةُ الإيمانِ؟
يا أمَّةَ الإسلام لستِ ضعيفةً ... لكن أُصِبْتِ بغفلةٍ وتَوانِي
شيشان يا أرضَ البطولة والفدا ... لا تقنطي من رحمةِ الرحمنِ
سَيُعِزُّكِ الرحمنُ رَغْمَ جيوشهم ... وعَتادهم؛ فالعزُّ للتوحيد والشيشانِ



* **الأخ: محمد أحمد سلامة:** وصلتنا ملاحظاتك على مقال: «ماذا يحدث في السودان؟»، وقد أرسلت الملاحظات لكاتب المقال للإفادة. وفقنا الله وإياك لكل خير.

* **الأخ: عبد الرحمن عيد العتيبي:** أرسل يستفسر عن القضية التي أثيرت في البيان حول الخلاف بين الأستاذ جمال سلطان، ورفعت السعيد، وقد تم الصلح ودياً بين الطرفين.. وجزاكم الله خيراً.

* **الأخ: أبو معاذ الخالدي:** نشكر لك كلامك الطيب، كما نشكر لك ملاحظتك على ملف التنصير حول كلمة «التبشير» جعلنا الله وإياك من المتواصين على البر والتقوى.

* **الشيخ: خميس بن عاشور:** نرجو التكرم بإفادتنا بعنوان بريدي آخر يمكننا التواصل معكم من خلاله؛ حيث إن العنوان المرسل من قبلكم على جامعة الأمير عبد القادر أرسلنا لكم عليه رسالة، وأعيدت لنا مرة أخرى. بارك الله فيكم.

* **الأخ: أحمد مرحوم:** وصلتنا مقالتكم: «إعجاز (قٓ)» ونعتذر عن نشر المقال لغلوها في المسلك العلمي التجريبي، وهو منحى خطير في التفسير ونوصيكم بقراءة كتاب اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد الرومي.

* **الأخت: سارة بنت عبد الله:** سبق أن كتبنا في هذه الصفحة طلباً للأخت علياء بنت عبد الله لإفادتنا بعنوانها كي نوافيك به، ولكن حتى الآن لم يصلنا أي رد.

* **الأخ: ناصر بن محمد المكاوي، والأخت: أمل القصيبي:** نشكر لكما تواصلكما الكريم، ونفيدكما بأن مشاركاتكما ستنشر إن شاء الله.

* **الإخوة: سالم فرج سعد، طلال بن علي الجابري، عبد الله العزام:** سعدنا بتواصلكم الكريم مع المجلة، ومشاركاتكم سوف تنشر في المنتدى إن شاء الله.

* **الإخوة: حمزة الفرائضي، خالد الربيعة، عبد الخالق القحطاني، علي سليمان البذيخي، عشابي هشام، محمد علي شماخ، أنور عيسى أحمد، فهد أحمد الأسطا، محمد جلال، حسين سالم القحطاني، الحسن محمد ماديك، علي بحري اليامي، فارس الحسون:** نشكر لكم حرصكم الطيب على التواصل مع مجلتكم، ونتمنى دوام التواصل، مع تمنياتنا بالتوفيق في مشاركات قادمة.



الدعاة والقناعة الخفية

محمد يحيى مفرح

الداعية إلى الله هو الوسيلة الأولى التي تزيد بها أعداد المتوجهين إلى الله - تعالى - في كل زمان ومكان، ومع تزايد الوسائل الدعوية (أشرطة، وكتب، وتجمعات تربوية، وهيئات خيرية) أرى أنه قد بدأت تترسخ قناعة لا يصرح بها الكثير من أصحابها، ولا إخالهم يريدونها على حقيقتها، ومفاد هذه القناعة الداخلية: أن هذه الوسائل تسد خللاً، وتجبر كسراً يغني في أحيان كثيرة عن أشخاص الدعاة واستمرار عملهم مع ذات المدعو؛ وتنعكس هذه القناعة المترسخة في نفوس بعضهم لتبرز آثارها عليهم في بعض المظاهر الآتية:

١ - الاكتفاء بإيصال الوسيلة السهلة إلى المدعو مع الحرص قدر الإمكان على جعله يستفيد منها (كاستماع شريط يدعو إلى الالتزام، أو يثير الجوانب الإيمانية في نفس المدعو)، واعتقاد أن الحجة قد قامت على هذا المدعو، والجهد قد بلغ حده معه مما يستلزم الاهتمام بغيره من المدعوين، ويكون معيار النجاح هنا هو القدرة على إيصال الوسيلة إلى هذا المدعو. وهذا ولا شك فيه قصور واضح يبدو جلياً حينما يقدم الداعية هذه الوسائل السهلة على اتصاله المباشر بشخص المدعو الذي قد يكون بأمسِّ الحاجة إلى من يتفهم نفسيته ويقدم له ما يخص حالته بالذات.

٢ - تصور أن مجرد احتواء المدعو في جماعةٍ مّا هو غاية الوسائل التي يمكن أن يسعى إليها الداعية والتي تؤدي إلى النقلة المطلوبة في نفس المدعو وسلوكه (مثل ضمه إلى النشاط الذي يشرف عليه بعض الأخيار ضمن دائرة المدرسة أو الحي)، ثم ينصرف الداعية بعد ذلك لتكثير العدد بضم أناس آخرين، وهذا الداعية - إن لم يكن في الوسط من يتابع المدعوين غيره - يقع في القصور من النواحي الآتية:

أولاً: عدم متابعة المدعو فردياً ليمكن تربيته بالشكل الصحيح، والاعتماد على قدرته في الانسجام مع الجماعة، أو قدرة الوسط على احتوائه ويكون هذا هو معيار النجاح.

ثانياً: ربط التزام هذا الشخص بجماعة مّعينة وليس بمنهج أصيل ومبدأ راسخ، وهذا تتمثل خطورته في أن المدعو قد يفقد جوهر الالتزام بالدين عند مفارقته لهذه الجماعة لأي سبب كان، كما أنه سوف يحاكم الناس كلهم من خلال قيم هذه الجماعة وأفكارها ومنهجها، وربما كان هذا سبب كثير من الفرقة والخلاف.

ثالثاً: تغليب جوانب التربية الجماعية والاعتماد عليها أكثر من الجوانب المهمة في التربية الذاتية مما قد ينتج عنه التزام بلا جدية وهو مشاهد ملموس.

٣ - الظن بأن مجرد انخراط المدعو في عمل خيريٍّ مًّا كفيل بقلب موازين مفاهيمه وإصلاح حاله (مثل من يثير أهمية العمل للدين في نفس المدعو لينقله مباشرة للقيام بأعباء الدعوة من منطلق البلاغ فقط، أو من يجعله ينطلق في مجال جمع التبرعات والاهتمام بالفقراء والأيتام ونحو ذلك) ويكتفي بذلك، ثم ينطلق إلى غيره ليحثه على الانخراط في عمل خيري وهكذا، ويكون معيار النجاح عنده قدرته على استثارة كل فرد وتوجيهه للعمل الخيري الذي يناسبه. وهذا ولا شك قصوره واضح في عدم تأسيس هؤلاء على القواعد الراسية العلمية والإيمانية أولاً قبل الزج بهم في أعباء هذه الأعمال وزخمها ومشاكلها، ولذلك فإنه سريعاً ما يشاهد أحد هؤلاء المدعوين وقد خبت نار العاطفة التي أججها الداعية في نفسه، وانقطع عن العمل، وربما عاد بعد ذلك إلى أسوأ من حاله السابقة، دون أن يبالي الداعية بهذه النتائج في ظل فهمه لقول الله - تعالى -: **﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾** [**الشورى**: ٤٨].

وأعود لأقول إنه مع تزايد الوسائل الدعوية تبقى متابعة الداعية وتربيته واتصاله المباشر الدائم بالمدعو - في حدود الضوابط الشرعية للتربية بكل جوانبها - هي الوسيلة الأولى لنقله إلى الحياة الطيبة، كيف لا، والداعية هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تتفاعل مع شخص المدعو حرصاً ولطفاً وليناً وحكمة بل وغلظة أحياناً، وخاصة في فترات الصراع التي يواجهها أكثر المدعوين حين يفكرون ويشرعون في اتخاذ قرار النقلة؟

وأخيراً فإنني أرجو ألا يفهم من المقال أنه انتقاد للوسائل الدعوية أو دعوة لطرحها جانباً وعدم الاستفادة منها؛ فإن أثرها في الدعوة ملموس - بفضل الله - وأكبر من أن يُحصَر، والداعية المسدد هو من عرف كيف يستفيد منها بالشكل الأمثل.

أسأل الله أن يوفق الجميع للقيام بواجب الدعوة على النحو الذي يرضيه - تعالى - ويقيم به الحجة، ويعين على انتشال الناس من حبائل الشيطان، والله تعالى أعلم.

Printed in Egypt

مطابع الأهرام بكورنيش النيل



النص الكامل لمائة وخمسين عدداً من أعداد المجلة
يمكن استعراضها بالأعداد ، المقالات ، الكُتّاب ، الموضوعات
مع إمكانية البحث بالكلمة والجملة و الموضوعات والأعلام والأماكن والآيات والأحاديث.